جمعية مكتبة عبد الله كنون
بطنجة

عبد الله كنون

بين التكريم والتأبين



1412 طنجة 1991

جمعية مكتبة عبد الله كنون
بطنجــة

عبد الله كنون بين التكريم والتـأبين

1412 - طنجـة - 1991

إهـــداء

إلـى روح فقيـد العلم والوطنية الصادقة ، والدفاع عن العروبة والاسلام ، أستاذ الجيـل عبد الله كنـون الحسني نقـدم هذا الكتـاب باكـورة عمـل متـواصـل.

جمعيـة مكتبة عبد الله كنـون

بطنجة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

يجد القارئ بين دفتي هذا الكتاب ، ألوانا من الحديث عن أستـاذ الجيـل العلامـة المرحوم السيد عبد الله كنون ، يـرسـم من خلالها الكتاب والأدبـاء والمفكرون شخصيـة الفقيد في جميع تجلياتها الاسلامية والعلمية والأدبية.

وإنها لمنقبـة كبرى لهذا العالم الجليل ، أن يكون الثناء على علمه وفضلـه في حالة تكريمه وهو حي يرزق ، وحال تأبينه وقد التحق بالرفيق الأعلى.

إن مواد هذا الكتاب تجمع بين تكريـم الأستاذ كنون وتأبينه كما هو واضح من العنـوان ، وقد قامت جمعيـة مكتبة عبد الله كنون بطنجة بجمع هذه المواد من مختلف مظانها – وكانت مفرقـة في الجرائد والمجلات ، وبعضها طلبناه من جهاته الرسميـة ، فجاء هذا المجموع أضمومـة من زهر يـانع ، متفتح عابق بالثناء وإظهار الود الخالص لذلك الرجـل الذي أفنى عمره في إبـراز مزايـا الاسلام والدفاع عن قضايـا المسلميـن في كل مكان ، والجهـر بكلمـة الحق وإصدار الرأي السليـم في كل مجالات المعارف العلميـة والتاريخيـة والأدبيـة والسياسيـة التي تناولها بقلمه.

إن جمعيـة المكتبـة ، الوفيـة لمبادئ ومثـل الفقيد ، تتشرف بأن يكون أول عمل لها في دائرة إصدلراتها لتراث المرحـوم ، هذا الكتاب الذي جمع بين ما قيل في تكريمه بمختلف المحافل إبـان حياته ، وما نفثتـه صدور محبيه من الأسى عليه بعد وفاته.

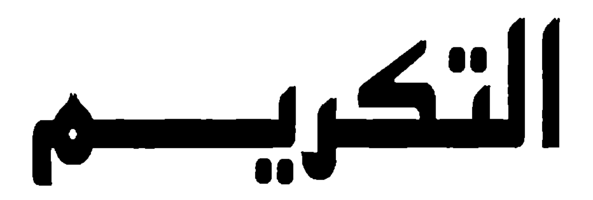
وستتوالى إصداراتها عن تراث الفقيد ، انتقاء من إبداعاته المخطوظة في الشعر والدراسات الاسلامية والبحوث اللغوية والأدبية .

ورجاؤنا من الله أن يمدنا بالعون لتأدية بعض واجبنا نحو أستاذنا المرحوم.

أعضاء مكتب جمعية مكتبة عبد الله كنون بطنجة

السادة الأساتذة :

ـ محمد مصطفى الريسوني	رئيسا
ـ عبد الاله كنون	كاتبا عاما
ـ عبد الصمد العشاب	أمينا
ـ محمد الشاهد الشنتوف	مستشارا
ـ أحمد بوكماخ	مستشارا
ـ محمد البقالي الطاهري	مستشارا
ـ أبوبكر اللمتوني	مستشارا
ـ محمد عزيز شريف وزان	مستشارا
ـ الدحمان الدرهم رئيس المجلس البلدي	مستشارا
ـ محمد المرابط ممثل السلطة المحلية	مستشارا


التكريم

إتحاد كتاب المغرب بالرباط
سنة 1968



في حفل تكريم الأستاذ عبد الله كنون، ويظهر في الصورة السيد السايح وكنون وغلاب ومحمد الفاسي والرئيس علال

نظمت جمعية إتحاد كتاب المغرب بالرباط لقاءً فكرياً مهماً، كرمت فيه الأستاذ المرحوم السيد عبد الله كنون.

وفي هذا الصدد، كتب الأستاذ السيد أبو بكر المريني وصفاً أدبياً

لحفل التكريم، نشرته جريدة (العلم) في عددها 6486، بتاريخ 23 فبراير 1968.

وألقى نخبة من الكتاب والشعراء كلمات وقصائد في التنويه بالأعمال الثقافية الكبرى للأستاذ كنون. وسنقتصر على ما ورد في جريدة (العلم)، اكتفاءً به وإشارةً إلى فضل كنون على البحث والثقافة بالمغرب.

(..وبعد..، فقد سجلت دار الفكر حدثاً مهماً في تاريخنا، وذلك بإقامة حفلة تكريمية ـ لأول مرة ـ لشخصية فذة في عالم الفكر المغربي المعاصر الأستاذ عبد الله كنون.. وكانت دار الفكر مسرحاً لذلك الحدث الهام.. وصعيداً التقت فيه نخبة من الأدباء المغاربة والمهتمين بقضايا الفكر.. وبالرغم من أن السماء كانت تمطر بوابل خيراتها.. فإن دار الفكر شهدت في تلكم الحفلة التكريمية إقبالاً لم تعرفه إلا يوم أطرب فيه نزار كل متعطش إلى شعره.

وإذا كان لهذا التكريم من معنى فإنما جاء ليحطم الأسطورة القائلة بأن "مغنية الحي لا تطرب". والحقيقة التي لمستها من هذه الحفلة هي أن الجمهور متعطش، بل ظامئ إلى الاتصال المباشر بكتابنا وأدبائنا وشعرائنا، وهذا الاتصال لا يتاح إلا في فرص نادرة.

ولقد كان الحفل يتخلل بروعة الأنغام الأندلسية التي شنف الأسماع بها جوق الطرب الأندلسي، وكان الحاضرون يطوفون بمختلف قاعات دار الفكر، حيث عرضت مؤلفات الأستاذ عبد الله كنون، نذكر منها : "محاذي الزقاقية"، و "مفاهيم إسلامية" و "مناهل الصفا" و "لوحات شعرية" و "واحة الفكر" و "القدرة السامية" و "النبوغ المغربي" و "ديوان ملك غرناطة" و "سلسلة ذكريات مشاهير المغرب" وأجزاء مجلة "لسان الدين"، التي كان الأستاذ عبد الله كنون رئيس تحريرها، وكانت تصدر سنة 1952؛ كما كانت هناك عدة صور مختلفة، تمثل الأستاذ عبد الله كنون مع مشاهير الأدباء العرب في المشرق العربي وكبار العلماء في العالم الإسلامي ورؤساء وملوك بعض الدول العربية. وقد حضر هذا الحفل التكريمي الزعيم الرائد سيدي علال الفاسي والأساتذة محمد الفاسي، عميد جامعة محمد الخامس، وإبراهيم الكتاني، وعبد الكريم غلاب، والشيخ المكي الناصري، والشاعر العربي بهاء الدين الأميري وشخصيات أدبية وأساتذة جامعيون، والطلبة وعدد من المثقفين ومراسلو الصحف والإذاعة والتلفزة.

وقد تناول كلمة الافتتاح الدكتور العميد محمد عزيز الحبابي، الذي أشاد بالدور الفعال الذي قام به الأستاذ عبد الله كنون خدمة لأدب المغرب والثقافة العربية بالمغرب. ومن جملة ما قال : "لأول مرة نكرم أنفسنا بأنفسنا، ونحن اليوم إذ نحتفل بأستاذ الجيل إنما نحتفل بالشخص الذي أثرت كتاباته في ذهننا، والذي أغنى المكتبة المغربية بما يشرفنا ويشرف أدبنا ويعلي من شأنه في الداخل والخارج، وبمن يزودنا بالمادة الخام، سواء لطلاب الجامعة أو لغيرهم من القراء؛ هذا الشخص الذي يشرف المغرب في المجامع العلمية واللغوية باسم الثقافة المغربية".

وتناول الكلمة بعده الأستاذ عبد الكريم غلاب، الذي ارتجل كلمة حول "عبد الله كنون الباحث" فقال : "كان بودي أن أخلد هذا الاحتفال بأستاذنا الجليل عبد الله كنون وأنا أكتب بحثاً قائماً بذاته عن "كنون الباحث" ولكن مشاغل مؤتمر الصحفيين العرب حالت دون ذلك".

إن معرفتي بالأستاذ عبد الله كنون ترجع إلى أول عهدي بالقراءة، فقد فتحت ذات يوم مجلة "السلام" لأجد صورة لأستاذنا ومعها بحث عن شاعر من شعرائنا المغمورين، فالتهمت المقال ولم أفهم منه إلا صورة باهتة المعاني عن الموضوع الذي طرقه، ولكنني تتبعت الأستاذ كنون بعد ذلك فعرفت فيه الباحث المحقق والمنقب الأمين عن رجالات المغرب، والمبرز للنهضة الفكرية والعلمية في بلادنا، وكان العمل شاقاً أن يقوم به شخص بمفرده، وكلكم يعرف أن العمل الأدبي من هذا النوع، وخصوصاً في تاريخنا الأدبي عمل عسير المنال، نظراً لقلة الكتب التي تخص هذا الميدان ونظراً لوجودها في مخطوطات مبعثرة هنا وهناك، ومع ذلك فقد اجتهد "كنون" لاستنباطها واستقصائها والكشف عنها أينما وجدت. فبحث وجد في البحث صبوراً غير ملول، فاستخرج منها نبوغ الأديب، والشاعر، والكاتب في المغرب، واستخرج منها كتباً حققها وشرحها، ولا زال يعمل لإبراز ما نجهله من أدبنا المغربي، ونحن مدينون له بما أتحفنا به في هذا المجال.

وقد أخذ على نفسه البحث المنهجي في تاريخه للقدماء والمحدثين الأمر الذي يعطي لكتاباته أهمية بالغة ويجعلها مرجعاً هاماً من مراجع تاريخ الأدب المغربي. وفي الأدب الحديث كتب بسلسلة محاضرات ألقاها في القاهرة، يعرف فيها الأدب المغربي بما فيه من شعر وقصة ومقالة ورواية وبحث؛ وأعطى للشرق بذلك مصادر واسعة في معرفتها وتحليلها في الموضوعات التي استنبطها والجزئيات التي عرضها والنماذج التي حللها.

والأستاذ كنون لا يهمه استقصاء المسألة الجزئية بمقدار ما يهمه أن يؤرخ لنبوغ شاعر أو أديب وسط بيئة بئيسة مغلقة. وإنها لطريقة مستحدثة، لمع فيها أستاذنا وجمع فيها بين البحث العلمي والأسلوب المرسل الذي لا يتعب العقل ولا يجهد النفس.

والبحث في المكتبة المغربية ليس سهلاً لما يوجد بها من كنوز مجهولة وما يكتنفها من غموض. وقد استطاع أستاذنا أن يتغلب بصبره وجلده، وأن يكشف هذا المجهول ويوضح ذلك الغموض. وموضوعات كنون تحتاج إلى صبر، ولا يستطيع أن يجلو أحد ما جلاه كنون في كتبه النادرة.

فلقد أعطانا صورة عن تطور الأدب المغربي، وحطم بذلك القولة الشرقية، الرامية إلى أن المغرب مغرب الفقهاء، وأظهر لهم أن هذا البلد عرف كل ضروب الأدب، وساهم بحظ وافر فيها، سواء أكان شعراً أو قصة أو بحثاً. وكل الأبحاث التي كتبها تجلو الأدب المغربي والشخصية الأدبية الفذة فيه، وهذا عمل جدير بأن يسجله التاريخ كدفع لوصمة كادت تعلق بالأدب المغربي؛ هذه الوصمة التي يتناقلها الشرقيون كأمر مسلم به، فهم قالوا بأن المغرب لم يظهر فيه أدب إلا ما كان بالأندلس، وهم إن درسوا الأدب المغربي فمن باب الأندلس ويمرون على المغرب مر الكرام. كأن المغرب لم ينتج شاعراً ولا أديباً ولا مؤرخاً ولا كتاباً.

وبعد كتب أستاذنا كنون لا يصح للشرق أن يتجاهل مطلقاً الشخصية الأدبية ولا الجهود التي بذلها أدباؤنا القدامى والمحدثون في تمثيل الشخصية المغربية.

هذا المجهود جدير بأن يتبعه الباحثون في المغرب، فنحن في حاجة إلى من يظهر شخصيتنا المغربية التي ليست ضعيفة ولا واهية، كما يدعي البعض، ولكنها في الواقع قوية ومتكاملة في مختلف فنون المعرفة.

فالمغاربة في الفقه يبدعون، وحينما يتناولون الأدب شعراً ونثراً لهم شخصية تتميز عن شخصية المشارقة. وفي التاريخ تبرز هذه الشخصية بروزاً تاماً، كما نراها مجسمة في المؤرخ ابن خلدون، الذي ولد في أحد أقطار المغرب العربي، وكتب المقدمة الشهيرة في قطر منه وعاش في القطر الثالث؛ ومثل ذلك في البحث الأدبي، فللمغربي طابعه الذي يميزه عن غيره.

ونحن اليوم مدعوون لإبراز هذه الشخصية حتى يتعرف علينا من يجهل

قيمتنا. وإذا كان كنون قد أبرز هذه الشخصية فيما كتب، ويرجع له الفضل في إظهارها للجيل الصاعد ولمن يشتغل بالبحث. وقد بسط لهم سبل التعمق في الخزانة الأدبية المغربية في حاضرنا الأدبي وماضينا كذلك، فإننا مدعوون إلى سلوك طريقه، وأن نزيد في البحث والعمل، لأن كنون كبادئ وممهد ورائد، لا يقبل أن يتوقف البحث عند هذا الحد ليلقوا عليه العبء وحده، ولكن على الشباب أن يعملوا على انتهاج سبيله لإغناء المكتبة الوطنية.

ونحن مدينون لأستاذنا بكل ما انتجته قريحته وما دفعه إليه طموحه المحمود، ومدينون له كذلك بما أسداه ويسديه للأدب المغربي وإبراز الشخصية المغربية.

ويجب أن يحمل تكريمه في هذه الليلة معنى الاستمرار وأخذ قبس من الشعلة التي يحملها ويوقدها لنسير في الطريق الذي سلكه.

وتكلم بعد الأستاذ عبد الكريم غلاب الشاعر علي الصقلي، الذي تناول شخصية كنون الشاعر، فحلل بعض قصائده وأبرز ما فيها من شفافية، وما تمتاز به من أصالة ورقة، وما يجللها من جمال البيان وسبك الصورة وتماسك الوحدة. ومن جملة ما قال : "يقال أن هناك مدارس شعرية قديمة وحديثة؛ ففي أية مدرسة نضع شاعرنا الذي لا يجود بالدرر إلا نادراً. وقد ضرب في كل فنون الشعر بنصيب وأدلى بدلوه في كل غرض من أغراضه. إن شعر كنون في الحقيقة قد جمع بين مدارس شتى، فكان من العسير نسبته إلى أية مدرسة؛ ففيه من القديم الأصالة والقوة، ومن الحديث الجزالة والعذوبة.

وإنني آخذ على الشاعر كنون كتابته قصيدتين على طريقة الشعر الحر فكأنما أراد أن يلج كل المدارس ـ وإن كنت من غير أنصار هذا الشعر ـ وهو المحافظ في غير رجعية ولا تزمت. وعهدنا بكنون إنه لا يوقع على قيثارة في حاجة إلى شد أوتارها حتى لا تبعث أنغاماً ناشجة".

وتناول الأستاذ عبد الله الكتاني جانب النثر في كتابة كنون، فأبرز ما يمتاز به من صفاء العبارة وسلامتها من العجمة، وهذه من خصائص الأسلوب المغربي العربي، وهي الطابع الذي يميزه عن كثير من الأساليب الأخرى.

وأبى الشاعر بهاء الدين الأميري إلا أن يقول كلمته عن أستاذنا كنون فقال :
" أنا أشهد أننا في مقاييس الأرض، ظلمنا كنون بأن حضرنا تكريمه في هذه الرقعة الضيقة مهما كانت مشرفة ومزوقة، ولكنه تكريم رمزي. وإن عدداً من السفراء

والشعراء لم يتح لهم الحضور لأنهم علموا بالحفلة مؤخراً، وقالوا بأنهم يكرمونه بقلوبهم ونحن معهم، إذ ما دامت العواطف هي التي تستوعب "فكنون يلاقي حظه من عواطفنا جميعاً".

وأنا لا أقول ما قاله الأستاذ العميد بأن المغرب يكرم نفسه هذه المرة، ولكن المشرق والعالم العربي والإسلامي يكرم نفسه أيضاً في هذه الحفلة الرمزية للأستاذ كنون. فعبد الله كنون لله، ولله المشرق والمغرب. فكنون في كل كتاباته تشعر به ذلك المسلم الحق، والكاتب الأمين. وقد أعطتنا كل إنتاجات كنون صورة عن عبقرية المسلم، عبقرية الاستيعاب التي فتحت له أفسح الجوانب في عالم النبوغ.

وأشكر الله الذي أتاح لي أن أعتز بأخوته وأعتز بالتتلمذ عليه فيما قرأته من إنتاجه شعراً ونثراً؛ وأعتز بصداقته في المؤتمرات العديدة التي تلازمنا فيها".

وقبل الأستاذ الشاعر بهاء الدين الأميري، تقدم الشاعر أبو بكر اللمتوني وألقى قصيدة أشاد فيها بالأستاذ كنون في كل جانب من جوانب شخصيته.

وأخيراً جاء دور الأستاذ كنون ليقول من أعماقه : "إنني وإن كانت بضاعتي هي صناعة الكلام، فإنني عاجز عن توفيتكم حقكم من الشكر على ما قابلتموني به من حفاوة وخصصتموني به من تكريم؛ وإني وأنا ضيفكم المغمور ببركم ولطفكم أرجو أن تسمحوا لي بكلمة لا أتكلف فيها ولا تثقل عليكم لأنني ما جئت إلى هنا لأتفاصح وأتعالم، ولأنكم ما قمتم بهذا الحفل حتى أحسنتم بي الظن، ونظرتم إلي بعين الرضى، فليس مطلوباً مني خطاب بليغ ولا حديث أدبي رفيع لأني وان حاولت ذلك فلن آتي بجديد غير ما تعرفون عني، وقد برهنت أحاديثكم على أنكم من أعرف الناس بعجرى وبجرى".

وشكر في كلمات أخرى دار الفكر والأساتذة الذين تحدثوا عن آثاره وكل الإخوة الحاضرين. وفي غمرة التصفيقات كان الأستاذ يصافح أصدقاءه في الفكر وأحبابه في الكلمة. وقد قام بعد ذلك بالتوقيع على مؤلفاته وإهدائها إلى من جذبته مواضيعها.

معرض للكتـــاب خـاص بمؤلفـات الأستاذ عبد الله كنون بطنجة سنة 1971

نظمت جمعية رسالة الطالب بطنجة معرضاً لكتب الأستاذ كنون، تتضح حيثياته من المراسلة التالية التي نشرتها جريدة (الميثاق)، عدد 138، بتاريخ 8 غشت 1971.

تقول المراسلة :

أقيم في طنجة، بقصر مرشان، معرض للكتاب، خاص بمؤلفات الأستاذ الكبير السيد عبد الله كنون، وذلك تحت إشراف ويرئاسة سعادة العامل السيد حسني ابن سليمان وبسعي وتنظيم جمعية رسالة الطالب. وقد حضره كبار الموظفين وجمهور من الأساتذة والمثقفين والنائب الإقليمي لوزارة الثقافة وبعض الملحقين الثقافيين بالسفارات العربية وغيرها من الرباط، والآنسة مكسويل، مندوبة الأمم المتحدة بالمغرب وعدد من الصحفيين، ومندوبا الإذاعة والتلفزة والكثير من الطلبة. وبلغ عدد الكتب المعروضة 46 كتاباً بين تأليف ونشر وتحقيق، فضلاً عن عدد من الفصول لأبحاث هامة نشرت في مختلف المجلات بالشرق والمغرب، وطبعات متعددة لبعض هذه الكتب وترجمات إلى الإسبانية والفرنسية لبعضها الآخر.

ومن أطرف ما عرض مؤلف مخطوط للأستاذ كتبه وهو في سن السادسة عشرة، ولا يزال في مسودته، وهذا إلى مجموعة "مجلة لسان الدين" الشهرية، التي

أصدر منها الأستاذ تسع سنوات، ومجموعة صحيفة "الميثاق"، لسان رابطة العلماء، التي يشرف الأستاذ على إدارتها وتحريرها، وتحتوي على كثير من أعماله وكتاباته. وقد ارتجل الأستاذ كلمة أشار إلى نسبة هذا المعرض من المعارض المعهودة، ونبه على ندرة معارض الكتب عندنا وأندر من النادر معرض كتاب لمؤلف واحد ثم تطرق إلى تصنيف كتب المعرض وذكر قصصاً لطيفة عن بعضها. وأخيراً شكر سعادة العامل والحاضرين وجمعية رسالة الطالب، التي يرجع أليها الفضل في إقامة هذا المعرض، وتناول الحاضرون بعد ذلك في أحاديث مع الأستاذ كؤوس الشاي والمبردات مع الحلويات.

ندوة عن عبد الله كنون
بمنزل الدكتور محمد عزيز الحبابي بالرباط
سنة 1979

من المؤسف أن لا نتوفر على مواد هذه الندوة ولا عن سابقتها في دار الفكر بالرباط سنة 1968.

ولذلك نكتفي بمراسلة في الموضوع، نشرتها صحيفة "الميثاق"، لسان رابطة علماء المغرب في عددها 289، بتاريخ 30 يناير 1979.

تقول المراسلة :

في محفل للفكر والثقافة، انعقدت بمنزل الأستاذ الدكتور محمد عزيز الحبابي، بتمارة، وبدعوة منه ومن حرمه الدكتورة فاطمة الجامعي، ندوة عن الأستاذ عبد الله كنون، وذلك على الساعة الثالثة ونصف مساء يوم السبت 21 يناير 1979.

وقد توارد على منزل الدكتور الحبابي زُهاء مائة شخصية، تمثل نخبة من الأدباء والمثقفين وسامي الموظفين بالمغرب، منهم بعض السفراء العرب وعدد من السيدات الأديبات والمثقفات.

افتتحت الندوة بكلمة تقديم للأستاذة فاطمة الجامعي، ثم تقدم الأستاذ مولاي مصطفى العلوي، مدير دار الحديث الحسنية سابقاً وتحدث في كلمته عن الأستاذ كنون وكتابه "الرد القرآني على كتيب : هل يجوز الاعتقاد بالقرآن ؟" وهو المنشور

تباعاً بمجلة (دعوة الحق)، وطالب بأن تجمع فصوله وتطبع في كتاب ثم يترجم ذلك الكتاب إلى اللغات الأجنبية حتى تعم فائدته سائر المثقفين.

أما الأستاذ الشاعر علي الصقلي فقد تطرق للكلام عن الأستاذ كنون كشاعر وأديب، واستشهد بنماذج من ديوانه "لوحات شعرية"، وتمنّى أن لا يبقى هذا الديوان يتيماً، فأجابه الأستاذ كنون بأن له أخاً في الطريق إلى النشر إن شاء الله.

ثم تقدم الأستاذ عبد الله الكتاني، وتحدث عن الأستاذ كإنسان، وحلل شخصيته من هذه الناحية، واستشهد ببعض كلامه من النثر والشعر.

بعد هذه العروض، طالب بالتحدث في الندوة أساتذة آخرون لم يكونوا ضمن البرنامج، نذكر من بينهم الأساتذة الأجلاء : محمد الفاسي، الذي ذكر بالجانب الوطني من عمل الأستاذ كنون، وإبراهيم الكتاني، الذي تحدث عن ذكرياته في مجال العمل الوطني مع المحتفل به، وعبد الكريم غلاب، فتحدث عن المثقف الذي يعني الأديب بالاستعمال القديم وطبق ذلك على الأستاذ عبد الله كنون، ومحمد التاودي بنسودة، عضو المجلس الأعلى للقضاء، الذي تناول الجانب العلمي من حياة الأستاذ كنون، والحاج أحمد معنينو، الذي تكلم على بعض مواقف الأستاذ كنون الإسلامية والوطنية.

كما طالب غير هؤلاء بالكلمة، ولكن نظراً لضيق الوقت وقع الاكتفاء بالمناقشات التي أخذت أبعاداً مختلفة من حياة الأستاذ كنون ومن موضوعات الثقافة والأدب واللغة العربية والنهضة الفكرية والحركة السلفية وتاريخ الوطنية بالمغرب.

وقبل البدء في المناقشة، تقدم الأستاذ كنون وارتجل كلمة قيمة، شكر فيها المتحدثين وعلق على بعض ما جاء في عروضهم.

وكانت قاعة الندوة الفسيحة مزدانة بمعرض لمؤلفات الأستاذ وأبحاثه في العلم والتاريخ والأدب والدراسات الإسلامية واللغوية.

وانتهت الندوة على الساعة الثامنة مساء.

الجمعية الثقافية والاجتماعية
لحوض البحر الأبيض المتوسط
سنة 1980

بمناسبة تعيين الأستاذ عبد الله كنون عضواً بأكاديمية المملكة المغربية، أقامت الجمعية الثقافية والاجتماعية لحوض البحر الأبيض المتوسط بطنجة والتي يرأسها معالي وزير الشؤون الإدارية، السيد المنصوري بنعلي، حفلة تكريم لفضيلة العلامة الأستاذ الكبير السيد عبد الله كنون، وذلك بمناسبة تعيينه من لدن صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله عضواً في أكاديمية المملكة المغربية.

وكان الحفل بقصر مرشان تحت الإشراف الفعلي للسيد محمد العربي الكيسي، عامل إقليم طنجة، حضره نخبة كبيرة من المثقفين وممثلي الهيئة الدبلوماسية بطنجة والأعيان والأهالي، وألقيت كلمات بالمناسبة للأستاذ الحسين التانوتي، المحامي وأحد الطلبة من شبيبة الجمعية والسيد عزوز بومغيث، عضو البرلمان، أشاد فيها أصحابها بمواقف الأستاذ وأعماله في الميدان الوطني والفكري. كما ألقي الأستاذ السيد عبد الله كنون كلمة ختامية، شكر فيها الجمعية والحاضرين، كان لها الوقع الكبير في نفوس الجميع. وتخللت فقرات الاحتفال نغمات الموسيقى الأندلسية وقدمت المشروبات والحلويات وكؤوس الشاي.

فرع إتحاد كتاب المغرب بطنجة
سنة 1986

نظم فرع إتحاد الكتـاب بطنجة فيما بين 17-19 أكتوبـر 1986 أياماً دراسية عن عبد الله كنون، تخللتها حفلة استقبال بمندوبية وزارة الثقافة.

وشارك في هذه التظاهرة العلمية عدد من الأساتذة الباحثين : أحمد اليابوري، رئيس إتحاد كتاب المغرب، والدكتور عزيز الحبابي، والدكتور محمد الكتاني، عميد كلية الآداب بتطوان، والدكتور عباس الجراري، والدكتور محمد السرغيني، والدكتور محمد بنشريفة، والأستاذ الباحث السيد محمد المنوني، والدكتور حسن الوراكلي، والأستاذ ادريس الناقوري، والأستاذ أحمد العلوي، والأستاذ عبد الجبار السحيمي بالإضافة إلى رئيس فرع طنجة، الأستاذ أحمد طريبق. وختم المهرجان الثقافي بكلمة الأستاذ السيد عبد الله كنون.

نظراً لوفرة مواد هذا التكريم ووجوده، مسجلاً على الأشرطة الإذاعية، نكتفي بتقديم ما لدينا مطبوعاً أو منشوراً بالجرائد الوطنية اليومية منها والأسبوعية.

وأول ما نبتدئ به رسالة الدعوة، التي بعث بها مكتب الفرع إلى رجالات الفكر بالمغرب.

تقول الرسالة :

تقديراً لعطاءات رجال الفكر والأدب في بلادنا، فقد استن إتحاد كتاب المغرب تقليداً حميداً، وذلك بتكريم الرموز المشعة في مجالات الفكر والأدب والثقافة. وفي هذا السياق كانت أيام المرحوم العلامة محمد المختار السوسي، بأكادير، وكانت الأيام الدراسية التي أقيمت تكريماً للباحث محمد المنوني بمدينة مكناس، كما أقيم في الرباط حفل تكريمي للمفكر المغربي محمد عزيز الحبابي.

ونحن بدورنا، وفي فرع إتحاد كتاب المغرب بمدينة طنجة، لا يفوتنا إلا أن نسجل هذا التواصل الإنساني والمعرفي بين أجيال الفكر والأدب في مغربنا الذي يتطلع إلى ريادة ثقافية جادة، وعلى ضوء الأيام الأدبية/التكريمية، يأتي احتفاؤنا بالأستاذ عبد الله كنون كواحد من الذين ساهموا في صنع نهضتنا الأدبية والثقافية بما له من عطاءات رائدة في حقل البحث والتأسيس النهضوي.

وها هو يتوج صنيعه الكبير بتحبيس خزانته العامرة على الباحثين ورجال العلم والأدب. وفي هذا الإطار ارتأى فرع كتاب المغرب أن يعقد "أيام عبد الله كنون"، يتدارس فيها رجالات البحث والثقافة الروافد التي كونت شخصية كنون وجعلته باحثاً فذاً في عالمنا العربي والإسلامي، بالإضافة إلى عطاءاته في حقل النقد والإبداع.

وحتى تكتسي الأيام بعدها المعرفي العام، فكرنا في إيجاد محور موازي، له ارتباط بالبحث عن الحركة الصحفية في شمال المغرب على عهد الحماية.

ويشرف فرع إتحاد كتاب المغرب أن يدعوكم للمساهمة في أيام "عبد الله كنون"، تاركين الاختيار لكم عبر الموضوعات التي ينتظمها المحوران الموازيان.

وستجدون رفقته مطبوعاً يحدد ذلك، والأمل معقود على مشاركتكم تكريماً للمحتفى به، وخدمة للحركة الأدبية والثقافية في بلادنا.

المحور الأول :

كتابـات عبد اللـه كنـــون

1) النبوغ المغربي وتأريخية الأدب العربي في المغرب.

2) النص التراثي وتحقيقه في عمل كنون.
3) كنون مبدعاً وناقداً.
4) بلاغة المقالة الأدبية في كتابات كنون.
5) الفكر السلفي عبر المفاهيم الإسلامية.

المحـور الثانـــي :

الصحافة في شمال المغرب على عهد الحماية

1) الصحافة الأدبية.
2) الصحافة اليومية والسياسية.

ملاحظـة : يتـرك أمـر الاختيـار للمشاركيـن في إضافـة موضـوعات أخرى لها ارتبـاط بالمحـور الأسـاســي.

تحت عنوان :

تكريم العلاّمة عبد الله ݣنون بطنجة

نشرت جريدة (أنوال) في عددها 282 بتاريخ 30 أكتوبر 186 وصفاً حياً قام بإنجازه الأستاذ عبد السلام مرون وهو التالي :

خلال الفترة الممتدة من 17 إلى 19 أكتوبر الجاري، احتضنت مدينة طنجة حفلاً تكريمياً للأستاذ عبد الله كنون، إقامه فرع إتحاد كتاب المغرب بطنجة بتنسيق مع المكتب المركزي للاتحاد. وقد كان هذا الحفل التكريمي أكثر تنوعاً ووفرة من حيث الموضوعات التي عولجت فيه.

عشية اليوم الأول، وفي بداية حفل الاستقبال، ألقى الأستاذ أحمد الطريبق، كاتب فرع طنجة، كلمة ترحيبية بمجموع الحاضرين، نوه من خلالها بالعلامة عبد الله كنون، مشيداً بأهمية مثل هذا التقليد المتبع من طرف إتحاد كتاب المغرب والمتمثل في تكريم رجالات الفكر والمعرفة ببلادنا.

صبيحة اليوم الثاني من حفل التكريم، افتتحت الجلسة الأولى أعمالها بكلمة إتحاد كتاب المغرب، ألقاها الأستاذ ادريس الناقوري، ركز فيها على دواعي تكريم عبد الله كنون، الذي يعتبر علامة بارزة في حقل الأدب والثقافة المغربيين. بعد هذه الكلمة توالى على المنصة كل من الدكتور عباس الجراري والدكتور محمد الكتاني.

قصر الدكتور عباس الجراري مداخلته بكلامه عن كتاب "النبوغ المغربي في الأدب العربي" لأهميته المتمثلة في تفرده وأسبقيته إلى طرق باب من أبواب التأليف لم تكن معهودة من قبل عند المغاربة، غير أن هذه الأهمية لا تنحصر في هذا السبق، وإنما في منهج التأليف أيضاً الذي حدد بعض عناصره فيما أسماه بالإقليمية الهادفة إلى الوحدة، وهذا واضح، يقول الجراري، من خلال عنوان الكتاب "النبوغ المغربي في الأدب العربي"، ثم عنصر ربط الأدب بالسياسة؛ ثم يتساءل الدكتور الجراري، أين يمكن أن نؤطر الكتاب ؟ هل هو تاريخ للأدب ؟ أم هو دراسة الأدب بنهج تاريخي ؟.. يبدو أن مؤلفه أطره اعتباراً لرؤية واضحة في ذهنه حين قال في أول جملة من مقدمة كتابه : "هذا كتاب جمعنا فيه بين الأدب والسياسة والفكر الخ".

بكلمة واحدة يختتم ـ الجراري ـ أن هذا الكتاب يبقى خالداً.

أما الدكتور محمد الكتاني فقد توقف عند موضوعه "مفهوم التجديد الإسلامي عند عبد الله كنون"، فأشار إلى أن عبد الله كنون يميز بين ثلاث مفاهيم : 1) مفهوم الإصلاح؛ 2) مفهوم الاجتهاد؛ 3) مفهوم التجديد، إذ يعتبر كنون من أوائل الذين عملوا بمفهوم التجديد لاتسامه بسلفيته وواقعيته. وعنصر التجديد هذا يحضره الأستاذ كنون في مفهوم عام يطلق عليه إسم المفهوم الشرعي. فالتجديد عنده في هذه الحال، هو ألا نحاول إخضاع النزعة التجديدية الإسلامية إلى النزعة التجديدية الغربية لأنه، كما قلنا، التجديد عنده منبن على رؤية سلفية عميقة.

في جلسة عصر اليوم نفسه / اليوم الثاني، استمع الحاضرون إلى مداخلتين : الأولى للدكتور محمد السرغيني والأخرى للدكتور محمد بنشريفة.

"منهج عبد الله كنون في تاريخ الأدب المغربي" كان هو عنوان المداخلة الأولى، وأشار فيها السرغيني كمقدمة منهجية إلى بعض أعمال كنون : "النبوغ المغربي" بأجزائه الثلاثة؛ "أحاديث عن الأدب المغربي الحديث"؛ "شعر الفقهاء"؛ "شرح قصيدة ابن الونان، المعروفة بالشمقمقية"؛ "ذكريات مشاهير رجال المغرب"؛ لإثبات أصالة وعربية منهجية كنون، وإثبات أيضاً أن هذه الأصالة منفتحة إلى درجة أنها تذكرنا بمجموعة من المناهج الغربية المتداولة اليوم، كنظرية التلقي الأدبي/النقدي التي يدعو ويروج لها بعض المعاصرين في المغرب أو المشرق. إن كنون يرى أن الأدب ليس إلا جهداً لغوياً (معنى وأسلوباً)، ولا يمكن أن تتوفر عناصره إلا بتوفر الجمالية التي

تقوم أساساً على الذوق لا غير، وهذا ميراث عربي أصيل كما هو الشأن عند الجاحظ (بلاغة الذوق). وبما أن الأدب جهد لغوي، حسب كنون، فهو يحتاج إلي تصنيف، وفي هذا إشارة إلى نظرية الأجناس الأدبية المعروفة في الغرب، إذ يقسم النثر مثلا إلى : أقصوصة، مسرحية... الخ؛ والشعر إلى : غنائي، ملحمي، تعليمي... الخ. فأين موقع العلامة كنون من هذا التصنيف ؟ أما كنون فإنه يقسم الشعر مثلاً على أساس عربي : رثاء... الخ.

بعد هذا توقف الدكتور السرغيني عند نقط ثلاث وهي :

1) نظرة كنون إلى تاريخ الأدب العربي في المغرب من حيث كونه تاريخ الأدب العربي الإسلامي، إذ لا مجال لاتهامه بالإقليمية باعتبار أن التاريخ كتلة متراصة لا تقبل التجزيء.

2) موقف كنون الذي يعكسه فكره في تعاطيه للأدب المغربي، وبناه على شيئين اثنين :

ـ إثبات وطنيته وهويته المغربيتين من خلال وقوفه في وجه التغريب الذي عانى منه المغرب ولا زال؛

ـ جعل اللغة العربية الحجر الأساسي في العمل الوطني.

3) تقييم كنون للأدب المغربي حيث ضمنه :

ـ التاريخ السياسي منذ الفتح الإسلامي إلى عهد العلويين؛

ـ التاريخ الثقافي، يضم المجهود الثقافي الذي ظهر في العصور المغربية السابقة : علوم، فلسفة، أدب، تصوف؛

ـ التاريخ البيبليوغرافي، وهذا الجانب له أهميته من حيث تسهيل عمليات البحث.

حول ديوان " ملك غرناطة يوسف الثالث"، هذا هو عنوان مداخلة الدكتور محمد بنشريفة، التي ركز فيها على قيمة الكتاب/الديوان من الناحية التاريخية والفكرية من خلال أربع تقسيمات أوردها المتدخل :

1) ما يتعلق بصاحب الديوان، أبي الحسن بن أحمد بن فركون.

2) ما يتعلق بيوسف الثالث/ممدوح الشاعر ابن فركون.

3) ما يتعلق بـ : علاقة بني نصر وبني مرين.

4) ما يتعلق بـ : علاقة بني نصر وجيرانهم القشتاليين.

بعد هذه المداخلة في نفس جلسة المساء، تكلم الأستاذ محمد المنوني في مداخلة جد مقتضبة وموجزة، ركز فيها على أهمية المساهمة السلفية المغربية من خلال أعمال الشيخ محمد بن المدني كنون، مقارناً إياها بالسلفية المشرقية : الدعوة الوهابية، جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، محمد السوداني (السودان).

في نهاية كلمته اقترح الأستاذ المنوني إطلاق إسم الشيخ عبد الله كنون على إحدى قاعات كلية الآداب بتطوان.

في صبيحة اليوم الثالث والأخير من أيام عبد الله كنون، تكلم الدكتور حسن الوراكلي في موضوع : "رؤية التغيير البناء في فكر عبد الله كنون الإصلاحي"، مركزاً على أن الفكر الإصلاحي عنده جاء نتيجة أحداث عرفها المغرب، منها : حدث الحماية الذي لا يعني فقط الاستيلاء على الأرض/الاستعمار، وإنما هو أيضاً استعمار صليبي متمثل في غزو الثقافة والدين الإسلاميين.

حدث الظهير البربري، المتمثل في تقسيم المغاربة إلى عرب وبربر.

إن مفهوم الإصلاح - يقول الدكتور الوراكلي - لا يختلف عن التجديد، فهما يتداخلان، وكل منهما يكمل الآخر، فلا إصلاح بدون تجديد، ولا تجديد بدون إصلاح، فكل الدعاوى الإصلاحية في فكر كنون، تعتمد على التجديد والتغيير، لأن الإعلام في فكره له قابلية التطور والتغيير، لكن بشرط الحفاظ على الثابت فيه.

في نفس جلسة الصباح، أتت مداخلة الأستاذ عبد الكريم غلاب، ألقاها بالنيابة الأستاذ عبد الجبار السحيمي، تعرض فيها إلى نقطة مهمة، تتجلى في التهميش الذي عانى منه المغرب الأقصى من طرف المشرقيين، إذ لم تكن تذكر أعمال المغاربة الأدبية والفكرية. وفي ظل هذا التهميش المشرقي للمغرب والتهميش الذاتي للمغاربة أنفسهم، ولع عبد الله كنون بحسه الذكي للبحث والتنقيب والاهتمام بالتاريخ والأدب المغربيين، ومن ثمة تكون "سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب" خير تكسير لحاجز التهميش، بالإضافة إلى الكتاب المشهور "النبوغ المغربي" الذي يقارب فيه صاحبه مجالات الأدب والعلم والسياسة والتراجم.

في جلسة عصر اليوم الثالث، كانت جلسة الختام، قدم فيها ادريس الناقوري مداخلته عن : "الأصولية الإسلامية في كتابات كنون"، إذ قسمها إلى محاور رئيسية، تجمع بين المحور السياسي ويطرح فيه قضية الخلافة، الحكم، والمحور الاجتماعي : قضية المرأة، والمحور الاقتصادي، والمحور العسكري. وتوقف الناقوري عند نقطة اعتبرها مجرد رأي شخصي، ألا وهي الفكرة القائلة بالرؤيا للعالم، وإذا أخذنا بهذا المبدأ/مبدأ الرؤى أو هذه الفكرة ـ يقول الناقوري ـ فإن لعبد الله كنون رؤية أصولية سلفية، تشمل الأدب والاقتصاد والفكر والسياسة.

أما الدكتور محمد عزيز الحبابي فقد تدخل في جلسة الختام المسائية، فغير عنوان مداخلته إلى "دردشة حول عبد الله كنون، لأن الحديث عن كنون لا يحدد، وإنما لنترك العواطف تتداعى". وعلى هذا الأساس فقد حصر حديثه في جوانب شخصية الرجل، كجعله رئيساً على رابطة علماء المغرب وانتخابه عضواً في المجمع اللغوي العربي بالقاهرة، فتعرض إلى "زهده" على مستوى الوظيف وعلى مستوى "المادة".

في آخر هذه الجلسة، توصل المنظمون بخبر تلي على مسامع الحاضرين، مفاده أن المركز الثقافي الإسلامي بأمستردام كرم بدوره العلامة كنون ومنحه عضوية مجلسه، تقديراً لعطاءاته العلمية والفكرية والأدبية، كما تليت برقيات أخرى وردت على الندوة من جهات مختلفه، وصعد الأستاذ كنون إلى المنصة ليشكر المهتمين على حضورهم المكثف وإتحاد كتاب المغرب بأصله وفرعه على هذه البادرة، مسجلاً أسفه لكون المرأة لم تساهم في هذه الندوة.

بهذا التكريم الذي يعتبر حدثاً تاريخياً في عمر طنجة الثقافي تكون هذه "الطنجة" قد انفلتت من عقالها وخرجت عن صمتها وعانقت أياماً ثقافية نتمنى أن تستمر.

عبد الله كنــون، الباحـث الملتــزم

عرض الأستاذ عبد الكريم غلاب

وصدر الملحق الثقافي لجريدة (العلم) خاصاً عن ندوة عبد الله كنون، عدد 799، بتاريخ 1 نونبر 1986، وهذه نصوص البحوث والتدخلات التي احتوى عليها، يقول الأستاذ غلاب :

تعرفت على أستاذنا عبد الله كنون وأنا بعد في سني الدراسة الأولى. فقد كان الكتاب أول ما يضعه أساتذتنا بين أيدينا، وهم يلقنوننا اللغة أو الفقه أو الحساب، وأذكر أن كتاب الأدب العربي في المغرب الأقصى للمرحوم الأستاذ محمد ابن العباس القباج كان في مقدمة الكتب التي وضعت بين يدي، وكان عبد الله كنون في مقدمة من تعرفت إليهم عن طريق هذا الكتاب، وكان التعريف به في مقدمة ما حفزني إلى تتبع آثاره. فقد قدمه المؤلف شاعراً، كاتباً، باحثاً، مناضلاً. وتلك جماع شخصية الرجل الذي تعرفت عليه بعد ذلك في كل ما كتب وأنشد وبحث وناضل.

وهذه الصفات التي تكون شخصيته والتي برزت فيه في شبابه، فلاحظها مؤلف كتاب الأدب العربي في المغرب الأقصى، هي التي حددت طموحه إلى ركوب المركب الصعب في الدراسات الأدبية التي قام بها، ووضع خطتها في شبابه الأول. فمشاهير المغرب الذين خطط لدراسة نحو خمسمائة شخصية منهم، فيهم السياسي والعالم والكاتب والشاعر، مشروع ضخم لا ترقى إليه الاهمة طموح، والنبوغ المغربي في الأدب العربي مشروع أكثر طموحاً.

ولكن أهم من المشاهير والنبوغ الفكرة التي تملكته فدفعته إلى ريادة هذا الميدان.

ما من شك في أنه ولع بالتاريخ كما ولع بالأدب. وما من شك في أن دراساته الأصيلة في الفقه والأصول والتوحيد والنحو واللغة والبلاغة فتحت آفاق تفكيره ليتسع على قدر ما ضاقت بلاده في عهد الاحتلال. وما من شك في أن "منفاه" - إن صحت الكلمة - الاختياري مع والده من مدينتهم فاس إلى طنجة بعد الحماية جعلته يتطلع إلى شيء آخر غير ما يدرسه في الكتب وفي حلقات الدرس. إنها الحرية وسبيلها الدفاع عن الوطن. وفيما ولع به من أدب وتاريخ - ولم تكن هاتان المادتان مما يدرس في حلقات الدرس على عهد شبابه الأول - جانب من الحرية التي افتقدها وتطلع للدفاع عنها.

حينما يدرس التاريخ والأدب العربيين يجد أن كتاب التاريخ والأدب ظلموا المغرب وهمشوه، فخرج عن نطاق السلسلة العربية في التاريخ والأدب رغم ما قدمه المغرب للتاريخ العربي والإسلامي من مجد، لم يتمثل فقط في عبور بنيه إلى الأندلس وإقامة دولة الإسلام هناك لحمايتها من الانهيار طيلة ثمانية قرون، ولكنه تمثل كذلك في الدفاع عن الإسلام والعروبة ضد الصليبية التي هاجمت غرب العالم الإسلامي من المغرب بعد الأندلس، كما هاجمت شرقه من بلاد الشام ومصر، ورغم ما قدمه المغرب للفكر الإسلامي، ممثلاً في كل ضروب المعرفة من الفقه واللغة حتى الفلسفة والتاريخ والطب والرياضيات والأدب والرحلات.

المغرب خرج عن دائرة البحث عند الباحثين والكاتبين، فكان المشارقة منهم إذا غربوا وصلوا إلى القيروان ثم قفزوا سريعاً إلى الأندلس، وكأن الزقاق يبدأ من القيروان أو لعله من الشام ومصر، ولا ينبغي أن نلوم في ذلك المشارقة بمقدار ما نلوم أنفسنا. فما يزال المغاربة يتهيبون القلم، وما يزالون يفعلون ولا يقولون، وما يزالون يستخفون بما أنتجه السابقون واللاحقون منهم في فنون المعرفة، ويقدمون ما أنتج في المشرق، وكأن الوحي ما يزال ينزل هناك، ولم تمتد أفضاله إلى بلادهم.

هذه الظاهرة التي لاحظها القدماء على مثقفينا ومؤرخي الحضارة الفكرية في بلادنا نجدها تمتد إلى المحدثين. فالكتاب المغربي قد يجد مكانه في تونس أو بلاد الشام والعراق أكثر مما يجد قارئه في المغرب. والإبداع المغربي قد يقدر من ناقد مصري مثلاً - ولا أعني بالتقدير المدح - ولا يجد من ناقد مغربي إلا معولاً طائشاً يهدم ولا يبني.

ظاهرة غريبة قد نجد تفسيرها في علم النفس حينما يبحث ظاهرة تعذيب

الذات، وقد نجد تفسيرها في بساطة التفكير التي عبر عنها المثل المشهور القائل : مغنية الحي لا تطرب، ولكنها، مع ذلك، ظاهرة تستحق الدراسة والبحث.

لم نبعد كثيراً عن الموضوع، فالأستاذ عبد الله كنون حينما ولع بالأدب والتاريخ، واستعمل كلمة "ولع" وأنا أقصد دلالتها الفكرية واللغوية، اكتشف هذه الظاهرة بحسه الذكي وبتفتق ذهنيته وهو بعد شاب لم يتجاوز العشرين من عمره، قرأ تاريخ المغرب فوجده في أغلبه تاريخاً "سياسياً"، وجانب خاص من التاريخ السياسي فحسب هو جانب الصراع القبلي والصراع على الحكم، ووجد لغته لا تتفق مع المضمون الحقيقي لهذا التاريخ. فإذا اجتاز يوسف ابن تاشفين المغرب إلى الأندلس فإنما ليقضي على ملوك الطوائف ويمتلك الأرض التي سمع عن خضرتها وبهائها وإنتاجها، كأن المغرب كان آنذاك صحراء من موريطانيا حتى الزقاق. وإذا قامت دولة الموحدين فإنما لتقضي على المرابطين وتشتت شملهم وتريح المغرب من وجودهم. وإذا أحرق كتاب الأحياء للغزالي فإنما ذلك لأن جماعة من الفقهاء كانت تسيطر على السياسة والحكم في البلاد بعقلية جامدة متخلفة، دفعت إلى إحراق كتاب. وإذا كتب كاتب عن تاريخ المغرب فمن السهل أن يزعم أنه لم يعرف إبداعاً أدبياً في الشعر والنثر، ولم يعرف نهضة فكرية وعلمية في الفلسفة والرياضيات. وإذا ذكر أحد من مشاهير المغرب ينسب للأندلس، ولو لم يعرف من الأندلس إلا ما يعرفه زائر عابر.

الأمثلة كثيرة من هذا الظلم لتاريخ المغرب الأدبي والفكري والحضاري، إذا كان لغير المغاربة ضلع فيه فإن للمؤرخين المغاربة أيضاً اليد الطولى.

الأستاذ عبد الله كنون كان مغرماً بدراسة الأدب والتاريخ المغربيين على الأخص، في وقت كانت تتكون عنده حاسة أخرى هي حاسة الوطنية التي عرفها جيل ما بعد الهزيمة، وبالأخص الجيل الذي استيقظ وعيه مع الثورة الريفية، أو هي الحرب التحريرية الريفية، كما كان يفضل قائدها المجاهد البطل محمد بن عبد الكريم الخطابي أن يسميها.

والأستاذ كنون أدركه هذا الوعي من منطلقين :

أولهما : هجرته مع والده من فاس، مسقط رأسه، وهو بعد يافع لم يعد السادسة من عمره. ولا شك أن والده العالم الفقيه الورع الذي أقدم على هذه الهجرة

كان يحدثه عن أسبابها، ويحدثه أن احتلال الفرنسيين للمغرب من شأنه أن يدفع إلى الجهرة، وكان يقصد الهجرة إلى المشرق فقعدت به الحرب في طنجة.

وثانيهما : الحرب الريفية، إلى جانب المقاومة المسلحة التي كان يقوم بها أبطال الأطلس. فهذه الحرب أيقظت الوعي في شباب المغرب الذين كونوا الخلايا الأولى للحركة الوطنية في منتصف العشرينات، والتي شملت في نفس الوقت شباب الجنوب، أو ما كان يسمى جنوباً في فاس والرباط، وشمال الشمال في تطوان وطنجة، وكانت الصلة محكمة بين هذه الخلايا جميعها.

هناك إذن ميدان يجب أن يقوم فيه الشباب بواجبهم النضالي لتحرير المغرب من ربقة الاستعمار، ولكن تحرير المغرب والدفاع عنه عند الواعين من شبابه آنذاك، الذين شغفوا بدراسة تاريخ بلادهم وآدابها وحضارتها يجب أن يكون سياسياً وثقافياً في آن واحد.

ومن هنا نجد أن الذين كانوا مولعين بالتاريخ السياسي لم يكونوا فقط يواجهون سياسة الحماية بالانتقاد والفضح والعرائض والمظاهرة، ولكنهم أيضاً كانوا يواجهونها بالتعريف بالتاريخ السياسي لبلادهم، وبالكشف عن المؤامرات التي قام بها الأجانب للتدخل في الشؤون الداخلية لبلادنا وللانتقاص من السيادة المغربية، واحتلال أجزاء من المغرب تدريجياً حتى أجهزوا عليه بالمؤامرة الخطيرة التي تمت بين الدول الكبرى، وأخيراً بالاحتلال الثنائي سنة 1912. أما الذين كانوا منهم مولعين بالأدب والتاريخ فقد وجدوا مكانهم للدفاع عن هوية المغرب الثقافية والحضارية في الكشف عن مشاهير رجاله ونبوغ أبنائه في الأدب العربي، وكان في مقدمتهم الأستاذ عبد الله كنون.

هناك حقائق لا بد أن أشير إليها :

أولها : أن الدفاع عن المغرب في هذا الميدان لم يكن فقط مواجهة المستعمر الذي كان ينكر على المغرب أن يكون له كيان أمة أو شعب أو دولة أو وحدة، فأحرى أن يكون له كيان علمي وأدبي، وإنما كان أيضاً مواجهة لكثير من دراسي التاريخ العربي الذين لم يكونوا يعرفون مكان المغرب، من تاريخ العرب والإسلام، وكانوا يقفزون كما قلنا من المشرق أو من القيروان إلى الأندلس، وكأن الزقاق بدأ هناك.

ولهذا استقبل النبوغ المغربي وذكريات مشاهير المغرب بإعجاب كبير إن لم

يكن باستغراب. ولهذا نجد رجلاً كالأمير شكيب أرسلان، وهو من أول وأشهر المشارقة الذين تعرفوا على المغرب وقرأوا عنه الكثير، يقول عند قراءة الجزء الأول من الكتاب في صفحته الأولى : "كنت أعهد نفسي من بين المشارقة الرجل الذي أطلع أكثر من غيره على تاريخ المغرب وأهله، وأنعم النظر فيما يتعلق بثقافته وسياسته وسائر شؤونه، ولكني رأيت نفسي بعد أن طالعت هذا الكتاب الصغير حجمه الكبير قدره كأني لم أعلم عن المغرب قليلاً ولا كثيراً، وكدت أقول أن من لم يطلع على هذا الكتاب لا يحق له أن يدعى في تاريخ المغرب الأدبي علماً ولا أن يصدر على حركاته الفكرية حكماً".

هذه الفقرة، التي كتبها الأمير شكيب أرسلان تؤكد بصدق مدى جهل أهل المشرق بالتاريخ الأدبي والعلمي للمغرب، وتؤكد من خلال ذلك قيمة هذه المرافعة الدفاعية الكبرى التي قام بها الأستاذ عبد الله كنون عن كيان بلاده المعرفي والأدبي.

وثاني هذه الحقائق أن عبد الله كنون لم يكن يمتح وهو يكتب المشاهير والنبوغ من عين ثرة أو من نهر فياض، وإنما كان يستقرئ بطون الكتب المخطوط منها والمطبوع ليؤلف بين الشذرات المتفرقات هذا التاريخ الحافل، الذي ظلمه أهله كما ظلمه الغرباء عنه على السواء، ولم يكن ليستطيع ذلك لولا ثقافته الواسعة ومعرفته بمظان المعرفة أولاً، ولولا تقديره لأهمية الخطة الدفاعية التي يقوم بها لإخراج الحجج القاطعة من التاريخ العلمي والأدبي لهذه البلاد.

وثالثة الحقائق أن الباحث الملتزم تعمد أن يكون كتابه دفاعاً لا بحثاً محايداً، فهو، وقد أخلص للبحث العلمي واعتمد على مصادر دقيقة، ولم ينسب للمغرب إلا ما كان له، أعطى لبحثه عنواناً فيه كثير من التحدي حينما سماه النبوغ المغربي أو حينما سمى أبحاثه عن الشخصيات المغربية "ذكريات مشاهير رجال المغرب" ورابعة الحقائق، أن الأستاذ عبد الله أخذ نفسه ـ كعادته دائماً ـ بالمركب الصعب، كتاب النبوغ المغربي ـ وهو مثلنا المتميز في أبحاثه ـ كتاب أدب، كما يؤكد ذلك اسمه، ولكن يجد نفسه مضطراً أن يقدم بين يدي الصورة الأدبية الصورة السياسية، يتحدث عن الفتح الإسلامي للمغرب عن انتشار الإسلام، عن استعراب المغاربة، ويناقش هذه القضية مناقشة علمية، لا يستثني في ذلك بحث الصراع بين العرب والمغاربة وأسبابه الحقيقة. هكذا يفعل في فصل المرابطين وفي فصل الموحدين إلى آخرفصول الكتاب.

لم يستهدف من اهتمامه بالجانب السياسي كتابة التاريخ السياسي لهذه الدولة أو تلك، ولكن، وقد تملكه روح الدفاع عن المغرب، استهدف آثاره قضايا في حاجة إلى دفاع، وفي حاجة إلى إنصاف، من هنا نرى أن عبد الله كنون، وهو يناقش ـ مثلاً ـ قضية الصراع بين العرب والمغاربة ترك الأحداث، وموضوعها التاريخ السياسي، ليناقش ما وراء الحدث، ليؤكد أن "مثار النزاع أولاً إنما كان لأجل استبداد العرب بوجوه المنافع، واختصاصهم بالمناصب العالية في الدولة، فبدأت المطالبة بالمساواة في الحقوق، ثم استفحل الداء فبدأ المغاربة يشعرون بالخطر يتهددهم، وأنهم، ان لم يتلافوا الحال، ربما أفضى الأمر إلى محو وجودهم السياسي، ثم لما استحلوا الظفر واستمرأوا طعم الظهور، لم يبقوا قانعين بما حصلوا عليه فتعلقت آمالهم بالملك والإمارة وساروا في سبيلهم متحمسين".

هذا الدفاع المنصف لم يكن دفاع محام يريد أن يكسب القضية لأنه موكل بكسبها، ولكنه كان دفاع عالم يبحث عن الحقيقة بين ترهات كثير من المؤرخين فوجدها، وظهرت وهو يجدها شخصية الوطني الغيور على وطنه إلى جانب العالم الباحث، الغيور على الحقيقة، المتفهم لأسرار النفس الإنسانية المغربية ـ في آن ـ التي تفرق بين الامتثال للإسلام والثورة لكرامة المواطنين، واختفى من هذا البحث المتعدد الأبعاد التقدير للعرب، وكثير من جوانب البحث تنبئ عن ذلك والتعصب للوطن وللمواطنين المغاربة، وكثير من جوانب البحث تشير إلى ذلك".

ومثل هذا البحث العلمي نجده في قضايا مهمة، قضية استعراب المغرب وقضية الفكرة الإصلاحية التي قامت عليها دعوة الموحدين ومناقشته العلمية القوية لآراء المستشرق الهولندي دوزى، الذي زعم أن مبدأ إضمحلال الأندلس يعود إلى تاريخ استيلاء المرابطين عليها وهي قولة وجدت أصداءها عند كثيرين من الذين كتبوا في التاريخ السياسي والتاريخ الفكري للأندلس، وخاصة من المشارقة، وجدت أصداءها لمجرد أن دوزى هو قائلها. وفي زمننا ذاك يوم كتب الأستاذ عبد الله كنون هذا البحث، كان المستشرقون مقدسين، وكلامهم يؤخذ مأخذ الوحي، لأنهم كانوا يعرفون كيف يسبغون على أبحاثهم لباس العلم والبحث، وكيف يتطاولون على بعض المسلمات فينقضونها؛ ولذلك كان الرد عليهم وتسفيه مقولاتهم مما يعبر عن شجاعة أدبية وعن قدرة على التفوق في التحليل العلمي، وهذا ما قام به عبد الله كنون حينما أكد بالأدلة أن "الازدهار الذي عرفته الأندلس أيام المرابطين ثم الموحدين بعدهم يكاد

يفوق ما كان لها منه في أيام الخلفاء وملوك الطوائف، وخاصة في ميدان العلوم والأدب"، وذهب يعدد أسماء الفلاسفة والأطباء والعلماء والفقهاء والصوفية في مظهريهم التعبدي والفلسفي واللغويين والنحاة والمفسرين والمقرئين إلى آخر القائمة.

ويأخذ عبد الله كنون بخناق دوزي بمناقشة هفوتين إذا أخذتا على دولتين عظميين كالمرابطين والموحدين، فقد أخذت غيرها كثير على كل الدول الإسلامية والمسيحية، وهما حادثة إحراق كتاب الأحياء في عهد علي بن يوسف، وحادثة الإساءة إلى الفيلسوف ابن رشد في عهد الموحدين.

تكاد تشعر وأنت تقرأ هذا الفصل بتجليات المحامي الكبير وهو يترافع عن قضية حق آمن بها وهاله ظلم المتهم فيها، ولكنك وأنت تشعر بحماس الخطاب تعترف في نفس الوقت بقوة العالم، وقدرته على استخدام أدوات البحث.

وأذكر أني اكتشفت هذا الخط الدفاعي في أبحاث الأستاذ كنون يوم قرأت في مجلة السلام انصافه ليوسف بن تاشفين في قضية المعتمد بن عباد، وكنا يومئذ مغرمين بالشعر الوجداني العاطفي، كما كنا نقرأه عند بعض الكتاب الشرقيين الذين صوروا حياة المعتمد كرجل مظلوم سيق إلي الأسر، لأن يوسف بن تاشفين تآمر عليه وأسره وساقه مكبلاً إلى أغمات حتي مات فقيراً أسيراً يندب حظه العاثر. ولا أكتم أني ظللت على تعصبي لإبن عباد رغم دفاع الأستاذ عبد الله كنون، وحينما عدت إلى هذا الموضوع بعد أن نضج مني الفكر والرأي تساءلت مع عبد الله كنون :

ـ ماذا كان مصير الأندلس لو استمع يوسف إلى أبيات شعرية تافهة كان يجيد كتابتها المعتمد، وهو يتآمر على بلاده مع الزاحفين على الأندلس ضد ملوك الطوائف الآخرين ؟

ونفس الاتجاه الدفاعي نجده في دعوى تقاعس يعقوب المنصور الموحدي عن نجدة صلاح الدين الأيوبي في حربه ضد الصليبيين، فقد رفض عبد الله كنون أن يكون السبب هو اللقب بأمير المؤمنين. ومن بطون التاريخ استخرج عبد الله كنون الحقيقة وهي أن صلاح الدين بعث بمولاه قراقوش إلى بلاد المغرب ففتح طرابلس ووضع يده في يد خصوم الموحدين مما سبب متاعب كثيرة ليعقوب المنصور فصرفته عن صد الهجمات التي كان نصارى إسبانيا يقومون بها على أطراف الأندلس، منتهزين فرصة انشغال دولة الموحدين بقضايا المغرب العربي، كما انتهزوا من قبل

فرصة ضعف المرابطين للهجوم على أطراف أخرى، وكما انتهزوا قبل ذلك فرصة ضعف ملوك الطوائف لمحاربة استرجاع الأندلس جميعها.

فهذا ليس دفاعاً لمجرد الدفاع، ولكنه دفاع لإثبات الحقيقة التاريخية التي تضع أحداثاً مهمة في التاريخ، تتصل بهجوم الصليبيين في المشرق والمغرب، وكل من يعقوب المنصور وصلاح الدين قام بواجبه، ومن لا يدرس الحروب الصليبية بشمولية تصل ما بين شرق العالم الإسلامي وغربه لا يمكن أن يصل إلى هذه الحقيقة.

إذا أخذنا كتاب النبوغ من عنوانه نجد أن المؤلف ظلم الكتاب حينما أسماه النبوغ المغربي في الأدب العربي. فقد كان منهجياً في بحثه أكثر مما عبر العنوان، ذلك أنه يضع الأدب في مناخه السياسي والعلمي، والأدب في مختلف العصور وعند جميع الشعوب وفي كل اللغات، مرتبط بالحياة السياسية والفكرية والثقافية عموماً؛ ولذلك نجد الأستاذ كنون يخلص لتأريخ الأدب في المغرب من الباب الواسع فيتحدث مثلاً عن نشأة الموحدين السياسية، ابتداء من نشأة محمد (المهدي) بن تومرت في قبيلة هرغة بالسوس إلى قيام عبد المومن بتوحيد المغرب العربي والمنصور بتوحيد بلاد المغرب بالأندلس إلى واقعة العقاب على عهد الناصر.

في هذا المناخ السياسي تتضح الحركة العلمية والثقافية عموماً، وكان ذلك هو التمهيد الثاني في كل عصر من العصور التي تدارسها عبد الله كنون بقي في كتاب النبوغ. وقد خص عهد الموحدين بفضل مهم عن الحياة العلمية والفكرية، ناقش فيه كثيراً من القضايا الأساس التي ميزت الفكر الموحدي التقدمي الرجعي في آن، المناهض لعلوم الفروع، والمؤيد لعلم الكلام والفلسفة والاجتهاد.

في هذا المناخ السياسي والعلمي يدرس كتاب النبوغ الحركة الأدبية ويترجم للأدباء والعلماء والفلاسفة على السواء.

ومن هنا جاء كتاب النبوغ شاملاً للبحث في قضايا السياسة والفكر والعلم والأدب على السواء. وقد أشار إلى ذلك في مقدمة الطبعة الأولى وهو يعرف بالكتاب حينما قال : "هذا كتاب جمعنا فيه بين العلم والأدب والتاريخ والسياسة، ورمينا بذلك إلى تصوير الحياة الفكرية لوطننا المغرب وتطورها في العصور المختلفة، من لدن قدوم الفاتح الأول إلى قريب من وقتنا هذا".

ويبدو أن الأستاذ كنون بقي في نفسه شيء من هذه الجملة الأخيرة " قريب من وقتنا هذا"، كما بقي في نفس بعض كبار النحاة شيء من "حتى"، ولذلك أدخر له

القدر أن يحذف من الجملة كلمة "قريب" فيصل الماضي بالحاضر، ويكتب أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، رغم أنه تملص عدة مرات من إكمال الحلقة لأن الأدب الحديث ليس من اختصاصه. فقد طلب إليه "معهد الدراسات العربية العالية"، التابع للجامعة العربية أن يلقي محاضرات على طلبته عن الأدب الحديث في المغرب، فكان هذا الكتاب الجيد الذي أعتبره الجزء الأخير من "النبوغ المغربي". وقد جاء هذا الجزء إحياء لفترة مهمة من تاريخ الأدب المغربي، كان يمكن أن تضيع لو لم يتداركها الأستاذ كنون. فبعض الفترات التي تحدث عنها كانت قريبة من جيله، وكانت بعض الأسماء ما تزال تتردد بين طلاب العشرينات، فاستطاع أن يستفيد من المصادر التي استقرأها، وكان كما قال "أكثرها من الجرائد والمجلات التي صدرت في المغرب منذ بداية هذا القرن، «وفعلاً فقد نفضت ما لا يقل عن عشرة آلاف صحيفة وانتقيت منها ما يلزمني لهذا العمل». هذا الجهد لا يقوم به إلا من تعشق البحث عن الشوارد، واعتبر عملاً كهذا يلقى على طلبة من مختلف البلاد العربية يدرسون في القاهرة، ثم ينشر في كتاب مهمة وطنية علمية من نوع المهمة الدفاعية التي قام بها وهو يكتب النبوغ المغربي.

هذ الكتاب وثيقة عن فترة مهمة، رغم ظلامها، وهي الفترة التي أخذ الاستعمار يهيء للانقضاض على المغرب في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن، وكان الجانب السياسي والثقافي في هذه الفترة متكاملاً، وهو الذي مهد للفترات التي تلت ذلك حتى بداية الاستقلال حينما ألقى هذه المحاضرات في بداية الستينات.

والدراسة التي قام بها تجمع بين التاريخ والتسجيل والنقد. وقد استطعنا أن نتعرف على شخصيات أدبية مهمة ما تزال في حاجة إلى إفراد بالدراسة، سواء من الكتاب والشعراء الذين تحدث عنهم في الفصل الأول على عتبة العصر الحديث "أو الذين تحدث عنهم في فصلي فجر النهضة".

إذا كان الأستاذ عبد الله كنون قد سكنه روح الدفاع عن كيان الوطن الفكري والثقافي، والمغرب يومئذ مسلوب السيادة، منزوع الإرادة، فإنه ما يزال يقف على منبر أكاديمية المملكة المغربية ليقدم أبحاثه بنفس نضالي وبقدرة على البحث والمحاجة العلمية والمنطقية.

وما يزال يعطي للأجيال المتعاقبة الدرس في الالتزام العلمي، والاستقامة

الفكرية، والممارسة المستمرة للعمل الذي نصب نفسه له منذ تفتق شبابه عن عالم باحث مناضل.

بارك الله في عمرك أخي وأستاذي الكبير عبد الله كنون، متمتعاً بصحتك ونشاطك، وأفاد بعلمك وعملك أجيال المثقفين والباحثين. فمثلك من تؤخذ الدروس بين يديه، وتكون كتبه على مر الزمان نبراساً لهداية المهتدين في ميدان العلم والبحث والتفكير.

"النبوغ المغربي"
وتاريخية الأدب العربي في المغرب

عرض الدكتور عباس الجراري
ألقاه ارتجالاً وقامت الأستاذة نجاة المريني بتغطيته

يسعدني أن أشارك في هذا الحفل التكريمي، الذي يقيمه إتحاد كتاب المغرب (فرع طنجة) لأحد رواد الفكر والثقافة في هذا البلد، ولعالم هو في طليعة العلماء العاملين المصلحين. إننا إذا كنا نحتفل اليوم بالعالم الأستاذ عبد الله كنون، فليس لأنه في حاجة إلى هذا الاحتفال أو لأنه يتوقعه، لأنه من صنف أولئك الرجال الذين يعملون ولا ينتظرون الجزاء إلا من عند الله. إننا نحتفل به ونسرع للمشاركة فيه لسببين اثنين :

1. اعترافاً لهذا الرجل الذي وهب نفسه لوطنه وللعلم والثقافة.

2. لننبه الأجيال إلى مثل هؤلاء الرجال الأفذاذ، الذي خدموا وطنهم وضحوا من أجل وطنهم.

ثم نحن بهذا وذاك نلغي تلك القولة الشائعة عن المغاربة بأنهم لا يعترفون لآبائهم بالفضل، وأنهم لا يذكرونهم إلا بعد أن تنتهي حياتهم. إننا نثبت بهذا التكريم بأن المغاربة أوفياء، وسيظلون أوفياء في مجال العلم وغيره.

أعترف منذ البدء أن الحديث عن الأستاذ عبد الله كنون صعب، لأنه متعدد الجوانب، تبعاً لجوانب شخصيته المتعددة، فهو معلم جيل، داعية مصلح، عالم، فقيه، محدث، لغوي، مؤرخ، وهو بعد هذا أديب، شاعر مبدع، وكاتب بارع، وهو بهذا وغيره وجه من وجوه المغرب في خارج الوطن. الحديث عن الأستاذ كنون متشعب الجوانب، متعدد الآفاق، لهذا سوف أقتصر ـ في هذا العرض الوجيز ـ علي جانب من هذه الجوانب، وهو الحديث عن كتاب النبوغ المغربي في الأدب العربي وعن أهميته.

كتاب النبوغ المغربي لا يمكن أن نتحدث عنه إلا لنقر بأنه فريد في بابه، وأنه سبق به إلى طرق باب من أبواب التأليف لم تكن معهودة أو معروفة عند المغاربة. الأدب والتاريخ للأدب جديد بالنسبة لاهتمامات المغاربة، ليس لأنهم لم يكتبوا الأدب، بل لأنه مشتت ومفرق في كتب كثيرة ومظان متنوعة، إنه في كتب التراجم والطبقات والتاريخ والرحلات والنوازل والفقه، وأن يأتي عالم متمكن وأن يضع يده على هذه المصادر ليخرج منها شيئاً يكون نواة كتاب النّبوغ، فعمل جليل له قيمته وله أهميته، ذلك أن الحديث عن الأدب في حد ذاته في فترة تأليف كتاب النبوغ لم يكن درساً أو موضوعاً يهتم به كبقية العلوم المتدارسة في المساجد، بل كان هناك من العلماء من يحارب درس بعض العلوم، ومن بينها الأدب. كان درس الأدب إذن يلقى في المناسبات كالمولد النبوي، فتدرس الهمزية والبردة، ثم ينصرف العلماء عن الدرس الأدبي إلى مناسبة أخرى. اما أن يؤلف كتاب في الأدب يجمع أطرافه قبل خمسين سنة فيعد حدثاً يؤرخ له في مسيرة فكر المغرب. إنه يختلف عن بعض المحاولات التي عاصرته أو سبقته بعض الشيء، وذلك حين نطرح قضية التأريخ للأدب وننظر في كتاب النبوغ. فسيظهر ـ دون شك ـ قيمته الكبيرة. نعني بهذا أننا سننظر إلى بعض الأعمال الأخرى التي سبقته، وأهمها ثلاثة :

1. المنتخبات العبقرية للمدارس الثانوية. وقد ألفه سنة 1920 م أحد العلماء الفقهاء المشهورين، الشيخ محمد السايح، لطلاب المدارس الثانوية، وبصفة خاصة لطلاب المدرسة اليوسفية بالرباط، وهو كتاب يقوم على تقديم مختارات في الأدب المغربي والأندلسي، أي أنه كتاب مدرسي مهم في بابه، ولذلك فإنه يبقى كتاباً مدرسياً.

2. تاريخ الشعر والشعراء بفاس. ومؤلفه الأستاذ النميشي سنة 1924 م، وهو عبارة عن مسامرة أدبية، ذات أهمية كبيرة، اقتصر فيها على استعراض أسماء الشعراء في تعريف خفيف قد لا يتجاوز السطرين.

3. كتاب الأدب العربي في المغرب للقباج. وقد كتبه سنة 1928 م، وهو كتاب مهم بالنسبة للفترة التي كتب فيها، غير أنه اقتصر على معاصريه من شيوخ وشباب. إنه عبارة عن تراجم مختارة، أغلبها كتبها أصحابها بأقلامهم مع نماذج شعرية، لذلك نتساءل : أين نحن من التاريخ للأدب المغربي في شموليته واتساعه. باستعراض هذه المؤلفات الأدبية التي سبقت مؤلف النبوغ للأستاذ كنون يمكن القول بأن الكتاب فتح جديد ومعلمة بارزة متميزة لا يناقش فيها أحد. إن أهمية الكتاب لا تكمن فقط في السبق بالتاريخ لتاريخ المغرب وأدبه، بالنسبة للمؤلفات السابقة، ولكنها تكمن في عناصر ثلاثة :

1. عنصر معرفي أو تعريفي : ففيه يعرف بالأدب المغربي منذ نشأته إلى أقرب مرحلة للمؤلف، منذ خطبة طارق إلى فترة متأخرة. إن الأستاذ كنون يقدم معرفة منتقاة مكتملة، مهذبة، ولا شك أن هذا العمل من الناحية المعرفية له قيمته الكبرى بالنسبة للمغاربة الذين كانوا يجهلون كل شيء عن الأدب المغربي وعن لقطاته المختلفة، وهو بالنسبة حتى للمشارقة وغيرهم يقدم معلومات وفيرة وصورة مكتملة عن الأدب المغربي عبر مراحل تطوره أو عبر عصوره. لقد ألف الكتاب في فترة ألفت فيها كثير من كتب الأدب العربي للمدارس، لا نجد فيها شيئاً عن الأدب المغربي، بل الغرب الإسلامي كله مهمل وضائع، حتى الأندلس لا نجد لها إلا مكاناً ضيقاً، وربما، حسب منهج مؤرخي الأدب العربي، لم يجدوا مكاناً لهذا التقسيم. أين يضعون الأندلس ؟ في أي عصر ؟ إن البستاني مثلاً يضع الأندلس مع عهد الانبعاث، ومن ثم يظهر أن التصور المنهجي خاطئ، فضلاً عن جهل إخواننا المشارقة لهذا الأدب.

2) عنصر وطني. إن الكتاب يقدم الثقافة الوطنية والفكر المغربي. إن كنون وهو يؤرخ للأدب والفكر المغربي يسعى إلى التعريف بالثقافة المغربية عبر العصور في أصالتها وإبداعها. لقد كان للكتاب دور في تحريك الشعور الوطني وبعث الهمم وتحريك الوجدان. فالأستاذ كنون إذن يهدف في كتابه إلى التوعية الوطنية، لذلك نجد السلطات الأجنبية تمنعه من التداول. لماذا ؟ لأنه إشعاع سيعمل على بث روح جديدة في روح الأمة التي تتطلع إلى الاستقلال.

3. عنصر مهنجي. بإدراك ما يعاني منه الأدب المغربي من تشتت وضياع، لقد جعل الأستاذ كنون كتابه منسقاً ومنظماً، إضافة إلى أن له منهجية معينة. إننا الآن مازلنا نتحدث عن المنهج، والكتاب قد طرح هذه القضية قبل خمسين سنة، فهو يمتاز بمنهجية متميزة واضحة في ذهن صاحبها. إنه يصور الرؤيا قبل أن يكون

طريقة بحث، وهي رؤيا واضحة. وبالنسبة للمنهج لا بد من تحديد عناصره : كون الكتاب يتحدث عن المغرب، هذا لا شك، يدخل في نطاق ما يسمى منهجاً إقليمياً، ليس بالمفهوم الذي طرحه دعاة الإقليمية في الغرب أمثال تين، والذين أرادوا بهذه الإقليمية أن يخضعوا التعبير الأدبي لعناصر البيئة. إن المنهجية الإقليمية في كتاب النبوغ تهدف إلى الوحدة، وهذا واضح في العنوان : النبوغ المغربي في الأدب العربي. إنه خطوة لتكميل الصورة لما يقدمه الآخرون في الأدب العربي، يقول الأستاذ كنون صراحة في مقدمة كتابه مما يدل على رؤيا واضحة : "لم أكن أهدف به إلى تمييز أدب المغرب بميزة ليست في الأدب العربي العام، ولا إلى تخصيصه ببحث مستقل يجعله في نظر المغاربة أو غيرهم كتاباً خاصاً بأدب قطر من أقطار العروبة على حدته، وإنما كان مقصودي الأهم من تأليفه هو بيان اللبنة التي وضعها المغرب في صرح الأدب العربي الذي تعاونت على بنائه أقطار العروبة كلها. وذكر الأدباء المغاربة الذين لم يقصروا عن إخوانهم من المشارقة ومغاربة بقية أقطار المغرب العربي في العمل على ازدهار الأدبيات العربية على العموم : "يتضح من هذه الفقرة التي استهل بها الأستاذ كنون مقدمة كتابه أن الإقليمية في الكتاب مرحلية، وهي خطوة نحو الوحدة الشاملة نحو الأدب العربي.

عنصر آخر في هذه المنهجية هو مفهوم المؤلف للأدب، إذ لا يمكن لأي باحث أن يدرس أو ينقد دون أن يكون له مفهوم واضح لمادته. إن مفهوم الأستاذ كنون للأدب عام وشامل، هو رديف الفكر أو الثقافة بصفة عامة، فهو يتحدث عن الفقه والفقهاء، والحديث والمحدثين والعلم والعلماء والأدب والأدباء. وهذ العنصر المنهجي ذو قيمة، ليس لأن صاحبه مؤلف ومشارك وعالم وفقيه، بل لأن هذه القضية ما زالت تحتفظ بكل صلاحيتها. المفهوم المتسع للأدب لا يمكن إلا أن نربطه بمختلف الخلفيات والحيثيات التي كانت تحفز الأستاذ كنون على تأليف هذا الكتاب.

من مميزات الكتاب المنهجية أنه يربط الأدب بالسياسة، وهذه قضية كبرى في المنهج، ذلك أن الأمر بالنسبة للمغرب قد يبدو من العسير الحديث عن تاريخ الأدب من غير أن يكون العنصر السياسي مطروحاً.

فمن الصعب علاج هذا العنصر الذي ترتبط فيه الأحداث السياسية بالأديب، ومن ثم حاول المؤلف الأستاذ كنون أن يحقب هذه الأزمنة من الفتح الإسلامي إلى العصر العلوي، وسيظل محتفظاً بهذا التحقيب. ففي الطبعة الأولى كان هناك تداخل مقصود بين العصرين المرابطي والموحدي؛ وفي الطبعة الثانية عاد المؤلف إلى

العصرين فقسمهما، هذا التقسيم السياسي الذي سبق أن اتخذ من طرف المؤرخين انتقد عند كنون، لكن ليس لأنه طرح العنصر السياسي، لكن لأن العنصر السياسي الذي وجد في زمان ما حاول أصحابه أن يفرضوه في شيء غير قليل من التعسف على أصحابه. بالنسبة للكتاب فإنه لا يتعسف، فهو يخضع الأدب لهذا التقسيم لجمع الشتات، لذلك لا يمكن أن ينتقد منهجياً أو معلومياً، قد نطرح سؤالاً إلي أي حي يمكن إخضاع الإبداع الأدبي للسياسة ؟ إن هذا السؤال ما زال مشكلاً مطروحاً. هل يخضع الأدب للسياسة أم السياسة هي التي يجب أن تخضع للإبداع. إنها قضية معلقة عملياً، وحين يسير الأستاذ كنون في الخط الذي يربط الأدب بالسياسة فإنه حتماً مقتنع بمسايرة الأدب للسياسة، وهذا واضح في كتابه. إنه حين يتحدث عن اهتمام السلاطين والملوك بالأدب والعلم، أو حين يتحدث عن اهتمامات بعض الملوك وما كان لها من أثر ومن انعكاس على المسيرة العلمية والأدبية، كما حصل في عهد يوسف بن تاشفين، حيث نشطت الفلسفة في عهده لاهتمامه بها، كما نشط الحديث في عهد يعقوب المنصور الموحدي لاهتمامه به، وهذا يكشف عن إقتناع المؤلف بأن الأدب يتأثر بالسياسة ويسايرها ويواكبها.

كذلك نجد المؤلف في استعراضه لهذا التاريخ يقف عند أعلام هذا التاريخ يترجم للعلماء والأدباء والفقهاء الأطباء. إنه يشكل قسماً واضحاً في الكتاب، فهو يتحدث عن الحركة العلمية وعن العلماء البارزين، ويتحدث عن الأدب وعن الأدباء البارزين، وهذا عنصر مهم أثرى الموضوع، وأضاف جيداً بالتعريف بالإعلام وبأعمالهم.

والأستاذ كنون لا يكتفي بالتاريخ الاستعراضي في كتابه. إنه يضيف شيئاً أخر مازلنا في حاجة إليه الآن، وهو النصوص. إنه يقدم مختارات ونصوصاً كاملة يمكن الاستفادة منها بإعطاء صورة عن هذا الشاعر أو ذاك. الأستاذ كنون كان يشعر بأهمية النصوص، فهو حين ألف كتابه في البداية (أول طبعة سنة 1937) جعله قسمين : أحدهما للدراسة، والثاني للنصوص. وعندما أعاد الطبعة سنة 1961 م جعل جزء للمختارات الشعرية وآخر للنثرية. والمؤلف حين يتناول هذا التاريخ يناقش بعض المشاكل في تاريخ أدبنا، يطرح قضايا شائكة في أدبنا، كقضية خطبة طارق، التي ظلت تتناقش إلى سنوات قريبة؛ قضية يوسف بن تاشفين والمعتمد ظل النقاش فيها مستمراً، والمؤلف يزيل الغبار عن كثير من المشاكل ويطرحها للنقاش ويبدي الرأي فيها.

ومن مميزات المنهج في الكتاب أن المؤلف يتدخل في هذا المكان أو ذاك باعتباره ناقداً لهذا الأدب، باعتباره صاحب رأي أو وجهة نظر. إنه نقد تدركه في ثنايا الكتاب، وهذا مهم، لأن كثيراً من الانتقادات التي وجهت للمنهج الإقليمي، حيث لا يمكن للأدب أن يخضع للبيئة، وهي لا يمكن أن تتحكم في المبدع، بمعنى، حسب هذه الإقليمية، أننا نتعامل مع أشياء كثيرة في التعبير الأدبي إلا المبدع أو الإبداع من حيث هو شيء يعبر عن ذات صاحبه لانصادفه في هذا المنهج. كتاب النبوغ وهو يسير وفق منهج إقليمي يتعامل مع المبدع والإبداع، وبذلك ينجح المؤلف في دحض كل الانتقادات الموجهة إلى اتباعه لهذه الإقليمية.

باستعراضنا لهذه العناصر الثلاثة الهامة، التي يتميز بها كتاب النبوغ المغربي في الأدب العربي، يمكننا أن نتساءل أين يمكن تأطير الكتاب بهذه الشمولية المعرفية وبهذا المنهج المتكامل ؟ هل هو تاريخ للأدب ؟ وكيف هو هذا التأريخ ؟ هل هو دراسة الأدب بمنهج تاريخي أم ماذا ؟يمكن القول بأن الذي يتصور أن مجرد تقسيم بحث أو كتاب في الأدب إلى أحقاب سياسية معينة، قد يجعله خاضعاً للمنهج التاريخي مخطئ في تصوره، ومن ثم يصعب القول بأن كتاب النبوغ يعتمد المنهج التاريخي. إن المنهج التاريخي هو اعتبار العوامل والمؤثرات الفاعلة في التاريخ، والكتاب لا يدرس الأدب بمنهج تاريخي، تاريخ الأدب هل هو فعلاً تأريخ أم شيء آخر. إشكالية أخرى هل المؤرخ للأدب يؤرخ للتيارات السياسية والاجتماعية أم يؤرخ للحركة الأدبية ؟ لقد كان الأستاذ كنون واعياً بكثير من جوانب الإشكالية المنهجية. إنه يكتب النبوغ وهو مصنف في تاريخ الأدب، عمد إلى التاريخ للأدباء، والتراجم المقدمة في غاية الأهمية. فمن الناحية المنهجية أن نعرف بهم ونتابع تطورهم شيء مهم، متابعة تاريخ نمط من التعبير كالقصيدة مثلاً. لقد كان المؤلف يعي أنه لا يجب أن يؤرخ للأدب فقط، لكن عاد للأدباء فأرخ لهم. لقد كان مقتنعاً بصلاحية هذا القسم من المنهج، لذلك فإلى جانب النبوغ كتب ذكريات مشاهير رجال المغرب، واقتناع المؤلف بهذا العمل هو الذي جعله يقدم تراجم مختصرة في النبوغ وموسعة في حيز أكبر في ذكريات المشاهير.

إن المؤلف أطر كتابه حين قال في أول جملة في المقدمة (الطبعة الأولي) : "هذا كتاب جمعنا فيه بين العلم والأدب والتاريخ والسياسة، ورمينا بذلك إلى تصوير الحياة الفكرية لوطننا المغرب وتطورها في العصور المختلفة من لدن قدوم الفاتح الأول إلى قريب من وقتنا هذا...". فالتصور المنهجي واضح، يعرف فيه كل شيء، ومن ثم فإن

النبوغ يختلف عن الكتب المشرقية في تاريخ الأدب من حيث المنهجية، وارتكاز الكتاب على عنصر التحقيب، تحقيب المرحلة إلى عصور سياسية، عمل له أهميته. ويكفي كتاب النبوغ أنه كان عمدة الدراسين وما يزال، فهو عمدة الطالب والباحث على الرغم من أن البحث العلمي والأدبي قد تقدم كثيراً، على الرغم من أن الجامعة تقوم بدور فعال في مجال البحث العلمي فإنني لا أخفي - شخصياً -. وقد قدمت أعمالاً متواضعة في الأدب المغربي أنني ألتقي مع الأستاذ كنون في كثير من الأشياء، منها البعد الوحدوي لهذه الإقليمية. نحن لا نريد التميز عن الكيان الإسلامي العام، إنما نريد وضع لبنة تكمل الصورة وتوضحها، كما التقى معه في مفهومه الواسع للأدب، وهذه قضية عند الأستاذ كنون لم تكن اعتباطية، وإنما هي داخلة في رؤيا واضحة. والذي ينقب في الأدب المغربي وفكره لا محالة يصل لكي يقدم شيئاً عن إبداع هذه الأمة، لابد أن يكون له هذا الأفق الواسع المتسع الذي لا يهمل الجانب العلمي والفكري.

حقيقة، نجد في تاريخ المغرب والأدب أن هناك شعراء لم يكونوا إلا شعراء أو كتاباً لم يكونوا إلا كتابا، لكن معظم التعبير الأدبي في المغرب كان صادراً عن هذه الفئة من العلماء والمفكرين والأدباء الذين تميزوا بالمشاركة في كل الميادين، تجده شاعراً فقيهاً مؤرخاً، لا يمكن أن تفصل الأديب في مادة واحدة، هذا مما يزيد في قيمة كتاب النبوغ ويجعله مستمراً. عمل علمي جاد، اجتمعت له كل عناصر القيمة المستمرة، وسيبقى خالداً على مرور الحقب والأزمان.

هذه كلمة موجزة أردت بها أن أشارك في هذا التكريم، المقام لفضيلة الأستاذ عبد الله كنون، ومهما قلت عنه لا أستطيع أن أفيه جزءاً من حقه. هذا الرجل استفدنا جميعاً من علمه ومؤلفاته. وقد أضفت إلي الاستفادة الاستمتاع بمعرفته الشخصية، بلقاءاتي معه في المغرب وخارجه، وأعرف جيداً أية قيمة يمثلها كنون بالنسبة لهذا الوطن، ولا أريد أن أختم هذه الكلمة دون أن أسأل الله له القوة والنشاط والصحة والعافية حتى يستطيع أن يستمر في أداء رسالته. وقد أداها على أكمل وجه، والأجيال الصاعدة ما زالت في حاجة إلي هذه المنارات التي يجب أن يسير الناس على هديها.

السلفية المغربية
في أعمال الشيخ محمد بن المدني گنون

عرض الأستاذ محمد المنوني

عرف القرن التاسع عشر مبادرات إسلامية مجددة، فانبعثت - أولاً - من الجزيرة العربية على يد محمد بن عبد الوهاب، ثم في أعمال محمد بن علي السنوسي، وفي مصر لمع إسم جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده، وفي السودان محمد المهدي، وعلى اختلاف مناهجها، اتخذت في غايتها التي تهدف إلى بعث إسلامي، يرجع بالمسلمين إلى هدي السلف الصالح، ومن هنا سميت هذه الحركات بـ "السلفية".

ووكدنا - الآن - هو تبرير مساهمة المغرب في إحياء السلفية من خلال أعمال الشيخ محمد بن المدني گنون الفاسي، من مواليد عام 1240 / "1825.24"، وتوفي عام 1302 / "1885".

وقد لمس فيه ظاهرة السلفية أفراد من الآخذين عنه وتلاميذهم، فيقول عنه الغالي ابن سليمان في "فهرسة" المنظوم :

فإن يك التجديـــد رأس المـائـــة

لعالم فهو قطـــب القبـــة [1]

وفي شعر أحمد بن المامون البلغيثي :

مجـــدد ديـــن الرســـول ومـن

هدى للصـواب بفعل وقـال [2].

أما محمد بن علي دينية فيصنفه بين المجددين في المائة الهجرية الثالثة عشرة [3].

وفي تعبير محمد ين الحسن الحجوي عند ترجمة المنوه به "...فهو أحق من يقال في حقه مجدد، لكثرة النفع به، وانتشار العلم عنه وعن تلاميذه، وقيامه بالنهي عن مناكر وقته... [4]".

***

وسمات التجديد واضحة في أعمال محمد بن المدني كنون، وتتميز سلفيته بإنتهاجه ـ كثيراً ـ طريقة ابن الحاج في "المدخل"، وزروق، وخصوصاً رسالته : "النصيحة الكافية".

وفي هذا الاتجاه، تبدو مواقفه السلفية من خلال ثلاثة زوايا : في أكثر مؤلفاته، وفي دروسه ومجامعه، وفي سلوكه في حياته الخاصة.

وهو يعلن مواقفه في مؤلفاته من خلال تبريزه للنصوص الإسلامية الهادفة، ومن هذه الزاوية يعلن موقف الإسلام من قضايا الساعة : ترك الاستعداد للجهاد، وإهمال الثغور ومصالح المسلمين، والتنديد بالتجارة مع أوروبا، وينكر علي الولاة تحجيرهم للأموال على المستحقين، وصرفها في شهواتهم، ويندد بالهدايا للحكام، والرشوة لهم، ولا يرى مبرراً للمسلمين في السكنى بأوروبا والبلاد التي يحتلها الأجانب.

وفي الميدان الاجتماعي يجاهر بالتنديد بالاسراف، وتبرج النساء، وبدع التجار في معاملاتهم، واستعمال التبغ ومشتقاته، فضلاً عن المسكرات، ويحمل على المتصوفة المبتدعين.

هذا بالإضافة إلى ما يبث في مؤلفاته من الآداب الإسلامية المنسية، فينبه عليها في العبادات والأحوال الشخصية والمعاملات.

وإلى مؤلفات الحاج محمد كنون تتصاعد مواقفه في دروسه ومجامعه، وهي الظاهرة التي كان لها الصيت الكبير، والدوي العظيم في سلفيته، وهذه شهادات بعض تلاميذه وغيرهم على زواجره وقوارعه ضداً على البدع والمبتدعين.

فيقول عنه محمد بن احمد التاشفيني : "كثير الانتقاد على أهل الأهواء والبدع، لا يخشى في قول الحق ظلم ظالم، ولا سطوة جائر، بل يصرح بقول الحق على رؤوس الاشهاد" (5).

وفي ارتسامة مؤلف "الاستقصاء" : "وكان ـ رحمه الله فقيهاً، عالماً متضلعاً، قوالاً بالحق، صادعاً به، لا يهاب في ذلك كبيراً ولا صغيراً، ولقد امتحن في ذلك من قبل السلطان فلم يفل ذلك من غربه، ولويوه من صرامته ولا حده" (6).

وفي تعبير المشرفي : "متى أحدث في الدين حادث بدعة شمر على ساعد الجد، وقصد بسيف الشريعة ردعه، كم ذب عن هذا الدين، وأيقظ من سنة الغفلة ـ بانحرافهم عن السنة ـ الملوك والأشياخ والقضاة والعدول والولاة المعتدين، والتجار والمنتسبين إلى التصوف وسائر المكلفين (7)".

ويساهم الأدباء من الآخذين عن الفقيه كنون، فيرسمون لمواقفه صوراً معبرة، ومن هنا يقول الشاعر علال بنشقرون في رثائه :

محيي الشريعة ركنها ومنـارهـــا
فعيون وعـظ عنــده لا ترقـــد

ويذود عنها الزيغ باذلاً وسعـــه
ولسانـــه في ذاك رعد أرعـــد...

وإذا بـدا في زجـره فكـأنـــه
أسد ســواء عنــده من يقعــد

لم يخش طول حياتـه من جـاه ذي
جـــاه ولا من سطـــوة تتأيــد

لين صـدوق قولـه فصــل يـــذو
دعن الشريعة والحقيقـة أيـــد

أحيـار رسـوم الدين بعد دثـارهـــا

وأدان صاحـــب بدعـــة يتـمـــرد

أبداً يقول الحـــق غيـر مراقـــب

أحداً ولو في قربـة يـتـــودد [8].

وفي شعر أحمد بن المامـون البلغيــثـــي :

وقام بحق العلم ســـراً وظاهـــراً

وأعلن بالإنكار عن كل ما يـــردي

ولم يخش في حـق الإلاه تطـــاولاً

وكم محنـة نالتــه في ذاك من وغـــد

فعاملهـا بالصبــر في ذات ربـــه

وزاد بقول الحق صدعاً بما يبدي (9).

وجاء في مرثية الحاج عبد الكريم بنيس :

وافى وليل دجى العادات في غســق

والجهل مرتكــم والغـــي مشتـهـــر

فعاد بالحق وجه الدين أبيــض لـــم

يتـــرك لنـاشبهـــا به ولو كـثـــرو

وبان في فلك الإرشـــاد بدر دجـــا

حتى بدت أنجم التحقيق تزدهر (10).

***

وعن سلوكه السلفي كان الفقيه كنون على منهج السنة في أخلاقه، لين الجانب لسائله وقاصده، مع البشاشة والاصغاء والتواضع، ينصت للجليل والحقير، والحرة والأمة، كثير الانقباض عن ذوي الجاه، عالي الهمة، بعيداً عن التملق إلى الأمراء بإرادة الطمع فيهم.

يتبع السنة في ملبسه ومشيه وخلقه، ومن ورعه إزالة الحرير المجعول في

القلنسوة، وفي آخر مغطى الرأس من الغفارة والبُرنوس، كراهية للبس الحرير الممنوع شرعاً [11].

وإلى هنا نتبين أن سلفية الشيخ كنون تحتذي ـ أساساً ـ منهجية ابن الحاج وزروق، وانها تتطابق مع مثيلاتها المعاصرة في مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي مقاومة البدع، وفي ضرورة العودة إلى الإسلام الصحيح.

غير أنها تختلف عن الدعوة الوهابية في مسائل، ومنها هدم القباب، ومنع التوسل بالمخلوق، وعن النقطة الأخيرة يقدم محمد الحجوي هذا التوضيح : "وإن عموم الأمة في الشرق والغرب ـ من ناحية علم أصول الدين ـ غير محتاجة إلى تجديد، وإنما هي مفتقرة إلى التعليم الصحيح، وترك ما يؤدي للتشكيك [12]".

أما حركة محمد عبده فإن السلفية المغربية لا تهضم ـ مسبقاً ـ بعض آرائها، وخصوصاً الاعتماد في تفسير القرآن الكريم على العقل.

وكانت السلفية المغربية تعايش التصوف السليم، وهي مرحلة مربها محمد عبده، وكان التصوف النقي هو عمدة حركة كل من السنوسي ومحمد المهدي السوداني.

***

ومن الجدير بالملاحظة أن السلفية المشرقية صار لها في محافلها من يرعاها ويهذبها وينشرها، وهذا ـ مع الأسف ـ ما لم يقع في السلفية المغربية.

على أن أثر ذلك استمر في قلة من الآخذين عن الفقيه كنون، وخصوصاً في مدينة فاس.

كما تسلسلت السمة العلمية في ابنه وشقيقه الشيخ التهامي كنون، ثم في ابنه الشيخ عبد الصمد، والد العلماء : سيدي محمد، وسيدي عبد الحفيظ، وسيدي عبد الله.

وسيدي عبد الله هو محور الندوة التكريمية التي بادر إليها ـ مشكورين ـ أعضاء اتحاد كتاب المغرب، فرع طنجة، فكرموا في عالمنا ومفكرنا انقطاعه لخدمة المعارف حقبة تنوف على نصف القرن.

وكرموا فيه غزارة إنتاجه الموسوعي، مما أنار الطريق للباحثين : مغاربة

وسواهم، حتى أن "النبوغ المغربي" استمر ملاذاً للدراسين، به يبتدئون، ومن مناهله يكرعون، وبإرشاداته تتعبد لهم الطريق إلى الآفاق البعيدة.

ونفس الظاهرة في سلسلة "الذكريات" للباحثين في التراجم.

فما أجدر صاحب التكريم، أن يكون أستاذاً رائداً للأساتذة الباحثين، كما هو رائد للعلماء في رابطة علماء المغرب، ورائد للعمل الوطني الصامت، ورائد في وقف خزانته الكبرى على المستفيدين.

إن هذه الريادة المتعددة الجوانب، تحفز إلى طرح اقتراح، بإطلاق إسم عبد الله كنون، علي إحدى قاعات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، اعترافاً بفضله في خدمة العلم والأدب.

مد الله ـ سبحانه ـ في حياة أستاذ الجيل، ومتعه بموفور الصحة والعافية.

الهـوامـــــش

(1) "الدر المكنون..." لمحمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، ط.ف. : ص 74.

(2) خاتمة تعليق محمد بن المدني كنون على الموطأ، ط.ف. : 2/ص 7، م 46.

(3) "واسطة العقد النضيد في شرح حديث التجديد"، تأليف محمد بن علي دينية الرباطي، المطبعة الأهلية بالرباط، 1347، ص 32.

(4) "الفكر السامي..."، المطبعة الجديدة بفاس : 136/4.

(5) "اللؤلؤ المكنون في اختصار ابن عيشون"، مخطوط في خزانة خاصة.

(6) "الاستقصا"، دار الكتاب بالدار البيضاء، 1956، 18/9.

(7) "الدر المكنون"، ص 24.

(8) "الدر المكنون"، ص 128-129.

(9) افتتاحية تعليق محمد بن المدني كنون على الموطأ، 3/1 م 1.

(10) "الدر المكنون"، ص 126.

(11) "المصدر"، ص 25، 34 و 35، مع "اللؤلؤ".

(12) "تجديد علوم الدين"، مطبعة الثقافة، سلا، 1357، ص 8.

منهجية الأستاذ عبد الله كنون في تأريخه للأدب المغربي

عرض الدكتور محمد السرغيني

إن كتاب النبوغ بأجزائه الثلاثة خصص الأول للتأريخ للحياة العقلية ككل : العلم، السياسة، الاجتماع إلى غير ذلك، وخصص الجزء الثاني للنصوص النثرية والجزء الثالث للنصوص الشعرية، على أي شيء يدل هذا الخليط ؟ يدل دلالة قاطعة على أن علامتنا استوعب بالضبط المنهج الغربي استيعاباً دقيقاً جداً. وكما استوعب المنهج الغربي فقد استوعب مناهج القدماء في كتابتهم عن الأدب، ذلك أن القدماء كتبوا الأدب عبر النص وعبر تحليل النص ولم يهتموا بغير ذلك، لأنه سبق وأن قلنا أن أساسه في كتابة تاريخ الأدب أساس عربي أصيل، فإن علامتنا اختار أن يتحدث عن النص، وعن النص وحده، ولذلك تجنب مزلق أن يدمج السياسي أو التاريخي بالنص، بعد ذلك ننتقل إلى نقطة أخرى، كيف نظر العلامة كنون إلى تاريخ الأدب المغربي ؟

1) رأى أن تاريخ الأدب العربي في المغرب يجب أن يكون واسطة عقد في منظومة تاريخ عام هو تاريخ الأدب العربي الإسلامي، وهنا نركز على هذين العنصرين، ولذلك فلا مجال لأن يتهم كتاب النبوغ بأنه كتاب ذو نزعة إقليمية. حقيقة أن الإقليمية بالنسبة إلى تاريخ الأدب يمكن أن نفسرها تفسيرين : تفسيراً أولاً هو

الإقليم في حدود جغرافية معينة، ذو خصائص معينة، تطبع هذا الأدب الذي عاش في هذا الإقليم.

تفسيراً ثانياً : هو أن يفسر الإقليم على أنه جوهرة في عقد، يجب أن توضع هذه الجوهرة في مكانها من العقد... في سياق الإقليمية التي يمكن أن يوصف بها الكتاب هي أنه جوهرة وضعت في مكانها من سياق تاريخ الأدب العربي الإسلامي، ولذلك لا مجال لأن يتهم الكتاب بالاتهام الأول أي بالإقليمية... الإقليمية، كما هي عند الثلاثي النقدي الفرنسي المشهور برونتيير بوف، تين، هذا هو معناها، أي المعنى الأول لا الثاني. وحتى بهذه النظرة، فإن الإقليمية هي ميراث عربي أصيل، ذلك أنه في العصر العباسي بدأنا نجد مجموعة من مؤرخي النصوص الأدبية يكتبون كتباً تؤرخ لنصوص أدبية في إقليم خاص كالذخيرة مثلاً، فلا مجال للخوض في هذه الأشياء، ان وضع التاريخ الأدبي المغربي في السياق العام للتاريخ الأدبي العربي الإسلامي يقتضي القيام بتأريخ للحياة العقلية والسياسية والاجتماعية التي بدونها لا يكون التاريخ تاريخاً، ذلك أنه درجنا على أن نرى أن الذين كتبوا في تاريخ الأدب في اللغات كلها لم يهملوا أن يوطئوا لتاريخهم بأبواب أو فصول تدرس الحياة العقلية والسياسية والاجتماعية من أجل وضع أرضية لما يزمعون القول فيه فيما بعد. وهذه القضية لم يتنكر لها لا القدماء في الغرب ولا المحدثون، فنانسو المشهور بكتابة عن Histoire de la litterature francaise ، تاريخ الأدب الفرنسي، سار على هذا المنوال، ومن العجيب جداً أننا نجد ميشل فوكو، وهو من أقطاب دعاة المناهج الحديثة قد كتب في مقدمة كتابه "حفريات عن المعرفة" (Archiologie de savoir)، إنه لا مجال للتعرض للتاريخ إذا كنا فعلاً نريد أن نؤرخ، ولذلك فالخطأ الذي يقع في هذا الباب هو خطأ يقع فيه صغار الذين يؤرخون ممن لا تجربة لهم، إنهم لكي يسهلوا مأمورية التأريخ فإنهم يعمدون إلى الحقبة الكبيرة جداً ويجزئوها إلى حقب صغيرة من أجل أن تساعدهم على قول ما يريدون قوله، وإلا فالمنطق يقتضي أن التاريخ كتلة مترابطة لا يمكن أن تتجزأ، وتجزيئها في الحقيقة يعتبر ظلماً لها وعدم فهم، وما يبدو لنا من أنه تجزيئ لبعض الحقب التاريخية إنما هو تقطيع، وهذا التقطيع تدعو إليه ضرورات حضارية، كأن تنتقل الحضارة من شعب إلى آخر، ولنمثل لذلك مثلاً بانتقال الحضارة من اليونان إلى العرب، والدليل على أن الصيرورة التاريخية لا تنعدم أن الفكر اليوناني أخذه العرب وأضافوا إليه إضافات كبيرة، من أهمها أنهم أخرجوه من عقليته الوثنية إلى عقليته التوحيدية، وهناك إضافة أخرى تتعلق بالمنهج إذا صح التعبير اكتشفوا علم أصول الفقه، كما اكتشفوا علم

مصطلح الحديث، وهذا الرأي ليس لي وإنما للأستاذ مصطفى عبد الرزاق رحمه الله.

إن وضع تاريخ الأدب المغربي في سياقه العام من تاريخ الأدب العربي العام الإسلامي هو بمثابة رد اعتبار له، رد اعتبار إلى المجهود الضخم الذي قدّمه المغاربة ابتداء من الفتح الإسلامي إلى الدولة الشريفة. هل من الممكن أن يمرّ الإنسان مرور الكرام على هذه الحقبة التاريخية الطويلة دون أن يضعها في السياق التاريخي الذي لها. أعتقد أن التغافل عن مثل هذا العمل يعتبر تقصيراً، وبما أننا نقر جميعاً وبشهادة العلامة الأستاذ كنون أن إخواننا المشارقة الذين كانوا سبّاقين إلى التأليف في هذا الباب، قصّروا تقصيراً كبيراً بالنسبة للأدب المغربي، لذا فإن المغاربة هم الأولى بأن ينهضوا بهذا العمل، ولنقل كما يقول الفقهاء : ردّ الدابة أولى بمقدّمها. ما هو الموقف الذي يقفه تاريخ العلامة كنون للأدب المغربي ؟ كثير من الناس يمرّون مرور الكرام على كتابات الأستاذ كنون كلها، وسواء منها ما كان يتعلق بالأدب أو بغير الأدب، ذلك أن الأستاذ كنون يؤرقه شيئان إثنان لا ثالث لهما في مسيرته العلمية كلها :

1) إنه يريد عبر كلّ ما كتبه وبدون استثناء أن يصوّر وطنيته المغربية. وقد تقدم زميلنا الدكتور الكتاني في عرضه بالقول بأن الأستاذ كنون لم يكتف بأن يصور موقفه الوطني عبر ما يكتبه، وإنما صوّره بسلوكه القويم، أن في حال كونه عالماً ممارساً للبحث العلمي، وإن في حال كونه والياً أمر الذين وُلّيّ عليهم يوم كان في السلطة. هذا الموقف الوطني تجلّى أولاً في محاولته إثبات الهوية الوطنية للمغرب وهي اللغة العربية، أيضاً تجلّى في وقوفه في وجه الغزو التغريبي الذي عانى المغرب منه منذ عقود كثيرة من الزمن، ولا زال يعاني منه، كنقطة ثانية، وكذلك جعل العربية حجر الأساس في العمل الوطني كنقطة ثالثة.

2) موقفه السلفي، ويتجلى فيما يلي :

أ - لغة المغرب هي اللغة العربية لأنها لغة الدين ولغة القرآن.

ب - أن هذا الموقف السلفي ، وكما أشار الأستاذ الكتاني هو دعوة إلى الوحدة الوطنيـة، وهذه الدعـوة أساسهـا الالتجاء إلى أخـوة الدين الإسلامي.

ج ـ لتحقيق هذه الوحدة فقد أشاد علامتنا بما قدمه العلماء البربر من خدمة جلى للغة الضاد، وأنصفهم إنصافاً لا يمكن أن ينصفوا بمثله. كيف قسم الأستاذ كنون إذن تاريخه للأدب المغربي ؟

ـ التاريخ السياسي بدأه من الفاتحين ثم المرابطين ثم الموحدين فالمرينيين فالسعديين فالعلويين.

ـ التاريخ الثقافي والحركات العلمية والأدبية في كل عصر من هذه العصور، فهو عندما كتب عن ابن سبعين في الذكريات كمتصوف تحدث عنه كما هو في الطب. فهو يتحدث عن الجو الثقافي الذي ظهر في العصور المغربية المشار إليها : العلوم، الآداب، الفنون، الفلسفة إلى غير ذلك.

ـ التاريخ البيبليوغرافي، وهذا شيء جدّ مهم. نحن نعلم أن الغرب يتحدّث في كثير أو في قليل من مصادر البحث العلمي التي منها المصادر البيبليوغرافية التي تسهل طرق البحث بالنسبة للناشئين، وأعتقد أن الغرب لم ينتبه إلى أن العرب أسهموا بباع طويل في هذا الميدان، فهناك كتب في البيبليوغرافيا عديدة، أشهرها كشاف اصطلاحات الفنون، وغير ذلك كثير، لكن المهم، أن هذا التقليد الذي أتى به علامتنا هو أنه تقليد عربي أصيل، وهو أنه ذيّل فصوله بفذلكة، يتحدث فيها عن أشهر المؤلفات التي ظهرت في المغرب عبر العصور السابقة، أيضاً ما أسميه أنا بالتاريخ البيوغرافي، انه تقليد من التقاليد المعروفة في أدبنا العربي، وقد حبّر فيه كثير من الكتب، لكننا نلاحظ شيئاً عجيباً جداً في التراجم التي عقدها علامتنا في كتابه النبوغ، إنها تراجم تقوم على عنصر الاختصار وعلى إعطاء الأسس الدالة في حياة المترجم لهم ممّا يتعلق بنشاطهم العلمي، وإقصاء كل عنصر لا علاقة له بالعنصرين السابقين، معنى ذلك أنه منذ البدء كان العلاّمة كنون يقصد بذلك إلى أن تكون الترجمة تفيد ما هو بصدد القيام به من تاريخ للأدب المغربي بصفة عامة.

ثم من الأقسام التي ينقسم إليها التاريخ الأدبي حسب منظور الأستاذ كنون أن النثر قسمه إلى الأقسام الآتية :

ـ التحميد والصلاة : أي أنه أعطى الصدارة للدين، وهذا موقف ديني؛ وإذا كان بعضهم قد عاب عليه إثباته نصوصاً من هذا الباب، فإننا نرد عليهم بأن النصوص الدينية، سواء إذا كانت سماوية فإنها آية في البلاغة والإعجاز (القرآن)، وإذا كتبها زهاد متصوفة متدينون فإنهم يكتبونها على

خير ما تكتب نصوص عليه، ولذلك فجماليتها تقتضي أن تكون مدرجة في إطار دراسة تاريخ الأدب.

ـ الخطب : وهذا تقليد عربي أصيل. وقد جري الخطباء على أن يوشّوا خطبهم ويكتبوها بأسلوب نثري رفيع.

ـ المناظرات في الدين وفي السياسة وفي الأدب.

ـ الرسائل السلطانية : وهي تقليد عربي قديم جداً.

ـ الإخوانيات : وهي تقليد قديم.

ـ الرسائل الديوانية : لماذا قسمت هذه الرسائل حسب هذا الترتيب أو التراتبية، ذلك أننا إذا درسنا في تلك الكتب التي ألفت من أجل المسامرة والامتا ع، فإننا نجد هذا الترتيب معمولاً به، وهو داخل في نطاق تقديم العام على الخاص، وأخص الخاص الكتابة الديوانية ثم المقامات ثم المحاضرات ثم المقالات.

أما النظم فقسمه حسب الأغراض التالية على الترتيب : الحماسة والفخر، وهذا تقليد عربي أصيل، وهو يذكر بالحماسات القديمة التي عرفها تاريخ الأدب العربي، كما يذكر بكتب المختارات في الآداب الغربية في الشعر وغيرها أو ما هو معروف في الأدب الإنجليزي بالكنز الذهبي، الذي يجمع فيه خلاصة عيون القصائد الشعرية من مبدأ الشعر الإنجليزي إلي عصرنا هذا، ثم الغزل والشوق والنسيب، وهذه التراتبية أيضاً أصيلة، ثم الآداب والحكم والوصايا والملح والحكم والطرائف ثم الرثاء ثم الموشحات.

هذا يدل ـ بخصوص الموشحات ـ دلالة قاطعة على أن نظرة علامتنا متفتحة ومتسعة الأفق، يتسع صدرها لإدراج الموشحات. والحال أن بعض مؤرخي الأدب من القدامى نظروا إلى الموشحات نظرة على أنها ليست من الكلم الفصيح، هذا التقسيم الذي سبق وأن تحدثنا عنه له ميزات :

1) منها أنه لم يقع في خطإ تقسيم سياسي للأدب المغربي. إننا نجد الرافعي في كتابه الذي خصّصه لتاريخ الآداب العربية يهاجم أولئك الذين يدمجون بين السياسة والأدب، ولكن منطلقة ومنطلق الذين أدمجوا السياسة بالأدب، أنهم أخذوا الأدب على أنه تقييم، ولذلك خيِّل إليهم أن نموّ الأدب تابع لنمو السياسة، وان اندحاره تابع لاندحارها، والحال أن القضية على عكس ذلك، ذلك أن التاريخ أعطانا عشرات

الأمثلة على عدم صحة هذه القضية، لكننا بمفهوم اليوم نعتقد أن هناك علاقة جدلية بين الأدب والسياسة، لا على أساس أن الأدب يؤثر في السياسة سلباً وإيجاباً، ولا على أنها تؤثر فيه سلباً وإيجاباً، وهنا أشير إلى أن ندوة في نهاية الخمسينات انعقدت في باريس حول "ماذا يستطيع الأدب ؟ Que fait la litterature?". شارك فيها كثير من الناس، منهم سارتر مثلاً، وانتهى رأي أغلب الناس إلى القول بأن الأدب لا يستطيع أن يحوّل مجرى التاريخ، ولكن الأدب رافد مهم، يسعى إلى وصف هذا التاريخ، ولذلك فلا يمكن أن يتسبّب في تقديم سلبياته أو تأخير إيجابياته إذا كان ذلك ممكناً أن يكون.

2) إن هذا التقسيم لم يبحث في مواصفات كل عصر، بل تتبّع المظاهر والأغراض.

3) إن هذا التقسيم لم يحتذ ـ كما ذكرت سابقاً ـ حذو الزيات والفاخوري وزيدان، لأن منطلق هؤلاء هو منطلق غربي.

4) إن هذا التقسيم لا يمكن أن يُوازي بما قام به الرافعي في تأريخه للآداب العربية، ذلك أنه قام بوضع تاريخ للغة العربية عبر موازاتها بأخواتها الساميات، ثم عبر القرآن الكريم، ثم عبر السنة النبوية الشريفة، ثم عبر الشعر العربي من الجاهلية إلى عصر النهضة؛ كل ذلك في إطار ـ نوعاً ما ـ تنقصه المرونة، وأستسمح إذا قلت ذلك في حقّ هذا الرجل الذي أكنّ له كبير الاحترام.

5) ثم إن هذا التقسيم أرّخ للأدب المغربي في سياق مُراص من الفتح إلى العلويين؛ أيضاً هذا التقسيم غلّب جانب الذوق إلى جانب الجمالية في اختياراته؛ وأكتفي هنا بالإشارة إلى شهادة الدكتور طه حسين، التي أثبتها في مقدمة هذا الكتاب، حيث قال ما معناه : "إن المتصفح للنصوص التي أثبتها العلامة عبد الله كنون في كتابه "النبوغ المغربي" هي نصوص جميلة وممتعة على عكس ما ألفنا أن نراه في كتب مختاراتنا الأدبية العربية المعاصرة، حيث تجمع الغث إلى السمين"؛ أيضاً هذا التقسيم جرى فيه العلامة على طريق الأقدمين الأصيلة من تقسيم القول إلى فنونه.

6) أيضاً ان هذا التقسيم، وخاصة في كتابه الأحاديث، جرى حسب مواصفات معرفية، وكذلك في كتابه شعر الفقهاء، ذلك أن القارئ لهذا الكتاب يحسّ أن شعر الفقهاء يعكس شكلانيته، ويعكس توثيقه، وكون شعره لا رونق فيه

ولا ماء. هذه الدراسات انطلاقاً من هذا الأساس تعكس منظوراً معاصراً سبق إليه غيـره.

7) أيضاً أن هذا التقسيم اعتمد في مبدأ أمره أسلوب الأفراد، ذلك أن سلسلة الذكريات تحولت فيما بعد إلى كتاب عام في تاريخ للأدب المغربي، وهو أسلوب أصيل، لأن الإنسان يبتدئ من مبدإ الأشياء، وشيئاً فشيئاً ينظر إلى تلك الأشياء كلاً علي حدّة وبعد ذلك يرتب هذه الأشياء لتكتمل المنظومة، ويتجلّى بعد ذلك في هذا التقسيم أنه اعتمد طريقة التركيب عندما جمع كل ذلك في كتاب عن تاريخ الأدب المغربي وفي سياق عام.

8) المختارات التي عرفها هذا التقسيم تعكس نوقاً جمالياً مزدوجاً، يجمع بين القديم والحديث، فكما تقرأ قصيدة الشمقمقية مثلاً، وهي قصيدة جزلة اللفظ، بدوية المعنى، تقرأ نصوصاً في غاية الرّقة لشعراء آخرين، ثم أيضاً يجد الإنسان فهماً حصيفاً ودقيقاً في كتاب الأحاديث حين تعرّض إلى شعر بعض الشعراء المعاصرين في المغرب أو حين تعرّض في تحليله للقصص وللروايات.

***

والنقطة التي أريد أن أنهي بها هذا الحديث أن الأستاذ العلامة كنون جمع في منهجه لتاريخية الأدب النقط الآتية :

ـ انه لم يهمل العناصر الثلاثة : الزمن، البيئة، الجنس، وحين نقول الجنس لا نعني به الجنس الأدبي كما هو في الغرب، وإنما نعني به الفن، فنون القول بصفة عامة.

ـ انه نبّه إلى شيء مهم، نرى أن المناهج المعاصرة تلحّ عليه كثير الإلحاح، وهو انه أشار إلى أن الحقيقة التاريخية والأدبية لا يمكن إلا أن تنتزع من النص ومن النص دون غيره، ولهذا السبب فقد خصّص الجزء الثاني والثالث لطائفة كبرى من النصوص.

في البداية أريد، أيها السادة، أن أقدم لكلامي بما أسميته مقدمة منهجية، على أساسها أسير فيما أريد أن أقوله في هذا الباب إنها انطباعات، وفضلت أن أقول انطباعات لأن الأنسان لا يملك إلا أن يقول ذلك في حضرة أستاذ كبير مثل علامتنا. لقد استخلصت هذه الانطباعات من الكتب التي ألّفها أستاذنا وهي :

ـ أحاديث عن الأدب المغربي.

ـ تحقيق ديوان ابن زاكور.

ـ شرح الشمقمقية.

ـ أدب الفقهاء.

ـ سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب.

لهذا أريد استخلاص منهج الأستاذ كنون في تاريخه للأدب المغربي من خلال هذه الكتب. وقد سمعنا في الصباح من زميلنا الدكتور الجراري حديثاً مستفيضاً عن منهجه في تأريخه للأدب المغربي من خلال كتاب واحد هو النبوغ المغربي. أنا شخصياً أعتقد تمام الاعتقاد أن الرجل الذي له فكر ممنهج، منظم كفكر علامتنا ان أصدر عن منهج ما في كتاب ما، وعاد إليه بالتنقيح والنظر ما بين طبعة وأخرى يفرض على نفسه هذا المنهج كلما كتب في الأدب، وسواء كانت كتابته في الأدب على شكل كتاب تاريخي أو كانت غير ذلك، مما تتكفل بسدّ ثغرات الكلام فيه الكتب التي ألمعت إليها.

لماذا إذن رجعت إلى جميع هذه الكتب ؟ رجعت إليها من أجل فكرتين اثنتين لا ثالث لهما :

ـ أولاً : ان أثبت أن منهجه في كل هذه الكتب كان منهجاً عربياً أصيلاً، ضارباً في جذور الأصالة العربية.

ـ ثانيا : إن أثبت أن هذه الأصالة متفتحة إلى درجة أنها تذكرنا في خطوط عريضة، بمجموعة من المناهج يتباين الحديث عنها اليوم، وهذه المناهج بالطبع غربية، لكن لا يجب أن يتبادر إلى الذهن أنني أوازي منهجه بمناهج الغرب، وإنما أوازي مناهج الغرب بمنهجه، لماذا ؟ لسبب بسيط ومنطقي، هو أن منهجه سابق، ذلك أن كتبه هذه التي أشرت إليها طبعت منذ زمن ليس باليسير، سوف يتكفل كتاب النبوغ المغربي بإعطاء نظرة عن منظور عام لتاريخ الأدب، وسوف يتكفل تحقيقه. مجموعة من النصوص أظهرها تحقيقه لديوان ابن زاكور. الإشارة إلى ما نسميه اليوم بقضية تلقي النص الأدبي، وسيتكفل شرحه، وخاصة شرحه للشمقمقية بالقيام بمقارنة تذكرنا بذلك البحث اللغوي الشكلي الذي يمارسه أو يدعو له اليوم مجموعة

من الغربيين، ويروج له أيضاً مجموعة من الأدباء المعاصرين ان في المغرب وان في المشرق، هذه ملاحظات منهجية نوطئ بها إلى ما نريد قوله فيما بعد :

1. كيف ينظر العلامة كنون إلى الأدب ؟ حين نقرأ هذه الكتب التي ألمعت إليها نجد أنه يعتبر الأدب جهداً لغوياً، وهو بهذا الاعتبار يسير حنو النعل بالنعل مع ما أثر عن النقاد العرب القدامى، ومع ما هو معروف اليوم، ذلك أن الفضاء الذي يتحرك فيه الأدب ليس سوى اللغة.

2. إن الأدب مأثور الكلم الذي سما لفظاً ومعنى عن الكلام العادي، وهذا يوضح تمام الوضوح أن الأدب لا يمكن أن تكتمل عناصره إلا حيث تتوفر له الجمالية، وهذه الجمالية يطول الحديث بنا لو أردنا أن نقوم بتعداد عناصرها بناءً على منظور علامتنا، لكن الذين يمكن أن نقوله بسرعة، أن هذه الجمالية تقوم أساساً على الذوق لا غير، وهذا أيضاً هو ميراث عربي أصيل، ذلك أننا نعلم أن البلاغة العربية مع الجاحظ، ومع زمرة البلاغيين الذي أتوا بعده كانت بلاغة ذوق، وما تحوّلت إلى بلاغة فلسفة ومنطق إلا بعد الجاحظ بكثير وخاصة مع السكاكي.

3. وبما أن الأدب جهد لغوي، فهو يحتاج إلى تصنيف أولي، وهذا التصنيف الأولي لا بد منه لكي يستطيع المرء أن ينظر إليه نظرة منهجية، وهذا التصنيف الأولي هو أنه قسمه (أي الأدب) إلى شعر ونثر، وهو أيضاً تصنيف عربي أصيل عرف منذ زمن طويل جداً، لكن هذا التصنيف الأولي يذكرنا، كما سنرى فيما بعد بما عرف عند البيولوجيين في الغرب باسم نظرية الأنواع، وذلك أن البيولوجي الانجليزي داروين لكي يسهل عليه أن يقوم ببحث في سلوك الحيوان وغيره، صنف الحيوانات إلى فقرية وثديية إلى غير ذلك، وكل تصنيف صنف فيما بعد إلى أصناف أخرى حتي يسهل القيام بهذا العمل، لا أقصد أن تقسيمه الكلام إلى شعر ونثر انطلق من هذا المنظور، إنما أقصد إلى موازاة هذا المنظور الدارويني بما عرف عند علامتنا مما أصله عربي أصيل.

3) إن كلاً من التصنيفين الآنفي الذكر يمكن أن يصنفا إلى أصناف، وهذا ما يعبر عنه منهجياً تصنيف التصنيف، تصنيف التصنيف هذا جرى فيه على طريقة عربية أصيلة، بالنسبة إلى الشعر قسم إلى أغراضه، كما عرف عند الأقدمين، بالنسبة للنثر قسمه إلى أغراضه كما عرف عند الأقدمين باستثناء بعض الإضافات التي أضافها علامتنا مما استوحاها من النثر المغربي. من ذلك النثر الديني، فهو

أتى مثلاً بنصوص من حزب الشاذلي أو نص من دلائل الخيرات أو غير ذلك، وهو شيء لم نعثر فيما نعلم على أحد آخر قام به غيره. تصنيف التصنيف هذا يشير إلى نظرية الأجناس المعروفة في الأدب الغربي، إلا أن هناك فارقاً أساسياً بين نظرية الأجناس وبين ما سبق أن شرحناه، فمن حيث أن نظرية الأجناس تقسم النثر إلى قصة أو أقصوصة، مسرحية، رواية إلى غير ذلك، كما تقسم الشعر إما حسب التقسيم الأرسطي إلى شعر غنائي، شعر تعليمي، شعر ملحمي أو تقسمه إلى شعر فروسي رعوي إلى غير ذلك من التقسيمات. أما علامتنا فقد جرى في تقسيمه للشعر على أساس عربي أصيل، وهو تقسيمه إلى أغراضه من رثاء إلى غير ذلك، إلا أننا نلاحظ انه أضاف إلى ذلك إضافات استوحاها من واقع الشعر المغربي سنأتي على ذكرها فيما بعد. إذا قلنا أن تصنيفه الأولي كان ذا منحى عربي، فهذا يعني أنه كان على خلاف الكتب التي كتبت في تاريخ الأدب العربي في الوقت الذي نشر فيه الكتاب أو قبله بقليل، ذلك أن كتاب الزيات، وكتاب الفاخوري وزيدان، هذه الكتب الثلاثة، سار فيها أصحابها على طريقة غربية، والطريقة الغربية هي التي احترمت العناصر الثلاثة التي لا بد أن تتوفر في تاريخ كل أدب، وهي الزمن والبيئة والجنس. إننا بتصفحنا لهذه الكتب نلاحظ ذلك، لكن هذه الكتب رغم أنها أخذت هيكلاً غربياً، إلا أنها بنت عليه بناء في مجمله يمكن أن يقال عنه أنه عربي، ذلك أنها استعملت للتدليل على أولية الشعر والنثر، العصر الجاهلـــي، الأموي، إلى عصر النهضة، بخلاف ما وجدناه، خاصة في كتاب النبوغ والأحاديث أو أي كتاب آخر غير ما وجدناه في هذه الكتب، كما سنرى فيما بعد :

ـ أيضاً، والشاهد على فائدة النص في الدراسة الأدبية يذكر بدعوة يدعو إليها الفرنسيان (...ألان روش) في كتاب ألفاه معاً سمياه (ـ وصف معقول ـ الأدب). لهذا ففي هذا الكتاب نجد أن المؤرخ الأدبي يجب أن يحسب في المؤرخين، معنى ذلك أنه من عمل المؤرخ الذي ينتسب إلى التاريخ أن يكتب تاريخ الأدب. أما الأديب فمهمته هي النص، يبدأ منه وينتهي في النص، الا يكون تخصيص جزءين ضخمين في النبوغ من هذا الباب الماعا إلى هذا النوع في الكتاب الانف الذكر. لا، إن ذلك التاريخ الذي وجدناه في كتاب النبوغ وفي كتاب الأحاديث الذي وطأ به لما يقوله في كتابه، الا يذكرنا بدعوة يدعى إليها اليوم، وهي أن الأدب مرتبط ارتباطاً عفوياً بالمجتمع إلى درجة أنه يعتبر نتاج ذلك المجتمع، وبهذا المعنى يفهم على أنه إنتاج، وككل إنتاج فهو صناعة، ألا يمكن أن يكون في ذلك سبق لما ورد في كتاب "مشري" المعنون ب "من أجل تنظير للإنتاج الأدبي". العمود الفقري الذي يقوم عليه هذا

الكتاب هو ما قلته الآن، مجموع ما في هذه التوفيقية التي ذكرتها في التقسيمات في هذا الكتاب يمكن للباحث إذا قرأها وتمثلها تمثلاً أن يخرج بنظرية الأدب بناء على مفهوم الأستاذ العلامة كنون، ونظرية الأدب هذه لها مواصفاتها الأصيلة العربية، كما أن لها روافدها الغربية، ولا أقول التأثيرات، رغم علمي بأن الأستاذ كنون يتحدث ويجيد الحديث بالفرنسية والإسبانية ويقرأ بهما، وربما قرأ بغيرهما، إلا أنني متأكد تمام التأكيد بأن أصالة الرجل تأبى عليه أن يتأثر بما يقرأ في هذه اللغات، وذلك راجع إلى ما قدّمت الكلام عنه سابقاً، وهو أنه ينطلق من الأصالة العربية الإسلامية. كذلك، وهذا شيء قد تقدم وأن قلناه اننا نلاحظ خاصة في كتابه الأحاديث أنه يعتمد مع بعض التجوز نظرية الأجناس الأدبية لا كما عند بعض الغربيين وإنما نظرية الأجناس مستوحاة من واقع الأدب المغربي، وهذا يدل مرة أخرى على تقيد الأستاذ كنون بالنصوص التي هو بصدد الحديث عنها، فلا يحملها ما لا طاقة لها به.

في الختام أريد أن أشير إلى هذه النقط الآتية :

1) إن التاريخ الذي وضعه العلامة كنون للأدب المغربي قديمه وحديثه، وضع اللبنة الأولى في صرح الثقافة الوطنية المغربية التي كنا ولا نزال ندعو إليها.

2) إن الذين كتبوا بعده في هذا المضمار عالة عليه، وسواء أكانوا في المشرق كالفاخوري - الذي طلع علينا مؤخراً بكتابه عن تاريخ الأدب في المغرب - أو غيره من المغاربة أو المشارقة الذين كتبوا في هذا الباب.

3) إن الأطروحات التي أنجزت أو التي تنجز في جامعات المغرب أو المشرق وفرنسا وإسبانيا قد اتخذت من العلامة كنون في هذا الباب المرجع الأول والدعامة الأساسية.

4) إن الاطراء الذي أطرى به الأساتذة شكيب أرسلان، كارل بروكلمان، طه حسين، الفاخوري، نقولا زيادة، الناصري، علال الفاسي، هذا الاطراء يجد دلالته الأكيدة فيما قالوه وفيما قلنا وان كانوا هم السباقين إلى ذلك، ماذا يمكن أن يقول المرء في هذا المجال، والحال أن (اللسان) يجد نفسه عاجزاً عن الوفاء بوصف جزء واحد فقط من نشاط علامتنا، فكيف سيكون حاله لو أنه انتدب نفسه لوصف مناحي أعماله كلها. أعتقد أن الأمر عسير وجدّ عسير، وما ذلك إلا لما يمتاز به علامتنا، أطال الله بقاءه، من موسوعة معرفية، ومن حدب على الباحثين، وتتبع لهم، وسؤال

عنهم، ومدّهم بالمعونة بين الفينة والأخرى، وسواء أكانت هذه المعونة على شكل نصائح أو على شكل استفادة من مكتبته القيمة العامرة.

باختصار، هذا الرجل لا يسع علمه وثقافته إلا سعة صدره، وتواضع أخلاقه، أطال الله عمره ومتعه بالصحة، وجعلنا من تلامذته الأوفياء، الذين يتمنون أن تتاح لهم الفرصة لرد جزء بسيط من الجميل الذي له عليهم، والسلام.

حقائق تاريخية جديدة من خلال
"ديوان ابن فُرْكُون"

عرض الدكتور محمد ابن شريفة

موضوع هذا العرض سيكون على هامش ديوان يوسف الثالث، ملك غرناطة، الذي قام بتحقيقه الأستاذ عبد الله كنون، يتعلق الموضوع بالعثور على ديوان أبي الحسين بن احمد بن فركون؛ وابن فركون هذا ينتمي إلى عائلة غرناطية، أصلها من المرية، كان جدّه الأعلى قاضياً لغرناطة، وجدّه الأدنى كاتباً مع ابن الخطيب؛ وصاحب الديوان ابن فركون كان الكاتب الرسمي لملك غرناطة يوسف الثالث، الذي قام فضيلة الأستاذ كنون بتحقيق ديوانه. وفي هذا العرض سأتحدث عن الجانب التاريخي، عارضاً عليكم الخطوط الرئيسية فيه :

- صاحب الديوان ابن فركون.
- ما يتعلق بالممدوح يوسف الثالث.
- حول ما يستخرج من هذا الديوان من معلومات تاريخية فيما يتعلق ببني نصر وبني مرين.
- حول العلاقات التاريخية بين بني نصر وجيرانهم من الفشتاليين والارجوانيين.

1) إن المادة التاريخية غزيرة في هذا الديوان، ذلك أن صاحبه شاعر البلاط،

ويبدو أنه بعد ابن الخطيب لم يعد هناك من يؤرخ لملكة غرناطة، وأصبح الشاعر هو الذي يسجل أحداث المملكة؛ وبعد ابن الخطيب يعتبر شعر ابن زمرك، الذي دونه يوسف الثالث ـ بنسبة الأبيات الموجودة في رثائه إلى يوسف الثالث وردت في ديوانه ـ شعراً يؤرخ للدولة النصرية، وصاحبه شاعر البلاط؛ إذن كان هو المؤرخ الرسمي للدولة في هذه الحقبة المتأخرة، والتي لم نكن نعرف عنها شيئاً، لكن، وبفضل ديوان يوسف الثالث، الذي حققه ونشره الأستاذ كنون منذ أزيد من ثلاثين سنة ثم نشر في مصر بعد مدة، اتضحت بعض المعالم التاريخية فيما يتعلق بهذه الفترة المتأخرة في الأندلس والمغرب.

وبالنسبة لديوان ابن فركون، فهو المصدر الذي يمكن أن نستخرج منه حياة الشاعر. فابو الحسين هذا هو كاتب السر وشاعر البلاط، خدم يوسف الثالث طوال المدة التي قضاها في حكم غرناطة، أي منذ سنة 810 هـ إلى سنة 820 هـ. أما أبوه فقد كان كاتباً مع ابن الخطيب، الذي ترجم له في الإحاطة، وفي الكتيبة الكامنة، وإن كان ابن الخطيب قد مدح أحمد بن فركون في الإحاطة بأنه شعلة من الذكاء، فقد عاد في الكتيبة فذمه بأقدح الذم ووصفه بأرذل النعوت والأوصاف، ويعود ذلك إلى موقف أحمد بن فركون من ابن الخطيب في مساعدة خصومه على التشنيع به وعلى محنته بعد ذلك.

2) إن قيمة الديوان الجديد تكمن في أنه يكشف عن معلومات وحقائق جديدة تتصل بحياة يوسف الثالث ومبايعته ووفاته.

وديوان ابن فركون يسجّل حكم يوسف الثالث تسجيلاً وافياً وتاماً، ذلك أن الشاعر يتوجه إليه بقصائده في مناسبات مختلفة، في الأعياد وغيرها، كما أن الملك أصبحت صورته واضحة، فقد قضى في السجن عشر سنوات، أي فترة حكم أبي الحجاج يوسف، والشاعر ابن فركون يجعلنا ـ بفضل ديوانه ـ نتتبع الأحداث الخاصة ليوسف مثل زواجه الأول وزواجه الثاني، وكذلك معرفة مناسبات أخرى كالولادة وغيرها.

لقد أصبحت حياة يوسف الثالث واضحة المعالم والقسمات، مسجلة أحداثها يوماً بعد يوم. ومن هنا يكون غنى هذا الديوان فيما يتعلق بحياة يوسف.

3) بالنسبة للعلاقة بين بني مرين وبني نصر في أطوارها المختلفة، فالديوان

يطلعنا على ذلك، فالعلاقة قد تنوعت واتخذت أشكالاً. لقد قامت دولة بني نصر بالاعتماد على بني مرين، ولكي يقوم هؤلاء بدورهم في الجهاد من عهد أبي يوسف يعقوب حتى عهد أبي الحسن، فقد منح المرينيون قسماً كبيراً من الأندلس، وكانت لهم مواقع مخصصة في رندة وجبل الفتح، حيث تنزل محلاتهم وجيوشهم، لكن بعد واقعة طريف وذهاب أبي الحسن تغير الحال، وكان مقام محمد الخامس الغني بالله النصري في المغرب بصفته لاجئاً على عهد السلطان أبي سالم بن أبي الحسن المريني نقطة من نقط التحول في العلاقة بين بني نصر وبني مرين، ذلك أن هذا الملك الذي أواه المغرب وأحسن إليه المغاربة، كما أحسنوا إلى وزيره ابن الخطيب لم يجاز النعمة بما يقابلها بعد عودته من المنفى، بل لقد تنكر للمرينيين، وكان تردّي الأحوال واضطراب الأمور في المغرب بعد وفاة أبي سالم وما وقع بين الإخوة أولاد أبي الحسن من نزاع، كان عاملاً مساعداً للغني بالله في سلوك سياسة عدوانية تجاه بني مرين والمغرب.

وهكذا فإن أول ما بدأ به هؤلاء النصريون في سياستهم العدوانية أنهم أخذوا سبتة في آخر عهد الغني بالله، ثم أخذوا كذلك جبل الفتح ورندة، وأخرجوا المرابطين المرينيين من الثغور الأندلسية.

كان يوسف الثالث هو ملك غرناطة في هذه الفترة، وكان معاصره في العدوة هو أبو سعيد عثمان بن أبي العباس أحمد بن أبي سالم المريني، وقد كان في سن يوسف، وكان ملكاً صلباً وله بعض الحجاب من ذوي الحزم والعزم كالقبائلي والطريفي. ومما يستفاد من الديوان الجديد ديوان ابن فركون، أنه بعد مبايعة يوسف الثالث سنة 813 هـ ظهر لأهل جبل طارق أن ينضموا إلى أهل المغرب ويتبعوا الأيالة المغربية، وكان هذا العزم - أي عزم أهل جبل طارق بالانضمام إلى المغرب - مبدأ صراع شديد وحروب مدمرة بين بني نصر وبني مرين، فما كان من يوسف إلا أن استغل فرصة وجود الأمير المريني السعيد محمد بن عبد العزيز - الذي سبق أن بويع وهو ابن خمس سنين - في غرناطة ليجعله الملك يوسف الثالث على رأس جيش وأسطول نصري مجهز بالغزاة والرماة لينزل بسواحل المغرب ثم لينزل بتازة ويحاصر مدينة فاس. لقد دامت الحروب بينهما أزيد من خمس سنوات، دمّرت كثيراً من مدن المغرب التي تحدث لنا عنها الحسن الوزان في كتابه "وصف إفريقيا".

كانت سياسة يوسف الثالث، الملك الشاعر - الذي قد نحسبه من خلال ديوانه إنساناً رقيقاً - سياسة عدوانية لم تقتصر على توجيه السعيد وولديه إلى إفريقيا،

مخربين مدمّرين، لكنه استمر في الدّس للمغرب. وفي ديوان ابن فركون نجده يؤرخ لمواقع انطلاقهم كالمنكب وغيره، ثم يذكر كيف كان يوسف يستقبل المناوئين في غرناطة، بل وإنه يسمي بعضهم؛ هذه الأحداث تسببّت في ضعف كل من الأندلس والمغرب، ذلك :

1) أن الملك يوسف شغل نفسه بتجهيز المناوئين للملك المريني في المغرب من أجل إثارة الفتنة والتشغيب، واضطر إلى مهادنة القشتاليين على حساب غرناطة، مما أتاح الفرصة للأراجونيين والقشتاليين - وعلى رأسهم فرناندو الأول، الذي كان يدعى بالأنفانطي - أن يتجهّزوا ضد يوسف، وهكذا ضاعت مدن أندلسية كثيرة في هذه الفترة كأنتقيرا وحصن صخرة حماد بالغرب، من رندة وحصن منتي سنقر، وحصون أخرى كانت تحمي حدود مملكة غرناطة.

2) بالنسبة للمغرب أدّى هذا التحالف - بين يوسف والقشتاليين - إلي إضعاف المرينيين الذي سيؤدي إلى انحلال دولتهم وإلى ضياع مدينة سبتة. والشاعر ابن فركون يصف في ديوانه باليوم والسنة والشهر كيف تمّ هذا السقوط، وكيف خرجت الحامية البرتغالية، وكيف توقفت في الجزيرة الخضراء، ربما تمويها أو محاولة لامتلاك الجزيرة الخضراء، كما أن الديوان يشير إلى أن الملك يوسف الثالث لم يخرج لمواجهة البرتغاليين على السواحل الأندلسية بسبب مرض شديد ألمّ به، ومن ثم أخذت سبتة. والشاعر ابن فركون وهو يتحدث عن النواحي السياسية في هذه الفترة يلقي التهمة على أبي سعيد عثمان في ضياع سبتة، والشواهد الشعرية كثيرة. ويشير الشاعر إلى أن يوسف سيغزو سبتة وسيستردها وأن أهلها يتوجهون إليه بالرسائل طلباً للإغاثة.

3) فيما يتصل بالعلاقة بين بني نصر وبني مرين بالقشتاليين، نجد في هذا الديوان كلاماً كثيراً عنها، فنجد إسم فرناندو الأول في ديوان ابن فركون، كما هو في ديوان يوسف الثالث ومعاهدة القشتاليين والإراجونيين أسهمت في التفريق بين النصريين وبين بني مرين، وفي الديوان إشارات كثيرة إلى الكيفية التي كانت عليها العلاقات بين كل هذه الدول. وإذا كانت الرواية الإسبانية أو تاريخ الفترة معروفاً باللغة الإسبانية في وثائق الباحث الإسباني أراباس، فإن الرواية العربية لم تكن معروفة إلا من خلال ديوان يوسف الثالث. وبالعثور على ديوان ابن فركون يمكن القول بأنه كشف عن الأحداث السياسية والتاريخية لهذه الفترة.

4) نتيجة لهذه الظروف السيئة، ونتيجة لتآمر يوسف الثالث مع القشتاليين ضدّ بني مرين، فقد سقطت كثير من المدن المغربية حول فاس ومكناس وسلا وكفزاز وتافيلالت وبهت وسوق الجمعة وغيرها.

وأخيراً، فإن هذا الديوان يقدّم مثالاً حياً على أن الشعر العربي بقي محافظاً على فخامته وجزالته، وهذا سيظهر بوضوح عندما تدرس هذه النصوص من الناحيتين التاريخية والأدبية، وعندما تتاح الفرصة لتحقيقها وضبطها ونشرها.

ملاحظة: تجب الإشارة ألى أن الأستاذ الدكتور محمد بنشريفة نبّه في الأخير إلى أن العرض يضمّ حوالي 130 صفحة، لكنه لم يقدّم إلا نظرة ملخصة حول هذا الديوان نظراً لضيق الوقت.

مداخلة الأستاذ عبد الله كنون في ختام الندوة

تميزت الجلسة الختامية في ملتقى أيام العلامة سيدي عبد الله كنون بطنجة بمداخلة فضيلته التي جاء فيها :

"أرجوكم أن تسمحوا لي بكلمة لا توجد عندكم في البرنامج، لذلك رأيت السيد رئيس الجلسة يرفع الجلسة بدون أن يطلبني، فأحببت أن أقحم هذه الكلمة بين هذه العروض القيمة التي ألقاها عليكم الزملاء والإخوان الأساتذة الأعزاء، كلمة ختامية كان ينبغي أن يقوم بها فرع الاتحاد في طنجة، وكلمة ختامية تلزمني أنا بالشخص وبالذات، فهي حينئذ كلمة موزعة بين الطرفين، تنوبني وتنوب فرع الاتحاد الذي قام بهذا التكريم. أما فيما ينوبني فأنا لست على مذهب صديقي وزميلي الأستاذ الدكتور محمد عزيز الحبابي في عدم شكركم، لأن من الأصول التي أتمسك بها وتحدث عنها أخونا الأستاذ ادريس الناقوري، ان من لم يشكر الناس لم يشكر الله. فإذا لم أشكركم كأني لا أشكر الله على ما قابلتموني به من هذا الإعزاز بالإكرام. أشكر الحضور أولاً الإخوان والأخوات الذين حضروا هذه الجلسات التكريمية بهذه الكثافة، التي أعطت للحفل أهميته وقيمته، بدون هذا الحضور لا يكون لهذه الجلسات أثر ولا مفعول، لأن هذه الخطابات وهذه الكلمات ينبغي أن يكون لها صدى وأن يكون لها وقع في النفوس، وكلما كثر العدد، كلما وقع النفع بها، لأن الشاهد يبلغ الغائب. فأنا أشكركم وأشكر بعد ذلك الإخوة الأساتذة الأجلاء، الذي طوقوني من الثناء والتقدير

والتكريم فوق ما استحق وجعلوني أشك في نفسي هل هم يتحدثون عني أو يتحدثون عن شخص آخر. هذا الشكر مني لهم، ولذا هذه الكلمة تنوبني كما تنوب الأخ الأستاذ أحمد الطريبق، الذي من حقه أن يشكرهم لأنه هو الذي استدعاهم وكلفهم مشقة الانتقال إلى طنجة ومشقة الإعداد لأبحاثهم أو لكلماتهم وأغلق الباب على ما سواهم، بحيث لم يعط حقاً لمن في البلد في الكلام، وحرم كذلك أيضاً السيدات، وكنت أحبّ أن أسمع كلمات لهن، لأني ما كنت قط ضد المرأة ولا خصماً لها، بل إني أراها زهرة المجتمعات، وإذا كان هناك اجتماع بالمعنى الصحيح لا للهو ولا للبطالة، لا يكمل إلا إذا كانت فيه السيدات والفتيات اللائي يكسين هذا الاجتماع روحاً وشفافية، لا توجد بغيرهن على كل حال، نحن قد خضعنا للتنظيم الذي وضعه فرع الاتحاد بطنجة وخرجنا من الكلام كلاً إلاّ لما رأيت أن هذه الطاعة تكون فوق الاحتمال، فخرجت على هذا التنظيم وطلبت الكلام. فإن هذا الشكر بالنسبة للاتحاد هو شكر مزدوج، لأن الاتحاد سبق أن كرمني في مركزه بالرباط أيام رئاسة أخينا الأستاذ الدكتور محمد عزيز الحبابي تكريماً مهماً جداً، حضره أيضاً جمهور محترم من الرباط، من الأساتذة والطلبة ووجهاء العاصمة، وحضره أساتذة كبار، منهم من توفي كالأستاذ علال الفاسي رحمه الله، وكذلك حضره الأستاذ محمد الفاسي، وحضره الأستاذ محمد المكي الناصري، وحضره الأستاذ غلاب. والآن يكرمني فرع الاتحاد بتنسيق مع الاتحاد؛ فالاتحاد أيضاً قد دخل في هذا التكريم، بل بعث نخبة من أعضائه في الرباط إلى هنا وتحملوا أيضاً المشقة للوصول إلى طنجة والمشاركة فعلاً بكلمات وبالاحتفال بي شخصياً وبالمواجهة وبالتحيات.

والواقع أن التكريم الذي كان قد صدر من الاتحاد كان كسراً لحاجب أو لحاجز عدم الإنصاف أو قلة الإنصاف في بلدنا، بل في البلاد العربية كلها. فما يسمونه أو يعبرون عنه بهذه الكلمة "المعاصرة حجاب" كانت قد تسلطت على أفكارنا منذ القديم حينما عبر عنها الشاعر القديم بقوله :

لا ألفينـــك بعد المـــوت تندبنـــي

وفي حياتـي مـا زودتنـــي زادي.

هذا الذي قال الأستاذ الحبابي أنه بعدما يموت شخص نصيح ونبكي عليه ونقيم له حفلاً كبيراً، لا يعرفه ولا يصل إليه خبر، من ثم صارت بعد ذلك تتجاوز هذه الحواجز. وقد كرم الاتحاد الأستاذ علال الفاسي رحمه الله، وكرم الاتحاد أيضاً

الأستاذ الحبابي والأستاذ المنوني في مكناس حديثاً وقريباً، ولا شك أن هذه الحفلات والاعتراف للعاملين لصالح الوطن والأمة سيتواصل لأنه قد فُقئت هذه الغشاوة عن أعين الناس.

لقد كنا نفرط في أفراد وعلماء وأساتذة ولا نتصل بهم ولا نجتمع معهم، وقد فاتتنا كثير من الأشياء، فيما بعد ذلك تذكرناهم وقلنا لو كنا فاتحنا في هذه القضية فلاناً أو فلاناً لكان عندنا الخبر اليقين. وقال آخر وبعبارة لطيفة :

قل لمن لا يرى المعاصر شيئـــــاً

ويرى للأوائـــــل التقديـــمـــــــا

إن هذا القديم كان جـــديـــــــداً

وسيغدو هذا الجديد قديمـــــــاً.

وهذا من عهد العلماء والحفاظ والرواة والنقاد والقدماء، فكان الأصمعي مثلاً لما يُنشد شعراً جيداً يتمايل ويهتز طرباً واستحساناً له، ثم لما يسأل عنه لمن هو، يقال انه لبشار بن برد أو لأبي الحسن النواسي يتراجع.

كسر هذا كما قلت في المغرب لما قام الاتحاد بتكريمي الأول الذي أشرت إليه، وقبله كسر في الشرق بتكريم العالم العربي أحمد شوقي ومبايعته بإمارة الشعر. وقال زميله ومنافسه حافظ إبراهيم في قصيدة كبيرة :

أمير القوافي قد أتيت مبـــايـعـــــاً

وهذي وفود الشرق قد بايعت معي.

فبايعته بإمارة الشعر، وجاءت الوفود من العراق ومن سوريا ومن لبنان ومن عديد من البلاد العربية الإسلامية، وصار أحمد شوقي يحمل لقب (أمير الشعراء) من ذلك اليوم، وإن كانت جماعة الديوان لم تقبل بذلك وتحاملت عليه، ولكن تحاملها لم يصرف الناس عن تلقيب أحمد شوقي بأمير الشعراء.

هذا الاحتفال في الحقيقة يكون تقديراً لذلك الشخص، ويكون تكريماً له، وتوعية للجمهور بقيمة الشخص الذي يعيش بينهم ويمشي في الأسواق كما يمشون أيضاً ولا يعطونه أي أهمية. وقد قيل هذا في الأنبياء، وقد ذكرتني بذلك عبارة يمشون في الأسواق، فقد كانوا يقولونها للنبي صلى الله عليه وسلم : "ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق". يأكل كما نأكل نحن، ويمشي كذلك أيضاً

في الأسواق، فكيف يكون رسول الله ؟! وهذا من أعظم الغلط ومن أعظم الغفلـــة.

استفدت أنا من هذه العروض كثيراً جداً، كنت أحضرها باهتمام لأجل أن أرى مدى انطباعها علي، ومدى ما وقعت فيه من أغلاط في كتبي وفي إنتاجي على العموم، وما يمكن أن أصلحه من ذلك، وما يمكن أن أتداركه، وبحمد الله لم أر شيئاً مما يستدرك أو مما يحتاج إلى الرد، أو حتى إلى التصحيح. ومما لاحظته وأنا لم أتدخل في هذا التكريم ولم أعرف برنامجه إلا كما عرفه الناس لما طبع، ولم أعد له إعداداً إطلاقاً، مما فوجئت به أن العادة في هذه التكريمات تكون مشاركة من أحد المتكلمين أو اثنين أو ثلاثة بالأكثر حول الشخص المكرّم والباقي يكون موضوعات مختلفة، متعلقة بالعلوم والآداب وما يمتُّ إلى موضوع التكريم بصلة وان لم يتعلق بالشخص. في هذا التكريم كانت القضية معكوسة، كانت كل العروض تتعلق بي، فأقول : متى ينتهي هذا ؟ لماذا يتعلق هذا كله بي ؟ هل أنا مبخوس لهذا الحدّ وآخرون يكونون قد وفُّوا حقهم ؟ لا. هذا عطاء من الله وإلهام لهؤلاء الإخوة، وربما رأوا أشياء استغربوها، فقاموا يحللونها ويشرحونها بمنظورهم الأدبي أو الفكري أو العلمي الخ...

كُتب عن كتابي "النبوغ" الذي كانت تدور حوله كثير من هذه العروض، كثير جداً. وقد كتب عنه في الشرق كثير، وكتب من القمم الفكرية، من العقاد مثلاً، ومن طه حسين، ومن الأمير شكيب أرسلان وهذه الطبقة، ثم من بعدها، وتُحدث عنه في اجتماعات مختلفة، ولكنني كنت ألمس من يبحث في منهجه وفي طريقة وضعه في كتابته كيف هي. هل على طريقة من أرخوا للأدب العربي أو على طريقة أخرى. وهل هي شيء معتاد أو شيء بدع جديد، فلا أجد من يتكلم على ذلك.

في هذا الاجتماع تميزت العروض التي ألقيت بالبحث في هذه الناحية، لا سيما بحث الأستاذ الدكتور عباس الجراري والأستاذ الدكتور محمد السرغيني، فكلاهما تحدث عن منهجية هذا الكتاب، والحقيقة أنها كانت عندي منهجية مضبوطة، لأني كنت أستحضر أني سأواجه قراء من كل الأصناف في الداخل وفي الخارج من يعتقد أن المغرب بلد عربي، له ماض وتاريخ وحضارة، ويمكن أن يكون له أدب، ومن لا يعترف بشيء من هذه الأمور من العرب أنفسهم فضلاً عن غيرهم. فإذا جئت أقول أن للمغرب أدباً وأكتب مثلا الجزء الأول وأجعله هو تاريخ الأدب وأقتصر عليه فربما يقال إن هذا يتوهم ويتكلم في الهوائيات. أين هو هذا الأدب ؟ وأين النصوص التي

تشهد له بهذه الدراسة وهذه التحليلات في الجملة. لم أتعمق كثيراً لأن الحرص على الأمانة من علامة الخيانة، فلو تعمقت كثيراً لقالوا هذا يبالغ. فهذا الأدب الذي يقدمه لنا ليس في مستوى هذه الدراسة، فكان علي أن أهيء النصوص، في حين أن الذين كتبوا في تاريخ الأدب، من الزيات ومن جرجي زيدان ومن الأسكندري ومن مصطفى صادق الرافعي وغيرهم، الأدب بين أيديهم والعصر الجاهلي معروف لدى الناس كلها، وهو مشروح ومدروس بأكثر ما يكون الشرح والدرس، وكذلك العصر الأموي والعباسي وما إلى ذلك. فهذه قطوفها بين أيديهم، لكن في المغرب ليس هناك شيء، فإذا درست، يلزم مني أن أقدم للناس ما يبرر هذه الدراسات. أما نحن فليس بأيدينا أي شيء من ذلك، فيلزمني أن أبحث وأنقب وأجمع، وبعدما أجمع أختار وأنتقي. وقد فعلت كذلك وجمعت محافظ كثيرة وضخمة، وصرت أنتقي منها، ممكن الذي قدمته لا يساوي الثلث فقط، لأني أستحضر أمام عيني أني سأقدم هذا للمنتقد، وماذا سيقول، فجعلت هذه الأشياء نثراً وشعراً في جزأين، النثر بجميع الفصول التي تكلمت عليها فيه، وكذلك الشعر بجميع الأغراض التي تناولها الشعر. ولذلك قال الدكتور طه حسين وهو قمة في نقد الأدب بقطع النظر عن كل شيء آخر قال : "قرأته كله، وأظن أنه قال : وأعدت قراءته، معناه أنه قرئ عليه، ونعرف الذي كان يقرأه عليه هو الدكتور محمد دسوقي، كان محرراً بمجمع اللغة العربية قال : فلم أر فيه نصاً ليس في مستوى الأدب الرفيع، ولم أر فيه نصاً ابتلى بما ابتلى به الأدب في المشرق ولا سيما في العصور المتوسطة، بعدها فالأدب في العصرين العباسي الأول والثاني كان مليئاً بالزخرف والبديع، ولم يعد أدباً وإنما صار صنعة؛ هذه الأشياء لا توجد في النصوص التي قدمها لنا فلان عن الأدب المغربي"، وهذه شهادة مهمة جداً بهذه النصوص، وهذه كانت بالاختيار من مجموعة عظيمة ولكن كيف كان الاختيار وكيف كانت تُجمع، الله أعلم بها، وكان جمعها وانتقاؤها منذ ما قبل العشرين إلى الثامن والعشرين حين استوى الكتاب. وهذا العمل نفسه لما طلب مني أن أكتب عن الأدب العربي في الفترة التي جاءت بعد النبوغ المغربي. فالنبوغ المغربي وصلت به منذ عهد الأدارسة أو قبل الأدراسة، ابتداء بطارق بن زياد وخطبته الشهيرة وما قيل حولها من إثبات أو نفي، واستغرقت في هذا التشكك الذي تناقله المستشرقون كثيراً، ومن المؤسف أن يتلقى عنهم الكتاب العرب أنفسهم هذا التشكك، وكيف تكون هذه خطبة، فبينت أنها خطبة عادية، ليس فيها إبداع ولا شيء، إنما يتكلم مع قواته ويقول لهم كلاماً يفهمه كل أحد. وطارق نشأ في بيت عربي، لأنه طارق بن عبد الله بن زياد، ونشأ في دمشق، ودمشق حينئذ هي عاصمة الخلافة، فكيف لا يكون عربياً، ونحن

ندخل أبناءنا لمدرسة فرنسية فيخرجون بفصاحة توازي فصاحة أبنائها. هذا لا يستغربونه، ولكن يستغربون أن يتكلم البربري، مع العلم بأن البربر عنصر من عناصر العرب وأن لغتهم فيها كثير من الألفاظ العربية وان أصلها سامي الخ. فدللت عليها بالكثير، أقول من عهد طارق إلى عهد السلطان مولاي الحسن الأول، فهناك وقفت، فكانوا في الشرق العربي وفي الجامعة العربية وبالخصوص في معهد الدراسات العليا للديبلوم، التابع للجامعة العربية بالقاهرة، والذي يدرس فيه طلبة من أبناء البلاد العربية، كانوا يمهدون لوضع تاريخ للأدب العربي في العصر الحديث، ابتداء من منتصف القرن الثامن عشر إلى منتصف القرن التاسع عشر والنصف، لمدة مائة سنة، فطلبوا مني أن أكتب هذا التاريخ، إنما أشتغل بالأدب القديم، ويا ليتني أفي بهذا الأدب الذي أشتغل به، وكيف أزيد أيضاً مسؤولية أخرى، وكان مدير المعهد حينئذ شفيق غربال، وهو من أساطين الفكر والتاريخ في مصر. وهذا المعهد يتناوب إدارته كل سنة، قطب من أقطاب العلم العربي، فلما قلت هذا لشفيق سكت وأشرت عليه ببعض الإخوان هنا في المغرب، وقلت اكتبوا لفلان وفلان يمكن أن يشتغل بهذا العلم، بعد ذلك جاء طه حسين وتولى إدارة هذا المعهد، كتب إلي وقال : تكتب لها في تاريخ الأدب من كذا إلى كذا في المغرب العربي، فوجدت أن هذه العبارة تعطيني مندوحة للتملص، فكتبت له وقلت ان المغرب العربي يشمل المغرب والجزائر وتونس، وأنا لا قدرة لي بهذا لأن تونس بعيدة عنا وكذلك الجزائر، فكلفوا غيري لكي يستطيع إنجاز هذا العمل. فبعدما ذهبت ولم يجبني قال لي كاتبناك وقلنا لك أن المطلوب هو المغرب الأقصى فقط، وكتبنا لك بالطريقة الرسمية على طريق وزارة الخارجية وما إلى ذلك، قال نحن الآن ننتظر أن تكتب لنا عن المغرب الأقصى فقط.. ذهب طه حسين وجاء الدكتور عبد الرحمن بزاز العراقي، الذي تولى مديرية المعهد، وهو الذي كان رئيس الوزارة في العراق فيما بعد ذلك، وألح علي إلحاحاً، فقلت في السنة القادمة عندما أعود، فعلاً رجعت وصرت أفكر في الموضوع وأعرف أني إذا كتبت لمائة شخص يعطوني ما عندهم أو يدلوني على مصادر معينة وما إلى ذلك، فلا يجيبني ولا خمسة في المائة من الناس، فاعتمدت على نفسي، كما بينت ذلك في مقدمة هذا الكتاب، وكتبت هذه المحاضرات "أحاديث عن الأدب المغربي الحديث" ولقيت استحساناً كبيراً هناك، وطبعت من طرف المعهد وطبعت بعد ذلك بغير إشراف المعهد. ماذا فعلت في هذا ؟ قلت أنا لا أستطيع أن أكتب عن هذا، لا تهرباً، ولكن أنتم إذا كتبتم عن الأدب الحديث في لبنان أو في سوريا أو في العراق وحتى في تونس، هناك دواوين للشعراء المحدثين مطبوعة، هناك دراسات عن هؤلاء الشعراء متعددة، هناك

مجموعات تجمع الشعراء المتقاربين كشوقي وحافظ إبراهيم وخليل مطران ومجموعات أخرى عن الكتاب الثلاثة، والخمسة الخ... ودراسات عنها وتحمل مسؤوليات نقدها وإعطاء الرأي في كل واحد منها. أنا يلزمني أن أجمع الشعر والنثر، وأصنفه، وأدرسه، وأعطي نظري في كل نص نص، وأتحمل هذه المسؤولية أمام الناس. هذه مسألة كبيرة جداً. وفعلاً إذا كان هناك من يعرف هذه الحالة في المغرب، فإنه يعرف أن مثل ما لقيت في النبوغ المغربي بالنسبة للأدب القديم، كذلك في الأدب الحديث، ثم كنت أمام مسؤولية، كيف ومن أذكره من الكتاب والشعراء وأدرس أثرهم ؟ فخرجت من هذه المشكلة بمنهجية أخرى أيضاً، ما هي هذه المنهجية ؟ طرحت في الساحة الموضوعات الشعرية والنثرية، والتطور الذي حصل في الأدب الجديد أو في الكتابة الجديدة في العهود الأخيرة فيما بين 1850 إلى 1950. لا شك أن ريح التطور وكذلك أيضاً ما حصل في الأذهان من تفتح على الحضارة الجديدة مباشرة أو بواسطة أثر في هذه الكتابات وفي هذه الأشعار. فلما طرحت هذه الموضوعات وحددت كذلك أيضاً التطور الذي حصل، سرت أبحث عمن عبر عن هذه الأشياء في شعره أو في نثره ومن كان كلامه كذلك متأثراً بهذا التطور. فلم أظلم أحداً، ولم أفضل أحداً على أحد، ولم أقدم بتحيز أو بمحسوبية أي الناس كان، سواء من الناحية السياسية التي أميل إليها أو أشتغل معها فيكون ذلك نظراً حزبياً، أو من الناحية الأخرى كالزمالة في الدراسة وما إلى ذلك، أو من الموضوع الذي أريد أن أقدم من قال فيه، ربما لا أجد أحداً، أو إذا وجدت آخذه، أو إذا وجدت واحدا أو اثنين أو ثلاثة أوازن بينهم. وإذا كان من الضروري أن أذكر الجميع، اثنين مثلاً، فأنا أذكرهما. وهكذا خرج هذا الكتاب بهذه الطريقة أيضاً، التي هي موضوعة من جديد ولم أتبع فيها أحداً. وفي هذه الدراسة حرصت أيضاً على أن أعطي النصوص، لأنه لما تقدم دراسة، إذا كانت عن خليل مطران، فديوانه مطبوع، لكن إذا كانت عن عبد المالك البلغيثي مثلاً تقول لهم كذا وكذا. أين النص، بل على الأقل الاتيان بنص أو نصين، ولذلك إذا كانت عن عبد المجيد بن جلون أو كانت عن عبد الكريم غلاب أو عن غيرهما ومن في مستواهما أو من هو دونهما، لا بد أن تقدم النص نفسه.

أريد أن أقول من هذا، ان هذه الاختيارات وهذه الدراسة لم يكن فيها تحيز، ولم يكن فيها تستر على أحد، ولم يكن فيها اعتداد بالمعاصرة، لكن قلنا في الأول أنها تحجب الناس عن رؤية فضائل معاصريهم، فلم يكن عندي في هذا المقام أي حجاب ولا حاجز للمعاصرة، وإذا كان اتحاد كتاب المغرب قد كرم الناس فكذلك قد كرمت كثيراً من الناس ممن لا أعرف شخصهم إطلاقاً، ولكن أعرف بعض آثارهم

ووجدت فيها الشروط المقبولة والمطلوبة فأثبتها، وهكذا لا تجد في كتاب أحاديث عن الأدب المغربي الحديث شيئاً مما يمكن أن يتأثر منه شخص، بل إني قد عرجت على الشعر الحر أو الشعر الحديث أو النثر المشعور أو الشعر المرسل أو ما إلى ذلك. عرجت عليه تعريجة خفيفة وقلت انه الآن تجربة تنتظر ما سيكون لها، وربما أرجع إليه وأكتب عن الجيل الطالع، لكن لن يتهيأ لي ذلك، ولكني تعرضت له وأعطيت بعض الأمثلة منه بأسماء بعضهم.

من ذلك الوقت اعتبرت أني استنفدت مجهودي في دراستي عن الأدب المغربي، وعن موضوعات أخرى ومجالات أحب أن أدلي فيها بدلوي، ولا سيما أني لا أجد من يبلغ ما في نفسي من الحساسية إزاءها، سواء في الدراسات الإسلامية، أو في الدراسات العربية المطلقة، أو في النقد على العموم، لا سيما وأنا أحس بأن المغرب لا يزال في المؤخرة من ناحية الدراسة الأدبية العربية نفسها، لأنه وإن توجهنا في جامعاتنا إلى دراسة المغرب وآثاره، فإننا نتوجه توجهاً استشراقياً، أو توجهاً - وليسمح لي بعض الإخوان - توجهاً استعمارياً وليس عربياً ولا مغربياً، لأنه كما كان المستعمرون وكل مراقب ناحية يعتبر نفسه مستشرقاً أو مستعرباً، يبحث عن القبيلة وعن عوائدها التافهة وعن الأشياء ويكتب فيها ويبقى يسأل سنوات ثم يخرج بكراريس ويقول انه مستشرق وانه مستعرب، صار أيضاً أساتذة الجامعات عندنا يوجهون الطلبة هذا الاتجاه، وبقينا دائماً لا تعرف عنا حركة أدبية ولا مشاركة في الفكر العربي، وبقي الشرق يمدنا بدراسته العالمية، التي تلقى إقبالاً في الشرق وفي الغرب، الشرق بمعناه الحديث في البلاد الاشتراكية، والغرب يعني في أوروبا، وكذلك أيضاً في أمريكا يكتبون عن الجاحظ ويكتبون عن أبي حيان التوحيدي، ويكتبون عن أبي تمام، يكتبون عن المعري وعن كذا وكذا هي ثروتنا العظيمة. وتأتينا تلك الكتابات إلى المغرب ونقرأها أيضاً ونكون نحن ممن يسهم في ترويجها بحيث إذا كتب كتاب مثلاً من هذا النوع، فطبع في لبنان أو في مصر، تطبع منه بأقل تقدير سبعة آلاف نسخة. ففي يوم خروجها تهيأ سبعة صناديق، في حين أننا نحن نكتب كتاباً، ونطبع منه ألف نسخة ونبقى نصرفه سنوات لأنه مكتوب على الزاوية الفلانية أو على سيدي فلان أو على الدعوة أو على الامانة أو ما إلى ذلك. فأنا ليست عندي طاقة لأن أتوجه هذا التوجه، لكن بعض الأشياء الطفيفة مما يحز في نفسي وهو الشيء الكثير، أكتب عنه في بعض المرات دراسة، يمكن أن أقول دراسة، ليست دراسة موسعة وإن كانت مركزة، وأشير فيها إلى بعض النواحي التي تستدعي الانتباه مما يتعلق بالأدب العربي على العموم لا بالمغربي فقط، ولذلك عندي مجموعة من الكتب، ابتدأت

بالتعاشيب ووصلت الآن إلى أشذاء وأنداء، والكتاب السابع إن شاء الله في الطريق، كلها عن الأدب العربي عموماً، وليس خاصاً بالأدب المغربي. والأدب المغربي كتبت فيه النبوغ وأكتب في ذكريات مشاهير رجال المغرب، كتبت في منتخب ابن زاكور، عندي منتخب اليوسي، واليوسي هو في الواقع قمة من قمم الأدب والعلم عندنا في المغرب، ومع ذلك ديوانه لا يمكن أن يطبع، ويقال هذا ديوان شعر. إن كثيراً من هذه الخرافات ومن هذه الأمثلة التي لا يمكن أن تعد شعراً، مرة يمدح سيدي قاسم بالعشرية ومرة يتعلق به بأن في يده مفتاح السماء. فهذه الأشياء كلها ألغيتها من ديوان اليوسي، وتركت في ديوان اليوسي ما هو مهم جداً وما هو له مساس بالشاعرية أكثر من غيره، وهذا لم يطبع بعد، وكتبت غير هذا من الكتب في الأدب المغربي خاصة، وعندي كذلك في الإسلاميات أشياء، منها ما أشار له الأخ الأستاذ الناقوري في الأصول، فمثلاً لما يقول الذين يتكلمون عن الاشتراكية إسلامية أو غير إسلامية ويستشهدون بأبي ذر الغفاري أو بغيره، كثيراً ما يستشهدون بالآيات التي تقول : إن المال هو وديعة عند الإنسان، ويجعلون له وظيفة اجتماعية يجب على الإنسان أن يوظف ماله في كذا وكذا، وإلا يكون مجرماً. هذا ليس في الإسلام. يجب عليه أن يوظفه إذا أدى حقه، مع أن هذه الاية : "وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه" وما إلى ذلك. جاءت آيات كثيرة أخرى، فيها التمليك، وفيها نسبة المال إلي الشخص، وفيها كذلك أيضاً أن الإسلام دين يدافع عن الملكية الشخصية، ويحرسها ويحميها ويجعل من يتعرض لها يستحق القتال. لا يحل دم المسلمين إلا بإحدى ثلاث، إلى آخره. هذا هو مذهب الإسلام، هو الوسطية، الوسطية بين الاشتراكية وبين الديمقراطية.

ونحن إذا ذممنا الديمقراطية بالمعنى القائم، فنحن نذم تطبيقها، هي في الحقيقة فكرة ممتازة (حكم الشعب)، يا ليت يكون حكم الشعب، لكن لا الشعب بمفرده، الشعب الذي عليه رقابة، وعليه كذلك أيضاً من يوجهه. أما إذا تولى الشعب، فإن الشعب قتل سيدنا عثمان لما كان الحفاظ عند المسلمين في أيام عمر بن الخطاب وفي أيام أبي بكر الصديق، فقتل عمر فيروز الفارسي انتقاماً لفارس ولم يقتله مسلم، ولكن لما دخلت الامصار كمصر نفسها وكذلك أيضاً الشام بجميع أقطارها، والعراق، والبصرة وما إلى ذلك، في الإسلام، وكان الإسلام ما زال طرياً ولم يكن صحيحاً ولم يخالط بشاشاته القلوب، قام فيه الدعاة، وقام فيه البغاة، أي الخارجون على السلطة، وقد قام فيه كثير من المذاهب والتيارات التي تحقد على العرب وتريد أن تنتقم منهم، فقام هؤلاء وهاجموا المدينة المنورة، عاصمة الرسول صلى الله عليه

وسلم، وطالبوا من عثمان أن يتنازل عن الخلافة، والخلافة كانت حينئذ أعلى مرتبة دينية ودنيوية، لا يصل إليها إلا الإنسان الذي اختاره الله في نظر المسلمين وبايعوه كما كانوا يبايعون النبي صلى الله عليه وسلم، فلم يتنازل عنها عثمان، واعتبر أنه إذا تنازل عنها كأنه أخلّ بمقامه ولم يف بما طلب منه، فدخلوا عليه وقتلوه. فمن يقتل صهر النبي صلى الله عليه وسلم على بنتيه ؟ ومن يقتل من كان يقوم الليل بالقرآن كله ؟ ومن يقتل ممول الغزوة العسرى بألف بعير بأقتاتها وسلاحها. ويقول النبي صلى الله عليه وسلم ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم. هذه أشياء ننساها، ولا نذكر إلا الثورة. الثورة صحيح، والإسلام نفسه ثورة، ولكنه ثار على الباطل ولم يثر على الحق. كذلك بقينا إلى أن جاءت الطامة الكبرى أكثر من قضية عثمان. جاء سيدنا علي، الذي عاش عمره كله في رفع راية الإسلام والجهاد من أجله، فما تركوه يستريح ثلاث أو أربع سنوات في الخلافة إلا وهم يحاربونه، وصلوا إلى أن صاروا يكفرونه. ما بقينا في عبد الله بن سبأ وغيره من اليهود والصابئة الذي كانوا يؤلهونه ويبثون الفتنة بيم المسلمين. لا، صار المسلمون أنفسهم، الخوارج يقاتلونه ويحاربونه ويكفرونه. هذه مصيبة لما استولى الشعب : (الشعب هو الجماعة الذين إذا تفرقوا ذهب كل إلي شغله وارتاحت الدنيا، وإذا اجتمعوا خربوا العالم). هذا هو الشعب في نظر عربي صميم، فنحن لا نناصر هذه الأفكار، ولا نقول بها، وإن كنا نقول بالحقوق، ونقول في الديمقراطية حكم للشعب، الشعب المقيد، والشعب الدي يكون في مستوى بعض الشعوب التي نراها الآن، مثلاً في شعب ملكي كبلجيكا، فيه معارضة، فيه من يخالف النظام. قل لهم ها مفتاح البنك المركزي للمملكة، وقل لقائد القوات ها هو ذا تحت أمرك. فهل يقوم بقتل الناس ؟ يقتل البلاجكة لكي يتولى ؟ لا أبداً. أنتم تعرفون أكبر الدول التي تمثل الديمقراطية في العالم، وهي أمريكا، الانتخابات فيها يسيطر عليها اليهود. واليهود مهما كان عندهم المال أو ليس عندهم مال، كانوا دعاة أو عندهم صحافة. ستة ملايين في أمريكا يتغلبون على مائتين وخمسين مليوناً ؟ لولا أن الانتخابات مزورة والذمم تشترى، والرؤساء ينصاعون في حبل هؤلاء المشترين للذمم، ثم بعد هذه الانتخابات يبقى الحكم الرئاسي فيه الافتيات وفيه التجاوز وفيه تحدي المجلسين معاً. فكثيراً ما يصوت المجلسان على شيء يخالف ما تقرره الحكومة، ثم يتحدى الرئيس بكذا أو بقرار أو بمسلك ويخرج بما يريد. فهذه الأشياء كلها اعتبارية.

فالإسلام إذا طبقناه على حقيقته، يكون هو مفتاح السعادة. والحمد لله الإسلام جاء بالمثل الأعلى كله، المثل الأعلى الذي كان عليه أبو بكر وعمر وعثمان

وعلي رضي الله عنهم، جاء بالمثل الأعلى وجاء بالواقع. الواقع الذي كان في عهد معاوية، إسلام، بدليل أن الصحابة كانوا كثيرن في ذلك الوقت، وفي البصرة كان أنس بن مالك يصلي وراء الحجاج، وأنتم تعرفون الحجاج من هو. ما عصي الله تعالى بمثل ما عصي به سيف الحجاج، ولكن له أمره وعلاقته مع الله، ونحن نصلي لأن الوالي كان حينئذ يصلي بالناس كما يحكم، فكان الحجاج يذهب في كل وقت في الظهر والعصر إلى المسجد ويصلي بالناس، ويأتي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد المكثرين لرواياته عنه، ويصلي وراءه كما يصلي غيره من الصحابة، وجاء بالواقع، وجاء بالمثالية، المثالية لمن استطاع فذلك خير، ومن لم يستطع، فالواقع كذلك أيضاً يحكم عليه من الإسلام. وهكذا فنحن حينما نقول نرجع إلي الأصول، نقولها لمن يريد التحلل من كل أصل، ويريدون التغيير في كل باب، كما فعل مع الأسف مصطفى كمال، وقد مرت عليه نحو ستين سنة على تغييره، ولم يزد تركياً ولا خطوة واحدة في التقدم والتطور، ما عندها طبيب عالمي، ولا فيلسوف عالمي، ولا كاتب عالمي لحد الآن، ولا اقتصاد منتظم، وما تزال تمديدها كذلك كسائر دول العالم الثالث. ماذا ربحت بهذا التطوير، فنحن نسد الأبواب، ونغلها على التطور من هذا النحو، فإذا جاء تطور ما، نقبله كما قال الأستاذ الناقوري، فنحن نقبله لأننا لا نعطي الأهمية للتطور الذي يجاري الأصول مع كثير من التساهل، ونحن نروي كلمة الإمام مالك رحمه الله الذي يقول : "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"، نرويها ونؤمن عليها، ولكن في حدود، لأن كل الكلام فيه المقبول والمردود ألا يقول صاحب هذا القول كما كان يقوله الإمام مالك. ففي هذا الإطار نشتغل، فأقول لا أنسى رأس الخيط في هذا الحديث، قلت إن أمامي أشياء أريد أن أبينها للناس، منها ما يستند لنا بقوله تعالى : "كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم". لا ننكر أن في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم أغنياء، وصلوا إلى حد لم يصله أغنياء أمريكا وأوروبا المعاصرين كروتشيلد وما إلى ذلك. لم يبلغوا ما عند الزبير بن العوام، وعند عبد الرحمن بن عوف، وعثمان أيضاً. الزبير بن العوام ابن عمة الرسول صلى الله عليه وسلم وأحد المبشرين بالجنة، لما كانت عنده أربع زوجات، فقسمن الإرث (الثمن)، جاء لكل واحدة من الأربعة مليونان، يعني ثمانية ملايين من الدراهيم هي حصة الثمن الذي أخذته الأربعة، فلو كانت امرأة واحدة لأخذت ثمانية ملايين في ذلك الوقت، ولكن هذا يقال ممول ولجهنم ! لا أبدا. هذا كان يعطي ما يجب عليه في المال وهو الزكاة وما يزيد على ذلك من الصدقة والمعروف، وإذا طلب من قبيل الدولة ـ لاحظوا أن النظام الذي كان عند المسلمين ـ لم تكن الضريبة تعم الغني والفقير. كان الغني لما

تحتاج الدولة، يفرض عليه فرض، أو يطلب منه كذا. وقد وقع هذا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء أبو بكر بكل ماله، وجاء عمر بنصف ماله، وجاء آخرون بكذا وكذا، فقال النبي لأبي بكر : "ماذا تركت لأهلك وولدك ؟ قال : تركت لهم الله ورسوله". هذه الأخلاقية هي المثالية التي قلت، ولكن نحن لسنا مطالبين بها. في عهد النبي وفي عهد هؤلاء لم يكن يطالب الناس كلهم بما فعل أبو بكر. وعمر بمعرفته لأحوال الزمان، جاءنا بالنصف فقط، وآخرون ما جاؤوا بالنصف ولا بالربع، جاؤوا بما قدروا عليه. فقوله تعالى : "كي لا تكون دولة بين الأغنياء منكم"، هو في الفيء، في مال الفيء، ليس في المال كله. فالفيء هو المال الذي غنمه المسلمون بدون قتال، حيث نفرض أنهم خرجوا لغزوة والعدو هرب وترك المال، والمال الذي ربحه المسلمون لا يوزع كمال الغنائم، لأن تلك الغنائم تكون بعد الاقتتال وبسببها يموت الناس، وفيهم الفقيد وما إلى ذلك. فهذه تقسم بدليل الآية : "ما أفاء الله على رسوله من أهل القربى، فلله وللرسول"، وهو ما كنت سأقول، فإن ذاك المال يرجع لبيت المال، فلله ولرسوله كي لا يكون المال دولة بين الأغنياء منكم، يأخذه الأغنياء. لا، الأغنياء لا يأخذون هنا، فهذا المال مبين، فمن يقول لا تعمل المال ولا تُموّل ولا تفعل، فهذا يستشهد به العلماء الكبار، وأنا كلامي عن أبي ذر الغفاري، الذي كان يبشر الناس بالنار، لأن عندهم مالاً، هذا لم يقله النبي صلى الله عليه وسلم، والشرع الذي جاء به النبي من عند الله تعالى لم يقل بهذا، بل عندنا الأحاديث التي تدل على ما ينكر هذا على أبي ذرّ. فإن حديثاً رواه مسلم في صحيحه عن أبي ذرّ نفسه قال : "جاء فقراء المسلمين إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالاجور (الدثور هم الأموال)، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم وليس لنا فضول نتصدّق بها، فهم غلبونا في الثواب، فقال لهم، فجعل الله لكم ما يقابل ذلك، تسبحون وتحمدون وبقية الصالحات، سبحان الله والحمد ولا إله إلا الله، عقب كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، سيكون ذلك بمثابة ما يتصدّق به هؤلاء". هذا كلام لحد الآن هو طبيعي، فبعد ذلك راجعوا عند رسول الله، وقالوا يا رسول الله سمع إخواننا من أهل الأموال بما قلت من الذكر، قال : هل أقول لهم لا تذكرون، فذلك ذكر الله يوتيه من يشاء، كما لو يقول لهم ابعدوا عني.

وهذا أبو ذرّ كان يخرج في الشام، وكان عليها والي كفء وعظيم وهو معاوية، وبدأ يفسد له الدنيا، حيث بدأ الفقراء يقومون بمظاهرات وراء أبي ذرّ أينما توجه، يريدون الهجوم على الأغنياء وأخذ مالهم، اشتكى لعثمان وكان هو الخليفة حينئذ، وأرسل وراءه، وكان كلما خرج المدينة عاود نفس الشيء، ثم أخرجه لقرية بعيداً عن

المدينة، لأنه سيفسد الدين، وها أن الصحابة ليسوا على هذا المذهب ولا أحد أقره. هذه ما فيها شك، إنها فضيلة إذا كان الإنسان كلما فضل عن ماله في اليوم يعطيه للفقراء، ولكن هذا ليس بواجب، ولهذا ليس بعزيمة، بل هو رغيبة. هذا الكلام نقله عني شيخ الازهر الشيخ عبد الحليم محمود لما أهديته كتابي (إسلام رائد) في العالم الآتي وجدته أصدر كتاباً، وذكر قضية أبي ذرّ بدون أن ينسبها، رحمه الله، فهذا لا يهمني نسبها أو لم ينسبها. ولهذا فالجاذبية ودراستي والنشأة على أن أتناول جانب الإسلاميات بما يصحح كثيراً من المواقف ويفتح الأعين على الكثير. شيخ الأزهر جاءت عنده أمينة السعيد تطالب بمراجعة الأحوال الشخصية، لماذا لا يرثون بالتساوي، ولماذا يتزوجون أربعة والنساء لا يتزوجن. وهناك من بالغ عندنا، وهذه لم أسمعها في الشرق، ولكني هنا أسمعها، أن الشريعة الإسلامية وضعها رجل ولم تضعها امرأة، فلو وضعتها امرأة لعرفت ماذا تفعل. وهل هذا الكلام يقال ؟ نحن ننكر، الذي يجب أن يتنبه إليه الناس هو الحكمة العملية وليس الخيالية في التشريع.

فالإسلام إذا جعل نصيب المرأة على نصف نصيب الرجل في الإرث، كرم المرأة من جهة أخرى بأنه جعلها تأخذ الصداق ويكون ملكاً لها لا لأبيها ولا لعائلتها، تفعل به ما تشاء، وكذلك النفقة على الزوج ولو كانت غنية وهو فقير، فهو ينفق عليها (ويعطيها الأجرة حتى إذا أرضعت ولدها كذلك) وإن كان ليس واجباً عليها. يقول سيدي خليل : (وإخدام أهله). إذا كانت سيدة بنت النعمة ولا تشتغل واجب عليه أن يوفر لها خادمة، وإذا كانت له زوجة أخرى وأرادت الإقامة وحدها فعليه أن يسكنها وحدها إذا أرادت. والتعدد ليس فيه متعة للرجل، فيه تعب للرجل، فيه إحسان للمرأة، لأن الله تعالى خلق النساء أكثر من الرجال، فلا تجد بيتاً فيه إبناً حتى تكون فيه ثلاث أو أربع بنات، وقل ما تجد بيتاً فيه ثلاثة أو أربعة أولاد، لماذا، لأن تعمير الكون ليس من الرجل، فلو بقي الرجال وحدهم في الدنيا فَنيتْ الدنيا، لأنه لا يوجد من يحبل ومن يلد ومن يعمر الأرض كما أراد الله تعالى بها النساء. لهذا جعلهم الله كثرة، ولما جعلهم كثرة والرجال يموتون في الحرب أكثر، وعندنا مثال في الحرب العالمية الثانية، مات عشرون مليون من الشباب في ألمانيا، وعشرون مليوناً من الشباب في روسيا، فما بالك بدول أوروبا الوسطى. وأنا قرأت قديماً في إحدى الجرائد البريطانية أنه يوجد في لندن تسعمائة ألف عانس، هؤلاء بعد الحرب العالمية خرجن في مظاهرات يطالبن الزواج بالتناوب، من تزوجت خمس سنوات كفاية بالنسبة لها، ثم تتنازل عن الزوج ليتزوج بأخرى. هؤلاء لا يعرفن الشريعة الإسلامية التي فيها التعدد، أن الرجل إذا كان ممولاً وحالته ميسورة وما يزال في سن الزواج وغير مصاب بعلة يمكنه أن يتزوج

آنسة أخرى ليقلل من عدد العانسات البائرات. كان عندنا أجنبيات، وأعرف إحدى الأمريكيات كانت مراسلة للصحف في أمريكا، اعتنقت الإسلام، مرة جاءتني لأنها تعرف صديقاً كان يزورني، وقالت لي : يا فلان من فضلك أنا أحببت فلاناً، والآن أريدك أن تخطبه لي أتزوجه مع امرأته، أي شريكة، وهي غنية. ثم الزوج عندما يتزوج سيدة أخرى عليه أن ينفق عليهما، ويبذل جهده الجسماني على جهتين، وهذا واجب عليه ليقلل من العنوسة في المجتمع الإسلامي. والمجتمع الإسلامي لا توجد فيه مسألة الرقيق الأبيض والمواخير. الآن انتهى، وحكمت أوروبا على الرقيق السود بالانعدام، لكن الرقيق الأبيض الآن، القوافل، مائتان وثلاثمائة تنقل من إيطاليا إلى إسبانيا، ومن إسبانيا إلي جهة أخرى. وهذه القوافل تكون من العانسات ومن البنات اللائي يغرر بهن الموظفون الكبار، الوزير، كسكرتيرات مخصوصات للوزير، ثم للكاتب ثم للبواب، بعد البواب يلقي به للجميع. هذه مأساة كبيرة للمرأة، لكن نحن لا نعرف سوى العنب الأسود والأبيض، لكن ننظم، فلا يعقل أن يكون الإنسان يتقاضى في كريان سنطرال ألفا أو ألفي فرنك ثم يتزوج امرأة أخرى، ممنوع، المحكمة تقول لا، وعندما يكون لديه ما يُقوِّم امرأته وأولاده، وقتئذ، نعم، أو بعض الناس لا يربون أبناءهم، كما شاهدنا بعض الوزراء، عندهم خمسون وستون ولداً وبنتاً ولا زالوا مثل الحجر. الاماء انعدموا بشرع ملك اليمين، فالمجتمع الذي يبنيه الإسلام، لا يبنى بالشهوات وبالميل الخاص، هو مجتمع مبني على قواعد علمية وأخلاقية والدوام والاستمرار.

فلهذا لما نقول كي لا تكون دولة بين الأغنياء منكم، نجد أن كتاباً كباراً يقولون هذا في المجتمع الإسلامي، من سيد قطب وفيما كتب قبل ذلك وغيره، وغيره، فأحسست بأن هناك مسائل يجب علينا في المغرب أن نصححها، وكنا دائماً نصحح. تعلمون أن عندنا كتاباً هنا في الفقه المعمول به مختصر الشيخ خليل، الذي جمع فيه الفتوى في مذهب الإمام مالك، شراحه هم المصريون، الزرقاني، الخرشي، الشبرخيتي، علي الاجوري، ولذلك يعبر عنهم فقهاؤنا بالاجاهرة، غير مصححين المذهب. واتفق علماؤنا على أنه لا يجوز الفتوى من كتب الاجاهرة، حتى ننظر في حاشية بناني، الذي صحح لهم النقول المقلوبة. وحاشية بناني حتى ننظر في حاشية الشيخ الرهوني، الذي صحح النقول وأخذها من أصلها لأنهم كانوا يعملون (لا تقربوا الصلاة ويسكتون وأنتم سكارى). ولهذا قال بعض الفقهاء جواباً لبعض المصريين، يكفينا أن نصحح أغلاطكم، فنحن لا نتفرغ للكتابة.

لعلى قد أطلت عليكم كثيراً، وأخذت أكثر مما أعجبني أن أقول، المقصود أني

أشكركم، وأحب أن يبلغ كل واحد منكم الإخوان الذين جاؤوا من الاتحاد الأعضاء هناك، بتشكري وممنونيتي لهم. وأما إخواني هنا، أعضاء الفرع، فإنهم مثل أبنائي، إذا شكرتهم فإني أشكر نفسي، وإذا لم أشكرهم، فإنهم لا تأخذهم النفس بعدم الشكر، ولكني أشكر الجمهور الحاضر، لكم أي الفرع ولي أيضاً وللمجموعة كلها، والسلام عليكم ورحمة الله".

انطباعات على هامش ندوة تكريم
الأستاذ عبد الله گنون
بطنجة

وفي العدد 284 من صحيفة "أنوال"، صدر تحت عنوان : "انطباعات على هامش ندوة تكريم الأستاذ عبد الله كنون بطنجة" ما يلي :

انعقدت بمدينة طنجة أيام 19/18/17 أكتوبر الجاري ندوة ثقافية، خصصت لتكريم العلامة عبد الله كنون. وقد نظمت هذه الندوة من طرف فرع اتحاد كتاب المغرب بتنسيق مع مكتبه المركزي.

افتتحت الأيام الثقافية هذه بحفلة شاي ومعرض لمؤلفات المفكر المغربي عبد الله كنون، كما شهدت مداخلات لمجموعة من الأساتذة والباحثين، حاولت الإحاطة بفكر وإبداع هذا المفكر الأصيل وملامسة بعض ميادين المعرفة والإبداع التي قدم فيها عطاءات غزيرة.

عن هذه الندوة وأعمالها جمع مبعوث "أنوال" بعض الانطباعات والآراء نوردها فيما يلي :

انطباعات الأستاذ أحمد زيادي

ذكرتني أيام الندوة التي نظمها مكتب فرع اتحاد كتاب المغرب بطنجة،

بتنسيق مع المكتب المركزي خلال أيام 19/18/17 أكتوبر 86، تكريماً للأستاذ عبد الله كنون بجوها الوطني الكثيف، وحرارتها الوجدانية الخاصة، وغزارة عطائها العلمي المتنوع، واستقطابها لجمهور من الأساتذة والطلبة والمثقفين المختصين والمهتمين والمتتبعين، الآتين من العديد من المدن المغربية البعيدة والقريبة، ذكرتني بما قرأته في الصحف الوطنية عن الحفل الذي نظمه الوطنيون المغاربة في الثلاثينات عن أمير الشعراء أحمد شوقي، واستحضرت في غمرة ما استشعرته عند قراءتي لوقائع ذلك الحفل الضخم وثمراته، من خلال الموقف وعظمة الالتفاتة ووحدة بين العواطف الوطنية والقومية والإسلامية.

ما أحوجنا إلى ترسيخ هذا التقليد، لإعطاء علمائنا وأدبائنا وفنانينا حقهم من التقدير والعناية والاحتفاء بهم وهم ما يزالون بيننا اعترافاً بجميلهم، وإكباراً لجهودهم، لبعث الرضا في نفوسهم وحفزهم على المزيد من العطاء. وقد كان يؤخذ على المغاربة إهمالهم لعظمائهم وعقوقهم، وهذا التقليد كفيل بمحو هذه الوصمة.

وإذا كان التكريم مطلوباً بالنسبة لكل كتابنا، فهو بالنسبة للأستاذ كنون وأمثاله من باحثينا وأدبائنا الرواد واجب، لأنهم هم الذين سنوا هذه السنة بما أقدموا عليه من تنقيب عن أخبار أدبائنا وشعرائنا القدامى وبحث عن آثارهم لكتابة تراجمهم، وتحقيق نصوصهم وضبطها ودراستها ونشرها.

وقد كان الكتاب المغاربة الوطنيون وغيرهم، في فترة الحماية مثل محمد المختار السوسي ومحمد داود ومحمد الكانوني ومحمد بن علي الدكالي ومحمد سكيرج ومحمد بوجندار يعنون بتأليف الكتب التاريخية وتصنيف المجاميع الأدبية، لأسباب اقتضتها المرحلة التاريخية الدقيقة أو استجابة لرغبة ذاتية، خاصة ونحن اليوم لا زلنا محتاجين إلى مثل ذلك، لكننا محتاجون قبل ذلك إلى التعريف باعلامنا البشرية، لأن جهودها هي التي عرفتنا بأعلامنا الجغرافية والتاريخية والحضارية، ولأن تكريمنا لكتابنا وشعرائنا وعلمائنا أو إحياء ذكرياتهم أو الاحتفاء بهم مناسبة يتكامل فيها العملان.

إنني أعترف بأنني عاجز عن تسجيل انطباعاتي عن هذه الندوة لأنني ما أزال أعيش في غمرتها وأجوائها، منتشياً ومستمرئاً. والإنسان لا يقوى على تدوين حدث أو وعي تجربة أو استيعاب عاطفة إلا بعد أن تستكمل عناصرها وتستوفي مراحلها أي بعد أن تصبح ذكرى.

لكنني سأحاول إبداء ملاحظات عابرة طفت على سطح الذاكرة خلال أيام الندوة.

إن العروض التي تلقى عادة في الندوات التكريمية لا يطالب منظموها ولا أصحابها بالإلمام بكل جوانب عطاء الشخص المكرم، لكن عدم التعرض إلى بعض الجوانب المهمة أو ذات النكهة الخاصة يجعل المتتبع للندوة يحس باختلال المقاييس المعتمدة في تحديد محاور العروض.

فالأستاذ عبد الله كنون شاعر وكاتب اجتماعي وسياسي ووطني وقومي ومرب، وهو علاوة على ذلك صحافي، تولى رئاسة تحرير مجلة (الأنوار) ومجلة (لسان الدين) وإدارة جريدة (الميثاق)، وهو قاص اجتماعي، مصلح، لكننا لا نجد في هذه المحاور ما يتناول هذه المحاور ما يتناول هذه التجارب من قريب أو بعيد. وكان من الممكن أن يتدارك هذا النقص بالمناقشة والحوار بين المتدخلين والجمهور الكثيف، الذي ملأ جنبات قاعات دار الثقافة، لكن إذا كان طول العروض وتخصيص يومين فقط لإلقائها قد حالا دون تحقيق ذلك فإنهما لم يحولا دون تحقيق الندوة للكثير من النتائج الإيجابية وفي مقدمتها تحطيم الجمود الثقافي، الذي خيم على مدينة طنجة سنوات وسنوات، وإبراز ما لإتحاد كتاب المغرب من فاعلية وقدرة على العمل وإخلاص فيه، إذا ما توفرت لديه الأسباب وأتيحت له الفرص، وإظهار ما يكنه المثقفون المغاربة، أساتذة ومهتمين وطلبة من حب وتقدير للعلامة الأستاذ عبد الله كنون واعتراف بالجميل، بالإضافة إلى ما حبلت به الندوة من وعود وما تعلق بها من آمال لصالح طنجة والطنجيين ومستقبل الثقافة في المنطقة وهو طموح لم يقو على التعبير عنه، فأحرى تحقيقه هيآت ومؤسسات لها من القدرات والنفوذ والإمكانات المادية والمعنوية ما ليس لإتحاد كتاب المغرب أي نصيب منه.

انطباعات الأستاذ عبد الجبار السحيمي

لا يمكن أن أقدم انطباعات عن التكريم لأني ما حضرت إلا جلسة واحدة. فحكمي سيكون مبتوراً وغير واقعي، وصلت للجلسة الختامية، استمعت إلى عرض واحد للأستاذ الناقوري، وألقيت حديثاً. كان الأستاذ الناقوري موفقاً في تحليله لكتاب "مفاهيم إسلامية" للأستاذ كنون، حيث أظهر الاتجاه السلفي عند المؤلف وأكد على أن ميزته الأولى هو كونه يجعل من الأصول المرجع الأول في تفهم الإسلام

وتفهيمه. بعد الناقوري تحدث محمد عزيز الحبابي، فكان عرضه مجموعة شهادات أجنبية ومغربية عن كنون الإنسان.

هذا ما يمكنني قوله، فأنا كالجبلي الذي سئل عن أنواع العنب في قريته فقال أسود وأبيض. طبعاً كان مسك الختام كلمة الأستاذ كنون، التي يمكن أن أقول انها محاضرة، ولكن التعليق على هذه المحاضرة القيمة قمت به كصحافي فلا معنى للإعادة.

وختاماً اني جد مسرور بهذا المهرجان الثقافي، الذي أقامه فرع إتحاد الكتاب بطنجة، تكريماً لعلامة مغربي نعتز به ويحق لكل مغربي أن يعتز به لما بذل من جهود جبارة في ميادين مختلفة، لغوية وفقهية وأدبية وتاريخية وفكرية عامة. تلك عادة يجب أن نسير عليها.

انطباعات الأستاذ محمد الحبابي

حرصي على حضور هذه الندوة كان لسبب أنني أريد أن أكون شاهداً على نهاية عصر هو العصر الذي يستطيع فيه العالم أو الفقيه أن يكون سلطة. ما حدث بالنسبة لندوة الأستاذ عبد الله كنون التكريمية، وبالنسبة لندوات مماثلة قليلة سابقة هو نوع من الصراع ضد الفناء. وقيم الفكر والعلم التي كانت سيدة في عصور إسلامية ماضية تنتفي الآن (المثقف) (أعني به رجل العلم والفكر) مستقبلاً. وقد ظهر شيء من ذلك حالياً في كل المجتمعات العربية والإسلامية مجرد هامش وتابع وفي أحسن الأحوال مزهرية لتجميل وجه الأنظمة. لذلك فتكريم عالم هو نوع من الصراع لمواجهة التغييب الممنهج لدور رجل العلم والفقه في مجتمعاتنا.

انطباعات الأستاذ رضوان بنشقرون

تكريم الأستاذ العلامة الرائد عبد الله كنون، الذي كان من تنظيم فرع إتحاد كتاب المغرب بطنجة، بتعاون مع المكتب المركزي للاتحاد، أعطى الحاضرين فكرة جادة عن التوجه الواحد التي صوب إليه الاتحاد وجهته إنه توجه يعكس الوجه الحقيقي للثقافة والمثقفين والأدباء المبدعين في بلادنا؛ والدليل المؤيد كامن في جدية العروض التي قدمها الأساتذة والباحثون الذين قدموا بعض ما كانوا يتمنون أن يقدموه في حق أستاذ الأجيال عبد الله كنون، وما منهم إلا طالب أخذ عنه، أو متعلم

نهل من كتبه، أو أديب أفاد من فكره وأدبه، وما منهم كذلك إلا من بقيت في نفسه أشياء كثيرة مما كان بوده أن يقوله.

وقد لوحظ غياب عناصر أخرى عن المنصة، لو استدعيت لكان الجمهور أكثر حظاً وربما زدنا الرجل إنصافاً وإكراماً، لأن شهادات معاصريه أو معاشريه أكثر دلالة، بل لعلها أكثر صدقاً في التعبير عن قيمة الشخص المكرم، والكشف عن الجوانب الدفينة في شخصيته، مما تسكت عنه النصوص، أو يحسبه الدهر من الهنات، فلا ينص عليها ولا يعتقد في جدواها، لكن الشهادات الحية قد تسهم في إظهار الجديد أو تنوير المظلم من مكونات الشخصية.

وما كان ينبغي إغفال جوانب من فكر كنون، فلقد تركزت أغلب البحوث المقدمة على كتب معلومة مشهورة (كالنبوغ المغربي) و (ذكريات المشاهير) و (مفاهيم إسلامية)، أو جوانب فكرية قيمة، أو جوانب فكرية هامة عند عبد الله كنون فلم يسمع شيئاً عن (التعاشيب) مثلاً، ولا عن (خل وبقل) ولا (العصف والريحان). ولم يتناول أحد "كنون الشاعر" مثلاً، ولا "كنون الناقد"، ولا "كنون المفسر"، ولا غيرها من الجوانب التي بقيت في حاجة إلى البحث والاستكشاف، وإنها لتستحق من ذلك الكثير.

ومن حسن الحظ أن الأستاذ كنون حين تناول الكلمة في نهاية الحفل، سلط الأضواء على بعض الجوانب ـ بما أفاد ـ بكتابه القيم "أحاديث عن الأدب المغربي الحديث".

وإنها لسنة حسنة، نأمل أن يدأب عليها إتحاد الكتاب، ولكن مع الحرص الكامل على أن يحافظ على نوعية الرجال المكرمين، فيختار أمثال علال الفاسي ومحمد عزيز الحبابي وعبد الله كنون ممن سبق للاتحاد أن كرمهم، ومن يتطلع إلى قيمة علم هؤلاء وفكرهم وعطائهم حتى تبقى للأمر مصداقية.

إعداد : جدير عبد العزيز

وخصّصت جريدة (الاتحاد الاشتراكي) لهذه المناسبة حيزاً كبيراً في عددها 1170، بتاريخ 18 أكتوبر، ننقل محتواه فيما يلي :

العَلاّمــة... العَلاّمــة

اليوم تحتفي المدينة بأديبها الكبير.

طنجة تعانق عبد الله كنون.

طنجة الأرض، قطعة من المغرب ـ الوطن.

والرجل نَبْتَةٌ نبيلة تفتقت عن تزاوج ذات الوطن الشهم بذات الأمة المغربية الكريمة، الشجاعة المجاهدة، الواقفة دوماً، وما تزال في مواجهة التحديات. هل هو احتفال أم تكريم أم إنصاف أم تخليد ؟

يمكن أن يكون ذلك كله بتفريعاته ومشتقاته المعنوية والأخلاقية والثقافية والإنسانية. هو التصور المنسق الذي اعتمل في ضمائر الإخوة أعضاء فرع إتحاد الكتاب بطنجة وهم يهبون للخروج من المألوف بتحديد هذه الأيام الثلاثة.

إنه أيام الوقوف مع الرجل العلامة، وقوف الشهادة على جدية وقيمية المحصول الفكري والمعرفي الذي تزخر به فجاج تخيلاته وجنوحاتها المتسعة طولاً وعرضاً، وشمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً في فضاءات الفكر والأدب العربيين والإسلاميين.

إنه أيام الوقوف مع الرجل العلامة، رمز التعددية الفكرية والريادة الخصبــة.

الأوصاف ها هنا ليست عملة مسترخصة ولا عملة متحفية عفا عنها الزمان ولكنها دلالات ثابتة تؤكد أن سيدي عبد الله كنون شحذ من ذاته وحياته صورة العبقري المغربي الذي إذا ما وضع - في مجال اختبار القيم على مناضد التحليل الفكري الإنساني - أكد أنه فعلاً قيمة من حق المغاربة جميعاً أن يفخروا بها وأن يباهوا بها على مدار الكرة الأرضية حالياً وعلى مدى الحقب الزمنية، وأن يتأكدوا من أن تاريخ الفكر المعاصر في بلادنا ليس تسطيحاً مادياً، ولكنه أفرز وما يزال يفرز قيماً نبيلة تعاف الانحدار والصمت والتلاشي التلقائي أو "قتل النفس" تتلاً عمداً مع سبق الاصرار.

الأيام الثلاثة، أيام الوقوف مع الرجل المناضل في جبهات الكلم المسؤول، والخلاّق على مختلف مستويات وأشكال وصيغ وظروف الكتابة، جبهات الكلم المغربي الذي وازى الكلم المشرقي "ورد على السلام" بأحسن منه ولم يكن مجرد صدى له فأعطى بذلك للإبداعية المغربية حجمها في تدرج القيمة الأدبية والفكرية على مدى تواصل الحقب منذ بداية القرن إلى الآن، ولم يكن ذلك منه نزوعاً إلى تكريس التشرذم العربي، ولكن للحم الكيان العربي بأدوات ومواد وخصوصيات فكرية وأدبية قوية تجعل وطننا حاضراً فعّالاً، رائداً ومنبعاً من منابع المعرفة يؤخذ به ويؤخذ منه ولا يؤخذ له.

طنجة تعيش عبد الله كنون من الداخل في هذه الأيام الثلاثة، وحبذا لو اتسعت هذه المعايشة ليعيش الوطن كله من طنجة إلى الكويرة على نغمة هذا الاحتفاء بما يتوفر للوطن من أجهزة سمعية بصرية وقنوات تعليمية ليعرف الأطفال والمراهقون، رجال الغد، من هو عبد الله كنون وليَسْبر الطلبة والدراسون آثاره الحية وليعي الآباء والأمهات حجم الرجل في عالم العطاء الفكري العربي والإسلامي والمغربي.

كان بودي أن أحضر الأيام الثلاثة رداً على الدعوة التي وجهها لي الإخوة أعضاء الفرع، ولكن ظروفاً قاهرة حالت دون ذلك، ولي شفيع في إخواني بالمكتب لينوبوا عني، غير أني سأجلس إلى أطفالي وأهل بيتي وأخبرهم عن الرجل العلامة والرجل العلامة والرجل مناضل الكلمة، شاعراً وصحفياً وأديباً ومفكراً. سأفعل ذلك، وهو أضعف الإيمان.

فتحية للأستاذ عبد الله كنون أطال الله عمره.

أحمد صبري

المسرح والقصة

يعتبر الأستاذ الجليل عبد الله كنون من المؤلفين والكتاب المغاربة الذي يحترمون، بحق، مسؤولية التأليف، باعتبارها سجلاً تاريخياً لا محيد عنه بالنسبة للأجيال المتعاقبة، لذلك يعتمد في مجرى أبحاثه ودراساته ومحاضراته وأحاديثه التي يجمعها في كتب قيمة الوضوح في الأسلوب والثقافة في اللغة مع التركيز على عمق الحديث وعدم التسرع في إصدار أحكام مسبقة على أعمال الغير إلا حين التأكد من عطاءات الكاتب ومكانته وسط الحقل الأدبي المغربي. فهو يرى أنه "وإن كان لبعض الكتاب والمؤلفين موضوعات وبحوثاً شتى، فإن ما لا يعرفه من ذلك أكثر، ولا معنى لتخصيص البعض بالذكر دون البعض، على أن هناك كثيراً من الأعمال إنما هي أسماء بدون مسميات...".

ولهذا عندما كتب الأستاذ كنون نصاً تعريفياً ـ نقدياً عن القصة والمسرح بالمغرب، ضمنه "أحاديث عن الأدب المغربي الحديث"، كان على يقين أنه إذا كانت هناك محاولات ناجحة فليس معناها أن الطريق طويت وأن الأمر قد استقر في نصابه بالنسبة لهذين الفنين من النثر.

وما دامت قواعد الفن لم ترس على أساس، بمعنى أن المحاولات الجادة لأدبائنا في هذا الميدان، ما زالت تتعثر بمختلف العوائق، فإن من المستحسن تأخير الحكم حتى تتوفر دلالته.

وطبيعي أن يتضمن نص الأستاذ كنون حول الفنين المذكورين نفس، أو على الأقل، أقرب المعلومات التي تجدها عند عدد من الباحثين في بوادر القصة والمسرح بالمغرب، وحتى عند إعطاء بعض النماذج منهما، فإنك تعثر على نفس الأسماء والعناوين، مع فارق بسيط، لكنه مهم جداً بالنسبة لمؤلف كالأستاذ كنون، الذي ما أن تقرأ أحاديث الكتاب كلها، حتى تتجاوب معها وكأنها حديث واحد، نظراً للخيط المتماسك، الذي يربط بينها، عكس تلك "الشذرات" الكتابية التي أمسى بعض المؤلفين المحدثين يجمعها من هنا وهناك لتنشر بعد ذلك في كتاب للتداول، وإثر التمعن في "التأليف" تجده مهمشاً "(ثرة الهوامش) مجهول الأصل والفصل، وذلك فقط لإظهار أنه قارئ مدمن، ينقب في بطون الكتب ويعرج على المكتبات والخزانات الخاصة والعامة (كذا !) بينما التأليف عند الشيخ كنون هو تأليف رصين، كلما طال به الوقت في وضع مؤلف وتدوينه، إلا وتيقن من أنه سيفضي به سهره وسهده واعتكافه واعتصامه إلى نتائج إيجابية متجلية، أساساً، في تلك الأفكار البسيطة في طرحها، العميقة في دلالاتها كأن يقول مثلاً بخصوص القصة :

"تتوزع جهود الأدباء المغاربة بين النظم والنثر والقصة والمقالة وغير ذلك من ضروب الإنتاج الأدبي، ولا نجد أديباً انقطع إلى كتابة القصة خاصة، أو كان اهتمامه بها أكثر من اهتمامه بالأشكال الأخرى من الأدب"، وكأني بالأستاذ كنون يدعو إلى تفرغ الأديب القاص لكتابة قصصه، بغية تأسيس القصة المغربية التي يطمح إلى تحقيقها أدبنا المغربي الحديث، لأن التوزع الذي أشار إليه الشيخ يعتبر من المبيدات التي أصبحت تخنق أنفاس المبدع.

أما عن المسرح، فيكتب كنون ـ تعقيباً على نموذج مستشهد به ـ "انه لم يكن بد لمسرح ناشئ غير ذي تقاليد معروفة أن يتجنب الأساليب المعقدة والدروب الملتوية للظهور بالمظهر الباعث على الاحترام واللائق بالرسالة المقدسة التي يحملها، وليس المراد بالبساطة هنا السطحية بل عدم التكلف".

نعم، إن الأستاذ كنون وهو يدلي بهذا التعريف لم يكن يهدف وراء ذلك سوى شيء واحد، وهو تجنيد الأدب ولا سيما المسرحية منه لخدمة المرامي القومية. فالمسرح المغربي، أصلاً، لم ينشأ إلا لهذه الغاية، والأدب الذي ينجز من أجله لا بد أن يسير في طريقه. كما يؤكد محدثنا على وجوب نهج البساطة والابتعاد عن التصنع في الكتابة لكي يتم تبليغ الأفكار والمضامين على أحسن وجه.

إنهما رأيان واضحان للأستاذ عبد الله كنون، جئنا بهما على سبيل الاستئناس والتذكر، ونحن نعيش مع طنجة لحظات تكريم الرجل وتكريم عطاءاته الفكرية والإبداعية.

المهدي الودغيري

عبد الله كنون :
ملامـــح من شخصيـــة مبدعـــة

في كتابه "الأدب العربي في المغرب الأقصى"، الذي كتبه ونشره محمد بن العباس القباج سنة 1929، ترجم المؤلف لحياة الأستاذ العلامة عبد الله كنون - ضمن الجزء الثاني من الكتاب - قائلا :

"عبد الله كنون من خيرة شباب الأمة المغربية ومن دعاة الفضيلة وأنصار الهداية الإسلامية الذين تربوا تربية صالحة لم يشبها شيء من أدران المدنية الكاذبة وفساد التقليد.

يمتاز بالذكاء الفطري ورقة الطبع وكرامة الخلق وصفاء الضمير، وكل من يقرأ نفثاته السحرية وشعره الحزين يومن أنه صادر عن قلب متألّم وفؤاد مكلوم، وإن له مقامه بين العاملين لصالح أمتهم ونفع وطنهم بكتاباته المتوالية في الصحف وشعره الذي يمثل العواطف الثائرة في نفوس الشباب.

ولد بفاس يوم السبت 30 شعبان عام 1326 هـ، ونشأ في بيت علم وصلاح، فتعلق بالعلم واعتنى به والده فرباه تربية حرة، لا يشوبها تقليد، ولهذا تراه كثيراً ما ينزع في شعره نحو الحرية والإشادة بذكرها؛ ولما بلغ سن التمييز اعتمد على نفسه في المطالعة والدرس وأكب على دواوين الأدب ومختلف تصانيفه وبالأخص القديمة منها، إذ كان ميله إليها شديداً، فنمى بذلك إدراكه وتثقفت ملكته فقال الشعر وهو في الرابعة عشرة من سنه، وخاض في أغراض شتى من فنون الشعر والأدب حتى جمع

على حداثة سنه ديواناً ليس بالصغير، وأهم المواضيع التي يحوم حولها : المديح والغزل والتشبيب والفخر والحماسة، وهكذا بقي ينسج على منوال المتقدمين من فحول الشعراء ويسايرهم في مناحيهم حتى ظهرت هذه الحركة الفكرية الحديثة فتطور شعره بكيفية محسوسة وغير أسلوبه وخطته وترفع عن تلك المواضيع البالية التي سئمنا في طرقها إلى مساعي أن يكون فيه حياة للشعب وصلاح للأمة. وقد انتقل مع والده العالم لثغر طنجة أيام الاحتلال ولا يزالون بها إلى اليوم، وهو يشتغل بوضع مؤلفات قيمة أهمها كتاب (ذكريات مشاهير المغرب)، جمع فيه أكثر من خمسمائة ترجمة لعظماء المغرب قديماً وحديثاً وكتاب (النبوغ) الذي ألم فيه بمن نبغوا بهذا القطر وذكر شذوراً من نظمهم ليكون مثالاً من ثمار عقولهم ونتائجهم، وإني لمعجب بهذا الفتى الناشط وبجهوده التي بذلها في جمع مثل هذه الكتب النافعة التي قلما يوفق إليها من هو أكبر منه سناً، ولعمري أنها لأجل خدمة يسديها أمثاله لشعبهم المتحفز للنهوض، وستحفظ له ذكراً حسناً في سجل التاريخ الخالد.

وقد لاحظت عليه في نظمه ونثره بعض عثرات وطغينات ـ وان للقلم لطغياناً ـ إذا هو تنبه إليها كان أنبغ أديب أنجبه وطن مغربي ذو مجد أثيل.

شهادة عبد الله گنون حول كتابه "النبوغ المغربي"

لما ألفتُ هذا الكتاب، لم أكن أهدف به إلى تمييز أدب المغرب بميزة ليست في الأدب العربي العام، ولا إلى تخصيصه ببحث مستقل يجعله في نظر المغاربة أو غيرهم كتاباً خاصاً بأدب من أقطار العروبة على حدته، إنما كان مقصودي الأهم من تأليفه هو بيان اللبنة التي وضعها المغرب في صرح الأدب العربي الذي تعاونت على بنائه أقطار العروبة كلها، وذكر الأدباء المغاربة الذين لم يقصروا عن إخوانهم من المشارقة ومغاربة بقية أقطار المغرب العربي في العمل على ازدهار الأدبيات العربية على العموم.

وذلك لأني رأيت منذ نشأتي الأولى إهمال هذا الجزء من بلاد العروبة في كتب الأدب وكتب تاريخ الأدب، حتى لقد تذكر تونس والجزائر، وبالحرى القيروان وتلمسان، فضلاً عن قرطبة وإشبيلية، ولا تذكر فاس ومراكش بحال من الأحوال، وظننت أولاً أن ليس لبلادي في هذا المجال مشاركة، وإنما حسبها ميادين البطولة والجهاد والفتح، ولذلك لا يسع المؤرخين وكتاب التراجم إلا أن ينوهوا بشخصيات يوسف بن تاشفين، وعبد المؤمن بن علي، ويعقوب المنصور، وأبي الحسن المريني، وإضرابهم من أبطال المعارك وأرباب الحكم والسلطان، ويثنوا على أعمالهم ومساعيهم في خدمة الإسلام، وتوطيد دولته، في حين انهم لا يعيرون اهتماماً لرجال العلم والأدب، ولا يعرجون على ما كان لهذا الوطن العزيز من صولة في عالم الفكر وميدان العرفان.

ثم لما بحثت ونقبت، وجدت كنوزاً عظيمة من أدب لا يقصر في مادته عن أدب أي قطر من الأقطار العربية الأخرى، وشخصيات علمية وأدبية لها في مجال الانتاج والتفكير مقام رفيع، ولكن الإهمال قد عفى على ذلك كله، وعدم الاهتمام بجمعه في كتاب، والتنبيه عليه في خطاب أدى إلى وأده، فاحتاج إلى من يبعثه من مرقده.

وقد شمرت عن ساعد جدي، وأنا يافع لم يبقَل بعد عارضي، فتتبعت جميع ما وصلت إليه يدي من آثار أدبية مغربية، وأخبار عن أدباء المغرب وعلمائه، مما وقفت عليه في الكتب والأوراق والمحافظ، أو تلقفته من أفواه المشائخ والأدباء والأقران، وجمعت ذلك كله في كتاب (النبوغ) ودفعت به إلى المطبعة منذ بضع وعشرين سنة، لعلي أرفع الضيم عن بلادي، وأثبت مركزها في حظيرة العلم والأدب، على ما هو عليه مركزها في السياسة والحرب أو أعظم.

ولقد وفقت إلى ما أردت أو بعض مما أردت، على ضعف وسائلي المادية والأدبية في ذلك الحين، فكان للكتاب صدى بعيد في الداخل والخارج، نبه الزملاء والناشئين بعد إلى العناية بهذه الناحية من تاريخهم، وأثار اهتمام الباحثين والمعنيين بهذه الشؤون في الشرق والغرب، حتى قال فيه أمير البيان المرحوم الأمير شكيب أرسلان "إن من لم يقرأه فليس على طائل من تاريخ المغرب العلمي والأدبي والسياسي"، وصار العلامة الأستاذ كارل بروكلمان، الحجة في تاريخ الأدب العربي يعتمده في ملحقات كتابه العظيم، عن تاريخ هذا الأدب، ولا يمكنني في هذه العجالة أن أستوعب أسماء جميع الأدباء والكتاب الذين تناولوه بالنقد والتقريظ في مختلف الصحف والمجلات منذ صدوره إلى الآن، ولكني أشير إلى إقرار العالم الإيطالي الشهير جيوڤاني بيانكي في مقال له بمجلة "الشرق الحديث" عن الكتاب "بإبرازه للمساهمة التي أبداها المغرب في الآداب العربية، تلك المساهمة التي أهملت حتى اليوم، ولم تقدر كما كان ينبغي"، وهذه هي الغاية التي من أجلها ألفت النبوغ.

عبد اللــه كنــون

النُّبوغ المغربي في ميزان القيمَة

شهادة لحنا الفخوري،
مؤلف كتاب "تاريخ الأدب العربي"

الكتاب الذي كان له الأثر في العالم العربي، والذي كان فتحاً من الفتوح، هو كتاب "النبوغ المغربي في الأدب العربي" للعلامة المحقق والبحاثة المدقق عبد الله كنون الحسني. كانت دراسات الأدب العربي في ازدهار ورقي، وكان النقد ينتقل من طور التقليد إلى طور التحري العلمي الصحيح، وحفلت المكتبة العربية بالكتب، تلدها المطابع في خصب عجيب. وفي زحمة هذه الثورة الأدبية لبث المغرب العربي "مطوي" الصفحات، مجهول الآثار وكأنه بعيد كل البعد عن الحركة الفكرية والفنية، وكأنه لا وجود له في التيار العربي الزاخر، فكان لا بد من عبقرية جبارة تتسلح بسلاح الجرأة والاقدام، وتتصدى للتيار في علم وسلطان، فتنشر ما طوي فيه من صفحات، وتتم ما اعتوره من نقص في سلسلة الحلقات، توضح العمل الذي قام به النبوغ المغربي في ميدان الأدب، والمشاركة التي له في رفع بناء الحضارة العربية. وكانت العبقرية التي هيأها الله تعالى لهذا العمل الفريد متجسمة في ابن المغرب البار وعلامته الفذ عبد الله كنون، وله وحده يعود الفضل في إحياء الآثار المغربية التي لا تقل قيمة عن سواها في سائر الأقطار العربية، وله وحده يعود الفضل في توجيه الدراسة الأدبية توجيهاً يتناول الكل دون الجزء، والبناء الكامل دون الأقسام المقسمة. والذي يروقك في كتابة عبد الله كنون تلك الرصانة العلمية التي تتحرى الحقيقة في غير نزق، والتي

تتبع أوثق المصادر في غير تحيز، وتواجه الصعوبات في صبر وهدوء، وتطلب المستحيل في ثقة العلم الصحيح، واندفاعة الهمة التي لا تنثني. إنه لا يدلي بالرأي إلا بعد الدرس الطويل، والمقارنات والتعليلات العميقة ولا يقدم الحكم إلا بعد الجولات الواسعة في عوالم التاريخ والفلسفة والاجتماع والسياسة، وبعد التنقيب الواسع في زحمة العوامل والبواعث أياً كان نوعها. ومن ثم تراه يفرض أحكامه فرضاً في غير تبجح ولا تطفل، لا، بل ترى آراءه ذات فعالية وسلطان تواجه العقل في قوة وتستولي عليه بما فيها من بالغ إقناع ونصاعة حقيقة.

ومما لا شك فيه أن كتاب "النبوغ المغربي" كنز ثمين من كنوز العلم، ومصدر من أوثق مصادره، وموسوعة مغربية لا يقدرها حق قدرها إلا من لمس النقص في كتب الأدب وعرف هذا الجهل أو التجاهل الذي صدف بالكتاب عن آثار هذا العالم الغني بعبقرياته، العريق في رقيه وحضارته، الجليل الأثر في توجيه الفكر العربي منذ أقدم عصوره.

حنا الفاخوري

النّبوغ المغربي
كما قيمه شكيب رسلان

قرأت الجزء الأول من هذا الكتاب الممتع، الذي أخرجه للناس فذاً في بابه السيد الشريف، والعلامة الغطريف الأستاذ عبد الله كنون، من مفاخر القطر المغربي في دورنا الحالي. وقد كنت أعهد نفسي من بين المشارقة الرجل الذي أطلع أكثر من غيره في تاريخ المغرب وأهله، وأنعم النظر فيما يتعلق بثقافته وسياسته وسائر شؤونه، ولكني رأيت نفسي بعد أن طالعت هذا الكتاب الصغير حجمه، الكبير قدره كأني لم أعلم عن المغرب قليلاً ولا كثيراً، وكدت أقول إن من لم يطلع على هذا الكتاب لا يحق له أن يدعي في تاريخ المغرب الأدبي علماً، ولا أن يصدر على حركاته الفكرية حكما. وكما قيل في كتاب "نفح الطيب" للعلامة المقري انه كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وكلام وزيرها لسان الدين بن الخطيب، الذي من لم يقرأه فليس بأديب، يمكن أن يقال ان من لم يقرأ كتاب "النبوغ المغربي في الأدب العربي" فليس على طائل من تاريخ المغرب العلمي والأدبي والسياسي، بل هذا الكتاب في موضوعه أجدر بالإطلاق الشامل من كتاب "نفح الطيب" في موضوعه.

رسالة الأستاذ السيد المعطي بوعبيد بالمناسبة

حضرة الأستاذ الكبير السيد عبد الله كنون،

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته،

وبعد، فقد كان بودي أن أحضر شخصياً وبصحبتي رفاق من هيئة الاتحاد الدستوري لنشارك المحتفلين بشخصكم الكريم، اعترافاً وتقديراً لما أسديتموه من خدمات جلى لهذا الوطن الذي يحق له أن يعتز بريادتكم الفكرية، ونضالكم المتعدد في واجهاته، والمتنوع في عطائه.

ولئن كانت ظروف قاهرة حالت فيما بيني وبين تحقيق هذه الأمنية، فإنه لا يفوتني والمناسبة ما تزال قائمة، أن أنتهز هذه الفرصة لأعبر لكم عن مشاعر إجلالنا وتقديرنا لشخصكم الكريم وكفاحكم المتواصل الدؤوب، في سبيل مغرب تحيط به وتصونه كل مقوماته الأساسية التي يبرزها ويميزها نظامه الملكي وهويته القومية الجغرافية منها والتاريخية، وعقديته الإسلامية الصافية، الناقية من كل الشوائب والشبهات، ولغته العربية المعبرة عن كل تلك المقومات.

وإنها يا أستاذنا العزيز لرسالة جسيمة وصعبة ونبيلة في نفس الوقت استطعتم مع الرواد الأوائل الذين كنتم في طليعة قافلتهم، أن تحملوا عبئها الثقيل وذلك بالرغم من وعورة المسالك، وفي خضم كان أحياناً عارماً وزاخراً بمختلف التيارات المعاكسة، ومع كل ذلك فقد تمكنتم بفضل كفاحكم المرير من إبراز خصلة

"النبوغ المغربي" ومميزات العقيدة الإسلامية في هذه الديار، وكنتم بحق من أولئك الذين ما هانوا وما استكانوا. ولذا فإن مسيرتكم النضالية الطويلة، أسوة يجب أن تقتدي، ودرساً قيماً ينبغي أن يحفظه أفراد هذا الجيل الصاعد من أبنائنا الذين تواجههم مسؤوليات جسام.

ولقد تسنى لي في مرحلة من مراحل عملي في مدينة طنجة أن أشاهد، وعن كثب، صوراً حية من أنشطتكم المتوالية، كفاحكم المتواصل في سبيل إقرار المثل العليا التي آمنتم بها، وكافحتم طويلاً وحثيثاً من أجلها، ولي ذكريات في هذه الفترة ما أزال أتذكرها لأعتز بها.

وإنني أضرع إلى الله سبحانه أن يسبغ عليكم من نعم العافية والطمأنينة ما يساعدكم على إتمام الرسالة وأداء الأمانة، أمانة العلماء والمفكرين الأوفياء لمبادئهم.

وتفضلوا يا أستاذنا الكريم بقبول أسمى عبارات الإجلال والاحترام.

المعطي بوعبيد
رئيس الاتحـاد الدستـوري

ونشر الملحق الثقافي لجريدة "الميثاق الوطني" مقالاً بعنوان :

على هامش أيام العلامة عبد الله گنون

"گنـون الناقـــد"

للأستاذ البشير النظيفي

يقول فيه :

أعود إلى الحديث عن فقيه الأدباء وأديب الفقهاء العلامة الجليل سيدي عبد الله گنون، وذلك بُعيد نهاية حلقات الحفل التكريمي، وما آثاره في نفس المحتفى به من خواطر وملاحظات بسطها بفكره الثاقب، في مداخلته التي كشفت عن فكر حساس، ووعي نفاذ في أرق المشاعر وأقواها.

وأخص بالذكر ملاحظته التي جاءت على شكل عتاب رقيق، للساهرين على الحفل التكريمي، حين قال : "..وحرم أيضاً السيدات، وكنت أحب أسمع كلمات لهن، لأني ما كنت قط ضد المرأة ولا خصماً لها، بل إني أراها زهرة المجتمعات. وإذا كان هناك اجتماع بالمعنى الصحيح لا للهو ولا للبطالة، لا يكمل إلا إذا كانت فيه السيدات والفتيات اللائي يكسين هذا الاجتماع روحاً وشفافية لا توجد بغيرهن.." (ملحق العلم)، فاتح نونبر 1986.

والحقيقة التي لا مراء فيها، هو أن لهذه المنارة المضيئة، رعاية نبيلة بإنتاج ما

كتبته المرأة المغربية، التي يعتبرها النصف الآخر "في حركة البعث الجديد"، خاصة وأن لها مساهمات وطنية لا تنكر، نالت من جرائها السجن والتعذيب، ومساهمتها في هذا الحفل التكريمي - لو فسح لها المجال - تتموضع - في نظري - وفق دور المرأة الاجتماعي، وتفتحها الفكري، في زمن عرف فيه المغرب ازدهاراً وتقدماً في الميدان الثقافي، وكذلك قد يكون دحضاً لبعض الآراء التي بثها الأستاذ كنون في أحد كتبه، عندما تناول بالحديث الموجز والمركز، المجموعة القصصية الأولى للأستاذة خناثة بنونة "ليسقط الصمت"، والذي استهله بقوله : "ظاهرة غريبة في أدبنا الحديث، يلاحظها القارئ والناقد معاً، وهي عدم مساهمة العنصر النسوي في إنتاجه، بالرغم من تفتح آفاق المعرفة أمام المرأة المغربية، ومشاركتها للرجل في بناء المجتمع الجديد منذ فجر النهضة" كتاب "أزهار برية"، ص 76.

ثم يتساءل الأستاذ كنون، لاستنباط الأسباب التي قد تكون سبب عدم مساهمتها في الإبداع الأدبي الحديث، يقول : "هل ذاك لأن الأعمال الأدبية لا تستهوي المرأة عندنا كما تستهويها الشؤون الاجتماعية التي لها فيها نشاط مرموق ؟ أم لأن تكوينها الثقافي لم يكن من القوة بالمثابة التي تجعلها تسهم في الحياة الأدبية إسهاماً يسد الفراغ الذي نحسه في هذا المقام ؟ "، نفس المرجع والصفحة.

وحتى لا يؤخذ كلامه مأخذاً سطحياً، ويتأوله المغرضون، ومن في قلوبهم مرض، يعمد الأستاذ كنون إلى تفسير وإيضاح المرامي التي يبتغيها من وراء كل إنتاج نربطه بصفة الأدب، فيقول : "إني لا أتكلم على بعض الكتابات الإنشائية، وبعض الأعمال التي قد تصنف في هذا اللون أو ذاك من ألوان الأدب، مما صدر عن بعض الأوانس والسيدات، وإنما أتكلم علي الإنتاج الخصب، الذي يتلاحق ويتكاثر بحيث يكون حصاداً فكرياً تتلمح شخصية صاحبته من خلاله، ويقال في حقه هذا أدب.."، نفس المرجع والصفحة.

فالأستاذ الجليل سنحت له فرصة الحديث عن مجموعة خناثة، فأبدى رأيه الصريح في إبداعها، وفي مدى مساهمتها في النهضة الأدبية الحديثة، وهو رأي أشاطره صحته، ويقوي صوابه الأسماء التي ظهرت واختفت، ويحضرني الآن إسم زينب فهمي (رفيقة الطبيعة)، غيثة بوزبع، عائشة العلوي، وغيرهن من الأسماء اللواتي كن يشرفن على صفحة المرأة في المجلات والجرائد المغربية.

أكتفي بهذا لألج إلى شيء آخر، أعتبره أساس قوائم هذه المعلمة البارزة،

وأعني بذلك تعدد جوانب شخصية الأستاذ كنون؛ هذه الجوانب التي تدفع بك إلى القول في وصفها ـ كنون الناقد ـ وكتبه النقدية تحدثك عن نظرياته وآرائه في مختلف الفنون الأدبية والنقدية؛ وكذلك كنون الشاعر، وإشعاره تنبئك بفحولته في هذا الميدان؛ كما ترفع صوتك أمام الملأ، باسم كنون الفقيه، المحدث، المصلح؛ وكتاباته الإسلامية لا تحتاج إلى تعريف أو تقديم، لجرأتها، وطريقتها الممتازة والشجاعة في الدعوة إلي تبني الإسلام كمنهج قويم للحياة، يدعو الناس إلى الطريق القويم، ويهديهم إلى سواء السبيل؛ كما تستطيع أن تقول، كنون المؤرخ، الأديب... الخ، ولذلك نكد ونكدح في إيجاد وصف جامع مانع لهذه الشخصية، التي تزن الأمور بقسطاس مستقيم، وتوازن بين الآراء بعقل مستنير؛ فلا نجد وصفاً أقوى في نظري من صفة الناقد، لبروزها في كتبه، وفي أشعاره الوطنية والاجتماعية.

وحتى لا أطيل عليك، أخي القارئ، في نقل مقتطفات لهذا الناقد العملاق، كأمثلة على ما أسلفت، والتي أراها تمثل موسوعية الأستاذ كنون، هذه الموسوعية التي تتجلى أهميتها في حل رموز وتعقيدات الأثر الأدبي، وتفتيت بنيته التركيبية إلي تيمياته ـ ليقنعنا بعد ذلك بخطه الفكري، وبعملياته التغييرية في الوسط الاجتماعي. أكتفي بنقل رأيه حول الأدب المسرحي، وذلك من خلال حديثه عن مسرحية "دقات الساعة" لعبد القادر المقدم. يقول الأستاذ كنون بعد تحليله لمضمون المسرحية : "...ثم الغاية من كل ذلك هي التجنيد، تجنيد الأدب ولا سيما المسرحي منه لخدمة الأهداف القومية؛ فالمسرح المغربي أصلاً لم ينشأ إلا لهذه الغاية، والأدب الذي ينجز من أجله لا بد أن يسير في طريقه، ولذلك نرى المسرحية مجندة للدعوة إلى التعبئة العامة. إنها مسرحية صغيرة من فصل واحد قصير ولكنها مع ذلك تحتوي على فن وترمي إلى هدف. ما أحسن ما وقع التعبير عن عبث الشباب في أول المسرحية باشتغال بتطيير الحمام، وتحوير ذلك التعبير نفسه في آخرها بحيث صار رمزاً إلى سلام الزمرة واستقبال حياة جديدة ملؤها الجد والنشاط..."، كتاب (أحاديث عن الأدب المغربي الحديث)، ص 143.

فالأستاذ كنون يحدد لنا الهدف من إنشاء المسرح المغربي وقتذاك، ويحصره في سبب واحد هو بعث الوعي القومي في النفوس، وهو رأي ـ على ما أظن ـ مستخلص من ربط المسرحيات الممثلة بالظروف التاريخية التي أبدعت فيها؛ وهو رأي يذكرني ـ أيضاً ـ بتلك النهضة المسرحية التي آتت أكلها، والتي عرفتها بعض المدن المغربية إبان الاستقلال، وأعني بها تلك المسرحيات التي كانت تمثل في إحياء بعض

المدن، بمناسبة احتفال الشعب المغربي بأعياده الوطنية، وذلك بعيد الاستقلال طبعاً، والتي كان مضمونها وطنياً وقومياً، ولعل هذه الظاهرة العفوية وقتذاك كانت السبب في بروز وإظهار الفرق المسرحية المحترفة.

أعوذ من هذا الاستطراد، لأسأل نفسي - بعد الحديث المقتضب السالف، وبعد إطلاعي على ما كتبه أساتذتنا عن هذا الموسوعي - السؤال التالي، وهو : هل وفينا للأستاذ كنون حقه من التعريف ؟ وهل بلغنا ذلك مبلغاً ما، حين نمنهج ونموضع جهوده العلمية والأدبية التي نفخر بها ؟ هذه الجهود التي هي ثروة نعتز بها كمواطنين مغاربة، كما يعتز بها المشارقة. وما الشهادات التي يحملها كتاب النبوغ إلا أوسمة تقدير وإكبار، بادر فطاحل الأدباء بجعلها شارة احترام وإجلال لهذا العقل الذي فتح عقلهم على نصوص وأسماء لم تكن في أذهانهم، بأسلوب أصيل ومنهج سليم وتحليل بديع.

وفي الختام أتمنى أن يكون التكريم حافزاً، ودعوة إلى المثقفين بالعودة إلى كتابات المحتفى به، التي يتجدد عطاؤها كلما أعدنا قراءتها.

لله ما أنجبت بنت الشمال !

إلى لجنة تكريم الأستاذ عبد الله كنون مع أطيب التحيات، وعظيم الشكروالعرفان.

شعر الأستاذ
الأستاذ السيد أحمد عبد السلام البقالي

أتيتُ (طنجة) والأشــواقُ تحـدونــــي   لِحَفل تكريــم "عبد اللــه كنـــــون"
إن تُكْرِمُـوه، فقد كرَّمتمـو علَمــاً   أشمَّ من علمــاء الفقــه والديـــن
وكاتباً نَفَثَت سِحْـراً يراعــتــه   تهمِي، فتخلب ألبــاب الملايـيـــن
وشاعراً أبدعت أشعــاره صــوراً   أبهى رُوًا من رسوم الفـرس والصـين
مَتَّتْ إلى (المتنبـي) في أصالتـهــا   ونافست رقة (الدانـــوب) و(السيـــن)
يفيض علــمــاً وآراء وتجـريـــة   كأنما هــو كنز غيــر مـدفـــون !

***

تكريم (كنون) بعث للاصـالـــة في   أدابنا كدمــاء في الشـرايـيـــن
تكريمه رفض أوهام الألـى حسبــوا   ان الحداثـة تهويــم المجانـيـــن
رفض لتهريج عصر جــل ظاهـــره   نثرٌ رديء، وشعــر غيــر مـــوزون
تظاهر واحتجــاج ضد تجـربـــة   حَمقاءَ مَرَّغَــتِ الآداب في الطـيـــن

أضاع فيها شباب العصر طاقتَه … وأصبح الجيل مختلّ الموازين
تَقَعُّرٌ وغموض لا جمال له … مستهجَن فارغ من كل مضمون
تَكَاثَرَ الشعراء اليوم وازدحموا … وزاد تعدادهم عن قاطني الصين
وأشبهوا بعضَهم بعضاً، فهم نسخ … من فعل ناسخةٍ أو طبع كربون
هَبُّوا ودَبُّوا كأسراب الجراد، بلا … مواهب، وبلا صقل وتكوين
وأصبح الشعر بالكيلو يباع، ولا … يُشرى، ويرفضه أهل الدكاكين !
وبالهراوة والدبّوز يفرض في … كل النوادي على بعض المساكين
لو أن كاتبه (فرعونَ) أنشدني … إياه، قلت له: "للسجن رُدُّوني !"
قصائدُ ما لها معنى ولا هدف … لشاعر في ضباب الجهل مسجون
لا فرق إن قُرِنت من تحت، أو تُلِيت … من اليسار بسجْع أو بتلحين
لمثلها (المتنبي) شقّ حلتَه … و (ضوْن كيخوطي) تصدّى للطواحين
وَمَنْ تَطَوّع نقداً شُجَّ مفرقه ! … فإن تمادى، رموه بالسكاكين !
ثم اشتكوا حملات القمع يرسلها … عليهمو من أتوهم بالقوانين !
صار اصطحابُ هراواتٍ وأقنعة … إلى النّوادي كتقديم البراهين
وأصبح الخوض فيها دون تجربة … كالخوض في حِمَمٍ وسط البراكين
إن لم يكن لك أنصار ولا حرس، … فلا تَلِجْها بلا أوراق تأمين
وَوَدِّعِ الأهلَ والأحبابَ قبل دخو … لها، خروجك منها غير مضمون
فإن يكن أدباً هذا، فقِلّتُه … أولى، وإبداعه أحْرَى بمجنون

***

لله ما أنجبت بنتُ الشمال، وما … أعطته للوطن الغالي وللدين
وللعروبة والإسلام في ولد … بارٌّ أمين لها بالفضل ممنون
وما حَبَتْ لُغَةَ القران فيه، وما … أهدته من لؤلؤ للفكر مكنون

الملحق الثقافي لجريدة (الميثاق الوطني)
19 أكتوبر 1986

تحيّـــة وامـــــق

تحية للأستاذ العلاّمة عبد الله كنون
بمناسبة تكريمه من قبل بعض الأدباء بطنجة
خلال شهر أكتوبر 1986

شعر الأستاذ السيد علي الصقلي

أأقول : أنت البحـر في تـزخـــاره ... وكريم لؤلـؤه وفيـض غـمـــاره ؟
أأقول : أنت الغيث أقبلـت المنـــى ... ودنا الجنى ريـــان في مـــدراره ؟
أأقول : أنت الصبح أسفـر ضاحكـــاً ... والخير كل الخيـــر في اسفـــاره ؟
أأقول : أنت الروض باكـره الحيـا ... فانهل نوب العطـــر من أزهـــاره ؟
أأقول : أنت الطــود قد ملك السمـــا ... فرط العلى، والأرض مهـد قـــراره ؟
أأقول : أنت النجـم لألا ثاقـــبـــاً ... فاشتارت الأحــداق من أنـــواره ؟
أأقول : أنت الفضـــل سحّـت مزنـــه ... فأصاب كل من جـــدا آثـــاره ؟
أأقول : أنت الحق حصحـص نـــوره ... فمجلا الكنوز الغـر من أســـراره ؟
أأقول : أنت الطيب ثـــار مـؤرجـــاً ... فاهتاجـــت الأرواح عند مثـــاره ؟
من كل هذا أنـــت، لا ! بل إنمـــا ... أنت اللباب القحّ، خيـــر خيـــاره
في كل واد همت جـــاوزت المـــدى ... علماً يصول بنـــوره وبنـــاره !

لو قيل للعلم انتسب أو ما إلى … كنون حتماً، واحتمى بدياره
لو قيل للأدب افتخر، أبغير ما … قد خط كنون عظيم فخاره ؟
لو قيل للشرف الرفيع عماده … أني ولدت ؟ لقال : طي ازاره
يا سيد الأحرار مثلك من حمى … ورعى وصان الشعر من "أحراره"
وأقام نادي الفكر من عثراته … مهما كبا، ونضا كثيف غباره
ومشي به نحو العلي مستوفداً … من برج حكمته سني مناره
وكذا رفعت إلى الذرى أقداره … الإله لولاك من أقداره !
ولكم شكا الضليل منا ليله … وعلى يديك أضاء نور نهاره
فمضى يشق الدرب موطود الخطا … متحللاً بك أنت من أوزاره
يا شاعر لذنا به لوذ القطا … بأعز ما يأويه في أوكاره
ولو أن أجنحة المنى قصرت بنا … عن أن نطير إلي ذرى أشعاره
هذه تحية وامق ما إن له … إلا من يرضى اعتناق شعاره
كلا ! ولا لسواك خاطراته … لم لا ؟ وأنت الرمز عبر مساره
لك، فارس الفرسان، غاية حبه … وولائه، لك منتهى إكباره
ورعاك للضاد اليتيمة من رعى … قمر الدياجر في علي مداره.

الخميس 1986/11/6

في أيام تكريم الأستاذ الجليل سيدي عبد الله كنون

طنجة تتحدّث

شعر الأستاذ أبي بكر اللمتوني

تهادت طنجة طرباً وقالت — الا يا مرحباً بالقادمينا
سعدت بجمعكم ووددت أني — فرشت بفرحتي لكم العيونا
فليس أحب مما قد صنعتم — إلي وما عليه تشهدونا
شهود الحق أنتم لم تزالوا — تراعون الذمام وتحفظونا
إذا انتدب الشهود فهل شهود — أبر من الكرام الكاتبينا
على ولدى ثناؤكم وعنه — وعن أمجاده تتحدثونا
وهل يرعى النبوغ سوى نويه — ويدري الفضل إلا الفاضلونا
وعفواً ان بطرت ولا تظنوا — بعقلي ان تبخترت الظنونا
فعبد الله كنون هو إبني — سهرت على سلامته السنينا
وإني أمه والأم تزهى — بمن حمل النبوغ من البنينا
وكان إبناً حفياً بي صغيراً — وكنت أناله أماً حنونا
وفي كنفي توسع بالمعالي ومن — وراد العلم واقتطف الفنونا
ومن أفقي أطل ومن سمائي — تجلى فضله للعالمينا

فسل أسفـــاره من ايـن هـــلـــت وعم ضيائهـــا دنيـا وديـنـــا
وسل عن صيـتـــه من ايـــن دوى ليملأ مسمـــع الدنيـا طنينـــا
وأتونـــي بمكتبـــة تقـصـــت علـــوم الأولـيـن والآخريـنـــا
تفجـــر نبعهـــا عـــذبـــاً وريـــاً سائغـــاً للواردينـــا
زلالاً إذا نادى المنادي الفخر يومـــاً ونافـــس بالبنـيـن الوالدونـــا
فحسبي أن لي ولـــداً تسامـــى وأصبـــح في عـــداد الخالديـنـــا

(الميثاق، عدد 516،
بتاريـــخ 4 نونبـــر 1986)

في المهرجان التكريمي للعلاّمة الكبير
سيدي عبد الله گنون

شعر الأستاذ محمد بن محمد العلمي

إلى (گنون) تستبق التحايا فعبد الله كنز للمزايا
لقد أدى الأمانة في تفان، فكم غرس الفضائل والسجايا
وفي الذكرى خلود لا يضاهي لبحر، لم تنل منه المنايا
ستبقى بعده الآثار، حسا ومعنى، حبذاً تلك البقايا !
فكم قد علم الأجيال درساً، وكم أسدت قريحته الوصايا
لقد غرست شمائله بحق محبته بأعماق الحنايا
نصائحه تسامت في صعود، وفي كل المرافق والزوايا
أجال العمر في آفاق علم وأخلص في العهود، وفي النوايا
وكان الصبر شيمته دواماً على قهر المصاعب والبلايا
فما خابت مساعيه ولكن شكرنا منه جوهرة الخبايا
ومن يدعم بهمته خطاه، فللجوزاء قد ركب المطايا
تلوح الصورة الحسناء طبعاً، إذا ما قد صفت منك المرايا
وتأتيك الفوائد في انصياع إذا استوت السرائر والطوايا

(وعبد الله) في نبل وصدق — لقد شملت مودته البرايا
ينبه للمزالق في كل حين — ولا ترضى طبيعته الخطايا
وفي حب البلاد له جهاد — وتصميم على أزكى القضايا
لكم خاض الملاحم في ثبات — وحزم، ليس يعنو للدنايا !
بإيمان، وعزم، واقتدار — لقد قهر الشياطين الخزايا
فما أجدت مكايدهم ولكن — لأنفسهم تطايرت الشظايا !
وكم نحيي لعبد الله عهداً، — وقد بذل النفائس والهدايا !
و (طنجة) إذ ترى التكريم حقّاً — لعالمها الذي ربى الخلايا،
تقول : أنا التي أزهو افتخاراً — بكنون الذي يبغي رضايا،
فأعطاني خزانته احتساباً، — ليثري من ثقافته حجايا
أمانته لرابطة تسامت، — بها أدركت في العليا هنايا
أنا في قلبه المفتوح طبعاً، — فلم يهف الضمير إلى سوايا
ألا فلتهتفوا بحبيب قلب، — ومن أمسى يعطر منتدايا !
فمن أمثاله بدني يباهي — بإشعاع الثقافة منتهايا !
وفي ظل من (الحسن المثنى)، — بنى صرحاً عظيماً من علايا
فالاستقرار يزهو في حمايا، — والاستمرار يثمر في خطايا
وفي روح من التوحيد أحيا — بصحراء لقد لفظت عدايا
فلا أرضى بمرتزق زنيم — ولن أرضى دخيلاً في سمايا
فنور الله موصول دواماً — بأهل الفضل حقاً يا هنايا !
يجدد بيعة الإجماع فينا — أصالتنا فتتضح الخفايا
ومن (كنون) يغمرني شعاع — ودفء منعش يسبي حشايا،
يبادلني الوفاء مع التصافي، — ولا يلقي الزمام لما عدايا
إذا نادى من العرفان صوت — فمن وجدانه لبى ندايا :
نبوغ ممتع، وحديث شعر، — وآداب لطيفات، صبايا
وتاريخ مجيد في انبعاث، — وإكسير به ألقى دوايا
وفلسفة يكللها وضوح، — وإشراق به أمحو دجايا

تبارك من حبا الأفـــذاذ وعـيـــاً، وادراكـــاً، فحقـــق مبتغـايـــا !
ففيهم عمدتـــي شرقـــاً وغربـــاً، ومنهـم عز في الدنيـا صدايــــا
مطامحهـم إلى العليـــاء تمضـــي سراعاً، فهي تبعث لــي رجـايـا !
ومن روح (ابن يوسـف) صح وصـــل مع (الحسن المثنـــى) في التحايـــا !
إلى (كنون) ذاك النـــور يسـعـــى ليسعدنـــي ويمنحنـــي شفـــايـــا !
فمرحى، ثم بشـــرى، ثـــم طوبـــى لمن بعلومــــه تزهـــو ربـايـــا !
إذا كان الهـوى حقـــاً وصدقــــاً فعبد اللـــه وتـــر في هـــوايـــا !
ولا أنســـى موافقــه اللـواتـــي تؤكد في شجاعـتـــه فـدايـــا !
ومن أهدى لي الأنـــوار طبـعـــاً، فإني فيه لا أخفـــى ثنـــايـــا
وطنـجـــة مـــن أنـــا ؟! أم رؤوم (لعبد الله) أمنحـــه رضـــايـــا !
وأمحضـــه وفـــاء في وفـــاء، وألبســـه من الحسنـــى ردايـــا !
أدام اللـــه للأوطـــان جـنـــداً من العلمـــاء، من بذلـــوا العطايـــا
وجازاهـــم عن الإســـلام خيـــراً، ولبّـــى في محبّتهـــم دعـايـــا
فللـــرواد فضـــل أي فـضـــل ! فهم قد بدلوا سعـــداً شقـايـــا
وهم قد أخلصـــوا للعـرش حقـــا، وأســـدوا كل خيـر للرعـــايـــا !
سلام الله يا (كنـــون) ! شكـــراً على مـــا قد وهبـت من المزايـــا !

(الميثاق، عدد 17
5 بتاريخ 21 نونبر 1986)

أستاذ الجيل السيد عبد اللّه گنون
منارة في طنجة للمغرب كله

الكلمة التي شارك بها
الأستاذ محمد أحمد اشماعو في التكريم

إخواني الكرام، رابطة الأدب والفضل والخير، يا من تكرمتم فعملتم على جمعنا على التفافنا هكذا، بكل حبٍّ وتقدير وإعزاز، حول الرائد الجليل الفاضل، القدوة، الأديب، العالم الأديب، المبجل، الموقر، المحبوب في اللّه، الساكن من القلوب في أعماقها، والمالك من العواطف أصدقها وأخلصها سيدي الحاج عبد الله كنون، حفظه الله، ومتعه بالصحة والعافية، وزاد في فضائله ونعمائه.

"أقول بكل اقتناع ورضى أنه لو لم تحرّك العجلات بي عبر المسافات الطويلة، لشددت الرحلة إليكم وإلى جمعكم وإلى بدركم البهي في هذا الحفل، مشياً على الأقدام، مهما كلف ولو قعد بي العجز لتشوقت واضطربت ولقلت مع الشاعر الصوفي :

في حالة البعد روحي كنت أرسلهـــــا
تقبل الأرض عني وهـــي نائبـتـــــي
وهذه نوبة الأشبـــاح قد حضــــــرت
فأمدد يمينك كي تحظى بها شفتـــي.

لقد كادت الأيام أن تمحو العلاقات العاطفية السامية، الخاصة في سيرها الراكض، وراء شواغل الحياة، المهم منها وغير المهم، وكاد أن يخبو من الروابط البشرية، ذلكم الرابط النوراني، والذي عرف عن رجال العلم والأدب، وعن أقطاب الوطنية والنضال الخالدين، لولا أن قمتم يا رجال الاتحاد بطنجة، يا عصبة الفضل والخير فأحييتم أنتم وإخوانكم من قبل الخصال الحميدة فأبرزتم معنى السمو في تقدير الرجال واحترام الأجيال والإشادة بأهل الفضل.. فجزاكم الله خيراً..

إن طنجة مدينة المجد وقبلة الوطنية وحصن الوطنيين عند الشدّة، ومركز للنداءات الشجاعة، المدوية، التي أطلقها أسد وأشبال العرش العلوي الأمجد، فكان لها ما بعدها، كما جهرت منها أصوات إذاعة طنجة الشجية، الواثقة، أيام المحنة الكبرى، فأحيت الآمال وقوت العزائم، وكانت مصباحاً ساطعاً في ظلمات اليأس والضيق والمحن، كما كانت طنجة المجيدة مأوى للمناضلين الاشداء، محتمين وراء درع صلب من الرجال الأفذاذ من غيرتهم وسخائهم وتضحياتهم.. إنها مواقف لا ينساها التاريخ، إذاً نحن اليوم في قلعة الوطن الشامخة حاضرون للاحتفاء للتكريم لتغذية الروح وللتسامي بالنفس إزاء رمز فريد من رموز الوطن، فريد في علمه وأدبه، وإطلاعه، وتحقيقه، ومثابرته، وصبره، ونكران ذاته.. مزايا كلها انصبت وتفرغت لخدمة الوطن والأمجاد الوطنية، سواء في ميدان تربية الأجيال وتوجيهها وتنويرها أو في البحث والتنقيب عن الأعلام الأماجد بعد أن يطوي ذكرهم النسيان، فذكر الأسماء وأرخ لها وأتى بما يفيد من المآثر الفكرية.. يا إلهي مالي أحدث أناسي الفضلاء من أمور وعطاءات وخوالدهم أدرى بها منّي وأجدر بأن أجلس بين أيديهم ليعددوها لي وليشركوني معهم في الافتخار والاعتزاز بها.

هلا تكرموا وسمحوا لي بذكر دور هذا الرجل المكرم معي.. أنا حامل القلم يتأكدوا من أن فضل عزيزهم وعزيزنا عم أنحاء مدينتهم الشامخة وتدفق كأمطار الخير، ينتظم الأنحاء البعيدة غرباً وجنوباً وشرقاً، وأبعد من ذلك أنه إذا كان المحظوظون السعداء قد فازوا من الأستاذ بلقاءات وجلسات فارتووا فيها من علمه وأدبه، وخالص نصحه، ورشاده وصائب رأيه ومشورته.. فإني قد فزت من الأستاذ بمراسلاته التي استمرّت بلا انقطاع ثمانية عشر عاماً.. إنها ذخيرة أعتزّ بها، ولماذا لا أقول وأتباهى بها، فما وصول ستين رسالة من الأستاذ الشهم، الواسع الصدر، العامر الوقت إلاّ أمراً يبعث على الفخر والاعتراف بالجميل، وكيف لا أعترف بجميلها

وهي التي انعشتني بالكلمات الطيبة والتقدير السخي الكريم، وهي التي رفعت حيرتي أحياناً عند التردّد والتهيب من بعض المواضيع عند التأليف، وهي التي أهابت بي في رعاية وإعزاز أن أكاتب جريدة "الميثاق" ومجلة "الاحياء".. والله إن هذا الفضل والسمو على حقيقتهما، فكاتب كبير شهير مطالب بالكتابة من عدة مجلات باستمرار يخصص من وقته العامر لحظات يفيد فيها ويوجه ويرحب، وإن كان هذا موجوداً فهو نادر.

أما رسائلي إليه وهي البادئة دائماً، فيها فيض خاطر، وعطاء، ونبضات قلب، ودفء روح، وهيجان نفس، وطفرات دموع، وكلها تقبلها الأستاذ ورضي بها وعنها، يكفيني اعترافاً أن يقول الأستاذ عن بعضها أن يتمنّى أن لو نشر بعضها بصفتها من أدب المراسلات لولا ما تعرفون من تواضعه.

أما الاستجابة لدعوات الأستاذ، وأنا هنا أدلي بشهادة قلبية، أتيت بها من بعيد، صادقة مخلصة، معبراً عن فضل أستاذنا المكرم، وسمو قصده وريادته الحقيقة، وحتى يعرف من يتتبع إنتاج قلمي المتواضع لله أن من ورائه إهابة خيرة هي للأستاذ عبد الله كنون وإهابة أخرى مرحومة في للفقيد الأستاذ إبراهيم إالغي.. فبتعامل هذين العالمين الجليلين وتصرفهما تأكدت أن دنيانا لا تزال بخير، فالأمل والأمنية هي أن يبقى الأمر هكذا للأجيال المقبلة، المتطلعة إلى كلمات الخير، وإلى أيدي التعزيز وشد العضد، وإلى نظرات الصفاء والسمو.

إن نشر ما يفوق الخمسين بحثاً ومقالاً وخاطرة بالميثاق والاحياء الصامدتين ليس بالشيء القليل وإنما بعضها حرك ساكناً أو سكن متحركاً، كما يعرف الأستاذ الجليل وما كان لهذه المقالات أن تفعل هذا لولا رعاية الأستاذ المدير، رئيس التحرير وعنايته، وتخصيص المكان والمكانة لهذه المقالات، فشكراً عميقاً متجدّداً، لا يبلى ولا يتحوّل.

جل كتب الأستاذ أتوفر عليها، بعضها هدية غالية منه، وكلها قرأتها، وسيتولى الأساتذة الباحثون إبداء الرأي فيها، وسيكون عندهم فيض من التنويه بها، الذي تستحقّه، إنما أراني أقف كما يقف الكثيرون عند الكتاب الرائد، القيم، كتاب "النبوغ المغربي". إنه سفر المجد الفكري للوطن، وهو أب رشيد لعدة كتب أتت من بعده طرقت أبوابه بالمثل أو قريباً من ذلك، ولكن النبوغ المغربي يبقى نبوغاً لمؤلفه الجليل دالاً على نبوغ أمته.

الكتاب الآخر، الفريد من نوعه، والذي غزا الأوساط، وكان له التأثير البليغ، ذلكم هو نظرات في منجد الآداب والعلوم الذي نشرته الجامعة العربية، فهو كتاب نقدي متميز، كشف ببراعة وتمكن عن أخطاء الراهب الكاتب وعن زلاته المعرفية الكبرى، مما دعا أصحاب هذا المعجم الواسع الانتشار إلى إعادة النظر فيه بكيفية جذرية في قسم العلوم والآداب وكلاً من الكتابين يدل دلالة واضحة على سعة الإطلاع عند الأستاذ وعلى صبره في البحث والاستقصاء. فبارك الله فيها حياة، وأمدّ فيها محفوفة بالسلامة والعافية والطمأنينة وراحة البال. وهنيئاً للمغرب بهذا الرائد الخالد، الذي طبع الفكر الإسلامي العالمي بالفعالية والجدية والصفاء والنقاوة وبالقصد السامي وعلو الهمة؛ وهنيئاً لأهل الفكر بطنجة، الذين أمتعونا بهذه اللحظات السعيدة، التي قلما يجود الزمان بمثلها في هذا اللقاء الحميم مع فذ من أفذاذ الأمة، الأمة التي خصته بالكثير من الحب والإعزاز، ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله واسع عليم، والسلام عليكم ورحمة الله.

(الميثاق، عدد 517
بتاريخ 21 نونبر 1986)



الأستاذ السيد أحمد بنسودة مستشار صاحب الجلالة يلقي أمام نعش الفقيد كلمة التأبين باسم الوفد الرسمي لصاحب الجلالة.

التأبين

- رابطة علماء المغرب في الذكرى الأربعين لوفاة العلامة عبد الله كنون
- جمعية الدعوة الاسلامية بشفشاون
- الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني
- تأبين مجمع اللغة العربية بمصر
- ملتقى جمعية البلاغ للتربية والثقافة بالرباط
- الذكرى الأربعينية بمنزل الفقيد
- ملتقى حول فكر وثقافة عبد الله كنون نظمته جمعية التضامن الاسلامية بالرباط بتنسيق مع جمعية البوغاز بطنجة

توفي الأستاذ عبد الله كنون صبحية يوم الأحد 5 ذي الحجة 1409 موافق 9 يوليوز 1989، وتركت وفاته رحمه الله في نفوس مقدريه وذويه وكل شرائح المجتمع المغربي حسرة وأسفاً.

لذلك بادرت كل الجهات الثقافية والعلمية الرسمية منها وغيرها للإعلان عن تنظيم ذكريات أربعينية وملتقيات علمية لدراسة أعمال الفقيد وعلمه والثناء على أخلاقه.

وكانت طنجة مركز لقاء لرابطة علماء المغرب بتعاون مع وزارة الأوقاف لتخليد ذكرى الفقيد يوم الجمعة 26 ربيع الأول 1410 هـ، موافق 27 أكتوبر 1989 بقصر مرشان، حضرها مستشار صاحب الجلالة الأستاذ السيد أحمد بنسودة والسادة وزير الدولة مولاي أحمد العلوي ووزير الأوقاف الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري ووزير الثقافة الأستاذ محمد بنعيسى وعامل صاحب الجلالة على الإقليم ورجال السلطة المحلية والشخصيات العلمية والثقافية : فضيلة الشيخ محمد المكي الناصري وفضيلة الشيخ أحمد بنشقرون والدكتور عبد اللطيف بربيش، أمين السرّ الدائم لأكاديمية المملكة المغربية ومدير جامعة القرويين، الدكتور محمد العبدلاوي والدكتور فاروق النبهان، مدير دار الحديث الحسنية وفضيلة الشيخ مولاي مصطفى العلوي، رئيس رابطة علماء المغرب والسنغال والأستاذ المجاهد أبو بكر القادري وأصحاب الفضيلة رؤساء المجالس العلمية وفروع الرابطة بالمغرب والدكتور محمد عزيز الحبابي والدكتور عبد الهادي التازي والأستاذ عبد الكريم غلاب والشاعر الأستاذ محمد الحلوي والشاعر الأستاذ عبد الكبير العلوي والشاعر الأستاذ عبد الغني سكيرج والشاعر الأستاذ عبد الواحد أخريف وممثلون عن المنظمة الإسلامية (الايسيسكو) واتحاد كتاب المغرب وجمعية خريجي دار الحديث الحسنية وجمعية التضامن الإسلامي وجمعية البوغاز بطنجة وجمهور غفير من سكان المدينة.

وفي جسلة الافتتاح، بعد تلاوة أي من الذكر الحكيم، تقدم الأستاذ مولاي الطيب المريني، من علماء مراكش، فتلا نص الرسالة الملكية السامية التي أنعم فيها جلالة الملك على الأستاذ كنون بوسام الكفاءة الفكرية. وكان من المقرر أن يتم تسليم الرسالة الملكية والوسام إلى الفقيد في مقر اقامته بطنجة إلاّ أنّ المنية عجلت بالتحاقه بربه.

نص الرسالة الملكية

الحمد لله،

والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

محبّ جنابنا الشريف، العلاّمة الكبير، الفقيه الجليل المجتهد، والشاعر الأديب، الشيخ الأستاذ عبد الله كنون، رئيس رابطة علماء المغرب،

أمنك الله ورعاك، وحفظك وبارك خطاك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته،

وبعد، فتقديراً منّا لعلمك الغزير، وإخلاصك الكبير، ووفائك المنقطع النظير، ولمواقفك الوطنية الفذة التي تجلت في كثير من المناسبات، ولجهادك وكفاحك على عدد من الواجهات،

ورعياً لعطاءاتك العلمية المتعدّدة، وإسهاماتك الفكرية والأدبية المتجدّدة، الأمر الذي رشحك، لحمل لقب أستاذ الأجيال بدون منازع، وجعل اسمك وعطاءك العلمي يتجاوز حدود بلدك، وبوؤك العضوية البارزة في عدد من النوادي الفكرية والمجامع العلمية الرفيعة في كثير من البلاد العربية والإسلامية،

وعرفاناً منا لما أسهمت به من إسهامات قيمة متميّزة في الدّروس الحسنية التي ألقيتها بين يدينا في شهور رمضان المباركة، والتي كنت تختار لها

من المواضيع ما يحض على التدبّر والتأمّل، وما يرتفع بعقل المسلم ووجدانه إلى أعلى المقامات،

واعتباراً لوفائك لنا ولوالدنا، رضوان الله عليه، وللعرش العلوي، ذلك الوفاء، الذي ورثته عن بيتك العلمي العظيم، وأسرتك الكريمة التي ارتبط فيها آباؤك وأجدادك ارتباطاً وثيقاً بأجدادنا، حتّى بعد هجرتكم إلى طنجة عقب إعلان الحماية، واستقراركم بها، إذ تابعتم جهادكم بنشركم للعلم والدين، والوطنية، والموعظة الحسنة، إلى أن كلّل الله مساعينا بالنجاح. وما يزال موقفك ماثلاً في ذهننا، ونحن في مطلع الشباب، يوم خرجت لاستقبال والدنا المنعم جلالة الملك محمد الخامس، طيّب الله ثراه، أثناء زيارته التاريخية المشهودة لطنجة في أبريل سنة 1947، فوصلتم ماضي الوفاء بحاضره، وطريف الولاء بتليده ،

وعرفاناً منّا بكل هذه الفضائل، والأعمال الجلائل، قررنا الانعام عليك بوسام الكفاءة الفكرية. ونحن على يقين من أنك ستحمله بجدارة واستحقاق.

فهنيئاً لك به، وأقر الله عينك بما يحمله إليك من حبّ ملكك وعطفه ورضاه، ومن تقدير أبناء وطنك من أقصاه إلى أقصاه.

وكم كان بودنا أن نقلدك إياه بنفسنا، لولا ما بلغنا من توعك طارئ على صحتك، عجّل الله بشفائك، وحقّق فيه كامل رجائك. فآثرنا إرسال وفد من العلماء لينوبوا عنّا في هذه الوقفة الجليلة والمهمة النبيلة.

حفظك الله وصانك وبارك فيك، وكثّر للمغرب من أمثالك، وأسبغ بفضله عليك نعمة الصّحة والعافية، وجزاك خيراً بكل ما أعطيته لدينك، وقومك، ووطنك، وللأمة العربية والإسلامية جمعاء.

والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وحرر بالقصر الملكي بالرباط في يوم الإثنين 29 ذي القعدة 1409، الموافق لـ 3 يوليوز 1989 م.

بعد ذلك استمع الحاضرون إلى كلمات مستشار صاحب الجلالة والوزراء والشخصيات العلمية والمنظمات والجمعيات وأخيراً المرثيات التي ذرفها الشعراء حزناً

على الفقيد، وكانت رابطة العلماء (وهي المنظمة العلمية التي ترأسها العلاّمة المرحوم عبد الله كنون منذ تأسيسها سنة 1961 إلى حين وفاته سنة 1989) قد نشرت بلاغاً جاء فيه :

بـــــلاغ
من رابطـة علمـاء المغـرب

"من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً" صدق الله العظيم.

عقدت رابطة علماء المغرب اجتماعاً استثنائيا بعد وفاة أمينها العام ورئيسها ومؤسسها المجاهد المجدد العلاّمة المرحوم بكرم الله سيدي عبد الله كنون، الذي فقد المغرب برحيله رجلاً عظيماً من رجالاته، ورائداً كبيراً من رواده، كان له الإسهام العظيم في معركة الكفاح الوطني والسياسي والثقافي، إذ ظلّ رحمه الله يجاهد بقلبه ولسانه ونفسه طوال حياته، شجاعاً، صابراً، محتسباً إلى أن لقي ربه راضياً مرضياً. كما فقد العالمان العربي والإسلامي بموته عالماً جليلاً من العلماء الأبرار، وداعية مخلصاً من الدعاة إلى الله، ووجهاً من الوجوه المشرقة المنافحة عن قيم الإسلام وتعاليمه، مناصراً للغة القرآن، مدافعاً عنها، مما جعل الخسارة فيه عظيمة، والرزء فيه جليلاً، ولله الأمر من قبل ومن بعد.

لذا قرّرت رابطة علماء المغرب إقامة تأبين وطني بتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وهي تهيب بالعلماء ورجال الفكر والثقافة والشعر للمساهمة في تأبين فقيدنا الكبير، والإشادة بفضله وعلمه وسجاياه. وإننا إذ نعزي فيه الشعب المغربي والأمّة الإسلامية وعلى رأسها جلالة الملك الحسن الثاني، راعي العلم والعلماء الذي أبى إلاّ أن يكرمه أكبر تكريم في عيد ميلاده الستين، بالإنعام عليه رحمه الله بوسام الكفاءة الفكرية، تقديراً لعلمه وفضله وجهاده، مما يستوجب منّا تقديم آيات العرفان والشكر لجلالته الذي دأب وما يزال يرعى رابطة العلماء منذ تأسيسها، ويمدّها بالعون المادي والمعنوي، ويرعى مؤتمراتها ومقرراتها، داعين الله أن يتغمدّ فقيد الرابطة والمسلمين برحمته الواسعة، ويجزيه الجزاء الأوفى ويبوئه مقام

الصديقين، ويعيننا على الاستمرار في أداء الرسالة، وتحمل الأمانة، والقيام بواجب الدعوة والتبليغ تجاه الشعب المغربي والأمة الإسلامية، سائلين الباري تعالى أن يحفظ مولانا أمير المؤمنين الحسن الثاني بعنايته، ويشمله برعايته، ويديم عليه النصر والتمكين، ويقر عينه بسمو ولي عهده الأمير الجليل سيدي محمد وصنوه المولى الرشيد وسائر أفراد أسرته الكريمة إنه نعم المولى ونعم النصير.

الرباط في 23 ذو الحجة 1409، الموافق 27-7-1989

عن رابطة علماء المغرب

الحاج أحمد بنشقرون

ولنفس الغاية تكونت لجنة رسمية من أعضاء رابطة علماء المغرب والسلطة المحلية والمجلس الإقليمي والمجلس البلدي وجمعية مكتبة عبد الله كنون بالإعداد المادي والأدبي لتأبين العلامة سيدي عبد الله كنون، وهي كالتالي :

- السيد محمد المرابط، الخليفة الأول للسيد عامل صاحب الجلالة على إقليم طنجة
- السيد الدرهم دحمان، رئيس المجلس البلدي بطنجة
- السيد ج. الزبير الفاسي، رئيس المجلس الإقليمي بطنجة
- السيد عبد الرحمن الزخنيني، رئيس الشؤون العامة
- السيد ج. عبد العلي العبودي، الكاتب العام للمجلس العلمي بطنجة
- السيد عبد الرحمن زولو، رئيس فرع رابطة العلماء بطنجة
- السيد محمد الشنتوف، عضو المجلس العلمي وعضو المكتب المسير لمكتبة عبد الله كنون
- السيد عبد الجليل الغزاوي، مستشار السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
- السيد مولاي المصطفى العلوي، رئيس المجلس العلمي بمكناس

ـ الدكتور يوسف الكتاني، عضو الأمانة العامة لرابطة العلماء

ـ السيد محمد مصطفى الريسوني، رئيس المكتب المسير لمكتبة عبد الله كنون

ـ السيد عبد الصّمد العشاب، المدير القيم على مكتبة عبد الله كنون

ـ السيد عبد الإله كنون، عضو المكتب المسير للمكتبة

ـ السيد أحمد بوكماخ، عضو المكتب المسير للمكتبة

ـ السيد محمد البقالي، عضو المكتب المسير للمكتبة.

وفي شفشاون، بتاريخ فاتح محرم 1410، موافق 4 غشت 1989، قامت جميعة الدعوة الإسلامية بالدعوة إلى حفل تأبيني للفقيد، أقيم بمسجد مولاي علي شقور، اشتمل على تلاوة القرآن الكريم والأمداح النبوية. وألقى الأستاذ علي الريسوني، رئيس الجمعية كلمة مؤثرة، ثم ألقى الأستاذ أحمد أفزاز كلمة في الموضوع ومثله الأستاذ محمد السفياني، ثم شنف أسماع الحاضرين الشاعران المجيدان الأستاذ عبد القادر المقدم والأستاذ أحمد أبو عسل. وكان مسك ختام هذا الحفل دعوات بالرحمة والغفران للفقيد الراحل.

وفي الرباط أقامت الجمعية المغربية لمساندة الكفاح الفلسطيني حفلاً تأبينياً ترأسه الأستاذ المجاهد السيد أبو بكر القادري وحضره جمهور غفير من المؤمنين، وذلك يوم السبت 21 أكتوبر 1990 بمسجد بدر بحي أكدال بعد صلاة العصر.

ومثل ما تقدم، قامت وزراة الأوقاف (نظارة أوقاف طنجة) مع عائلة المرحوم بإحياء ذكرى بمنزل الفقيد يوم 9 محرم 1410، تليت خلالها سلك القرآن الكريم وأمداح نبوية ودعوات وترحمات.

كما قامت جمعية البلاغ للتربية والثقافة بتنظيم الملتقى الثاني للثقافة الإسلامية حول الشيخ عبد الله كنون (الرجل والفكر)، ونشرت جريدة "الإصلاح" في ملحقها الثقافي في عدد 20، بتاريخ 30 نونبر 1989 تغطية لهذا الملتقى ننشرها كالتالي:

"على امتداد ثلاثة أيام (من 24 إلى 25 نونبر 1989)، نظمت جمعية "البلاغ" للتربية والثقافة ملتقاها الثاني للثقافة الإسلامية، وقد جاء هذا الملتقى على

شكل ندوة تكريمية للشيخ عبد الله كنون رحمه الله تحت عنوان : "عبد الله كنون الرجل والفكر"، شارك فيها نخبة من المفكرين والباحثين المغاربة بعروض قيمة اهتمّ بعضها بالعطاء الفكري والأدبي للشيخ المرحوم، بينما جاءت العروض الأخرى موازية لهذا المحور، فاهتمت بمسألة التأصيل في الأدب والنقد من خلال الرؤية الإسلامية.

ولقد سبق أشغال الندوة افتتاح حضره نخبة من العلماء والأدباء، تكلّم في مستهله الأستاذ الشيخ محمد المكي الناصري، أمين رابطة العلماء بالمغرب، مذكراً بدور العالم الشيخ عبد الله كنون في القيام بالمسؤولية والسير بالرابطة نحو الطريق السليم، شاكراً لجمعية "البلاغ" جهودها وإخلاصها من أجل خدمة الثقافة الإسلامية.

بعدها تحدّث الأستاذ الشاعر الكبير عمر بهاء الدين الأميري باسم رابطة الأدب الإسلامي العالمية، فركّز على أهمية الاحتفاء وتكريم عبد الله كنون، وأتحف الجمهور بباقة من الذكريات التي جمعت بينه وبين الشيخ الراحل في أسلوب يتعانق فيه النثر مع الشعر ويحلقان نحو الآفاق الرحبة.

بعد ذلك أخذ الكلمة الأستاذ عبد القادر العافية ليؤكد علي قيمة الفكر الذي حمله الشيخ كنون ودافع عنه، مشيراً إلى علاقته الشخصية بالمرحوم من خلال جريدة "الميثاق"، لسان رابطة العلماء بالمغرب.

ثم تدخل الأستاذ عبد الله بها باسم جريدة الإصلاح، ليبرز المغزى من تكريم مثل هؤلاء العلماء الذين حرمنا من التتلمذ على أيديهم وفكرهم والورود من عملهم، ويرجع المسؤولية الأولى في ذلك إلى سياسة التعليم المعاصر.

حيـــاة وجـهـــــاد

وفي اليوم الثاني، كان الجمهور على موعد مع ثلاث مداخلات قيمة :

1. "الشيخ عبد الله كنون : مسيرة حياة وجهاد" للأستاذ المقرئ الإدريسي أبو زيد. وقد خصّصها الباحث للتعريف بالشيخ عبد الله كنون وإبراز دوره الجهادي قبل الحماية وبعدها وعزته في المواقف المختلفة.

2. "من وحي أدب الفقهاء"، للأستاذ محمدي الحسني. وقد ردّ فيها على الشبهة القائلة بأن الفقهاء لم يكونوا مبدعين في مجال الشعر مثل الشعراء المحترفين، مستشهداً بنماذج لفقهاء راضوا قول الشعر وأبدعوا فيه.

3. "ملامح الإسلامية في نقد عبد اله كنون"، للأستاذ سعيد لغزاوي،. وقد استجلى هذه الملامح من خلال كتاب الشيخ "أدب الفقهاء"، وفيه يظهر التصور الإسلامي الفريد للأدب العربي. وقد ركّز الأستاذ على إبراز ثنائية الأخلاق والجمالية ضمن المقاييس النقدية عن كنون. وقد أوصله البحث إلى أنّ العلامة قدم لنا البذور الأولى لما يمكن أن نسميه نقداً إسلامياً مقارناً، وذلك حين موازنته بين أدب الفقهاء والأدب المنحل.

وفي الأخير، أكّد المحاضر على أنّ هذه المفاهيم ستتوسع حين قراءتنا لمختلف كتابات الشيخ كنون.

فــن "الإسلامـيــــة"

وفي مساء يوم السبت، قدمت عروض موازية لمحور الندوة، وهي تتعلّق بالأدب الإسلامي وإشكالاته. وفي هذا الإطار ساهم الأستاذ مصطفى الحيا بموضوع يكتسي جدته من خلال الغوص في تحقيق معنى الجمال في القرآن والسنة، وإبراز خصائصه بصفة عامة كالبساطة والتوازن والدقة والتناسق والنظام والوضوح والوسطية، وهي الخصائص التي تميز الإسلام نفسه.

أما العرض الثاني، فهو للأستاذ عبد الرحمان عبد الوافي. وقد اختار بحكم تخصصه، أن يبحث في موضوع : "التصور الإسلامي في المسرح المغربي خلال عصر الحماية بين الخفاء والتجلي"، وذلك من خلال نصوص مسرحية تاريخية وأخرى اجتماعية، ليكشف عن حضور التصور الإسلامي في بعض المسرحيات مثل "في ليلة المولد" لأحمد زياد، وهو حضور يجعلنا نلتمس البذور الأولى لتأسيس مسرح إسلامي بالمغرب.

وتطرّق الأستاذ خالد الدادسي في عرضه إلى "شعر الدعوة والإصلاح في المغرب الحديث"، مركّزاً على شعر الشيخ الدكتور تقي الدين الهلالي رحمه الله، محلّلاً

أغراضه المختلفة مع تناول الجوانب الفنية كاللّغة والإيقاع وغيرها.

تــــأريـــــخ الأدب

وفي يوم الأحد صباحاً، كان الجمهور الكريم على موعد مع العروض التالية :

1. العرض الأول من إنجاز الأستاذ مبسط عبد الحق تحت عنوان : "عبد الله كنون مؤرخاً للأدب"، أشار فيه إلى أن العمل الأدبي عند كنون كان يعتبر عملاً وطنياً بالدرجة الأولى، ولأجل ذلك فقد صودر كتاب "النبوغ" وعوقب كل من يحجز نسخة منه من قبل سلطات الحماية.كما أبرز خصائص منهجية المرحوم في التاريخ للأدب ودراسته وكيفية تعامله مع المنتخبات التي اختارها، وقد توصل الباحث إلى أن منهجية الشيخ كانت تتسلح بالموضوعية، وتجلى ذلك في عدم تدخله في الواقعة التاريخية أو الأدبية، وإنما يعرضها كما هي.

2. أما العرض الثاني فهو للأستاذ العلامة الشيخ الجليل محمد المنوني، تحت عنوان "عبد الله كنون أديباً ومؤرخاً ومحقّقاً للمخطوطات وناشراً". وقد نجح الأستاذ في إبراز أدبية المرحوم من خلال تتبعه لكتبه المختلفة مثل : "تراجم مشاهير المغرب" و "أحاديث عن الأدب المغربي الحديث" "والنبوغ". وركز، بالخصوص، على الأعمال التي حققها الشيخ كنون أو نشرها، ومن هنا اكتسب موضوعه تفرده الخاص.

ولقد شارك الأستاذ الدكتور ادريس الناقوري بعرض قيم وهو : "عبد الله كنون الأديب الناقد والمؤرخ"، أبرز فيه موسوعية الشيخ ومنهجه في التأريخ للأدب، ذلك المنهج المزاوج بين التاريخ والأدب، والقريب من المنهج الاجتماعي، وذيل مداخلته بأسئلة تصب في المنهج النقدي وعلاقته بالمقاييس الفنية والأخلاقية والاجتماعية.

أمسيـــة شعـريـــة

وفي مساء يوم الأحد، اختتمت أشغال الندوة بأمسية شعرية، شارك فيها نخبة من الشعراء وهم عبد الرحمان عبد الوافي والشاعر عبد الناصر عصامي، بالإضافة

إلى الشعراء الشباب : عبد الرزاق المساري ومصطفى أبو هندي، وتاج الدين مصطفى.

وفي الأخير تلا الكاتب العام لجمعية البلاغ للتربية والثقافة البيان الختامي للندوة، وقد تضمن توصيات هامة مثل : اقتراحه تسمية بعض المؤسسات والمعاهد باسم الشيخ عبد الله كنون، وإعادة طبع إنتاجه طباعة جيدة، وتطبيق توصيات ومقرّرات رابطة العلماء بالمغرب، ودعم التوجهات الخادمة للثقافة الإسلامية ببلادنا.

نشكر للجمعية هذه الجهود، ونرجو منها أن تعمل على مواصلة مثل هذه الندوات الكريمة، فما أكثر علماء المغرب، وما أجل عطاءاتهم الفكرية والأدبية.

وفي مجمع اللغة العربية بمصر - وفاء من المجمع لذكرى الفقيد وأعماله في حظيرة العلم والبحث مع إخوانه المجمعيين - خصص المجمع الجلسة العاشرة في الدورة السادسة والخمسين 1989/1990 لتأبين المغفور له الأستاذ عبد الله كنون، عضو المجمع المذكور.

اشتمل برنامج التأبين على المواد التالية :

- افتتاح الجلسة العلنية للدكتور إبراهيم مذكور، رئيس المجمع.
- كلمة المجمع في تأبين الفقيد للدكتور عبد الهادي التازي، عضو المجمع المراسل من المغرب.
- كلمة عن الراحل الكريم للدكتور عدنان الخطيب، عضو المجمع من سورية.
- مرثية في توديع الفقيد للدكتور حسين علي محفوظ، عضو المجمع المراسل من العراق.

ونثبت هنا وصفاً لمحضر الجلسة، تفضل الأستاذ السيد إبو القاسم كرّو، عضو المجمع بإرساله إلينا.

وتقول عبارات المحضر المذكور :

كانت الساعة الخامسة من مساء يوم الأربعاء 10 من شعبان سنة 1410 هـ، الموافق 7 من مارس (آذار) سنة 1990 موعداً لافتتاح الجلسة العلنية التي أقيمت

بدار المجمع لتأبين المغفور له الأستاذ عبد الله كنون، عضو المجمع من المغرب، وكان في مقدمة الحاضرين الدكتور إبراهيم مدكور، رئيس المجمع، والسادة أعضاء المجمع وهم :

ـ الدكتور مهدي علام، نائب المجمع؛ الدكتور شوقي ضيف، الأمين العام للمجمع؛ والدكتور أمين علي السيد، والدكتور عبد الرحيم خليفة (الأردن)، والأستاذ عبد الكريم العزباوي، والدكتور عدنان الخطيب (سورية).

كما حضر الجلسة من أعضاء المجمع المنتخبين الأستاذ إبراهيم عبد المجيد الترزي، والدكتور ابراهيم السامرائي (العراق).

وحضرها من أعضاء المجمع المراسلين كل من الدكتور أبو القاسم سعد الله (الجزائر) والأستاذ أبو القاسم محمد كرّو (تونس) والأستاذ أحمد شفيق الخطيب (فلسطين) والدكتور حسين علي محفوظ العراق) والدكتور داود كاون (بريطانيا) والأستاذ عبد العزيز أحمد الرفاعي (السعودية) والدكتور عبد الهادي التازي (المغرب) والدكتور محمود الجليلي (العراق).

وفي الموعد المحدد افتتح الدكتور إبراهيم مدكور هذه الجلسة من جلسات المؤتمر التي خصّصت إحياء لذكرى مجمعي جليل، كان له دور ملحوظ في خدمة اللّغة العربية ثم تبعه الدكتور عبد الهادي التازي، عضو المجمع المراسل من المغرب فألقى كلمة المجمع في تأبين الراحل الكريم، ثم أعقبه الدكتور عدنان الخطيب، عضو المجمع من سورية الذي ألقى كلمة إضافية عن كفاح صاحب الذكرى، ثم نثرت على ذكراه الطيبة أبيات من الشعر قالها الدكتور حسين علي محفوظ، عضو المجمع من العراق والكلمات مرفقة بهذا المحضر.

عبد اللّه كنــــون

(1326 ـ 1410 هـ / 1908 ـ 1989 م)

د. عبد الهادي التازي

شهد المغرب الأقصى في مطلع القرن العشرين ظروفاً بالغة الدقة، فقد اتجهت إليه أطماع الدّول الأوربية وخاصة منها التي أصبحت تحاوره أو تشاركه أراضيه...

ولم تلبث المصالح الأجنبية أن توزعته مغارب ابتداءً من عام 1912 فأصبح بعضه تحت الحماية الفرنسية، وأمسى شطرٌ منه تابعاً للحماية الإسبانية بينما صارت طنجة منطقةً دوليةً... وهكذا ظهر في الناس من أخذ يُفكّر في الهجرة إلى خارج البلاد...

وقد كان الشّيخ عبد الصمد بن التهامي كنون من أولئك الذين عقدوا العزم على مغادرة فاس التي كان المستعمر أشدّ وطأةً على أبنائها... مغادرة البلاد للإلتحاق بالمدينة المنوّرة اختياراً للجوار هناك!

ومن هنا اتّجه الشيخ نحو طنجة صحبة عائلته بمن فيهم الصّبي عبد الله، المولود قبل أربع سنوات [1]، تأهّباً لأخذ طريق البحر...

لكنّها ظروف الحرب العالمية الأولى حالت دون تحقيق الأمل، وهكذا أصبح على العائلة أن تقيم بطنجة حيث نشأ عبد الله بين أحضان والده يجلس إليه ليلقّنه الدّرس إلى جانب من كانوا يتعاطون العلم في المدينة آنذاك، وانطلق من هنا يتردّد على سائر أساتذة المدينة ومشايخها [2]...

وكان مما ساعده على التمكّن من معارفه وتقوية روافده أنه أصبح يشتغل هو نفسه بالتعليم فأنشأ له مدرسة حرّة عام 1936 قبل أن ينشئ المعهد الإسلامي، وأخذ يدرّب نفسه على الإنشاء والكتابة واكتسب المران على المتابعات والتعقيبات من مدينته طنجة التي كان نظامها يسمح بنوع من الحرية في انتقاد ما يجري في المنطقتين الباقيتين [3]...

وقد اختار عبد الله كنون وجهته في الكتابة منذ البداية فنصّبَ نفسه معرّفاً ببلاده، داعياً للحفاظ على مقوماتها، مدافعاً شرساً عن اللّغة العربية، معتبراً ذلك واجباً وطنياً ودينياً...

وعلى نحو ما كان منه في النثر... وجدنا عبد الله يمارس الشعر وهو لم يتخطّ الخامسة عشر من عمره. أكثر من هذا أنّ المواضيع التي تناولها شعره كانت تعبر وحدها عن انتماءاته وطموحاته... فقد قال الشّعر بمناسبة ثورة الريف عام 1925 [4] وبمناسبة صدور مرسوم عام 1930 الذي كان يقضي بشطر المغرب إلى عرب وبربر، الأمر الذي يترجم عن انشغاله بالسياسة والوطنية منذ الوقت المبكّر...

ولعلّ من المهمّ أن نعرف أيضاً عن بيئة الأسرة التي قدّر له أن يصاهرها، ويتعلّق الأمر ببيت الفقيه الشيخ ابن تاويت الطنجي الذي زوجه عام 1354ـ1935 ابنته آمنة، شقيقة الأستاذ المحقّق محمد بن تاويت، دفين اسطانبول...

وقد شاء القدر أن يجعل من فترة الثلاثينات هذه تاريخ إطلالة الفقيد على المستقبل الجليل الذي كان ينتظره...

وهكذا شاهدناه يتطلّع إلى مصر [5] التي طبعت له كتابه "شرح الشمقمقية" عام 1354ـ1936، كما طبعت له كتاباً آخر بعنوان شرح مقصورة المكّودي

1356ـ1936 في نفس الوقت الذي ظهرت فيه الطبعة الأولى من كتابه : "محاذي الزقاقية" [6]...

أكثر من هذا وجدنا أن صدى هذا الشاب النّابه يصل إلى مصر عندما أرسل بعد سنتين بكلمة مليئة بالعواطف يؤبن فيها شيخ العروبة زكي باشا، منوّهاً ببحوثه ورسائله... في كلمة تدلّ على أنّ تدريبه على الكتابة بلغ مناله وأنه بالفعل جدير بالالتحاق بصفوف الأدباء اللاّمعين الذين ظهروا آنذاك.

ومن هنا ربط الفقيد صلاته بديار المشرق فأخذت تظهر له بين الحين والآخر بحوث في مجلة (الرسالة) التي كانت منتدى يجمع كبار الكتاب فكتب هناك بحثاً عن (الشعر الوطني في الأندلس...) [7] وبحثاً عن ديوان المتنبي كان ساهم به في الاحتفال بذكرى المتنبي بفاس [8]...

واستجابةً لدعوة أعرب عنها الأستاذ علي طنطاوي بمجلة (الرسالة)، قام الأستاذ كنون ـ بعد أن شعر بأن أحداً من المغرب لم يحرّك ساكناً ـ بتحرير مقال مسهب عن "ما ضي القرويين وحاضرها"...

وقد صادف ظهور هذا المقال فترة انتفاضة طلبة جامعة القرويين عندما قاموا بحركة إضراب للاحتجاج ضد سلطات الحماية التي كانت تسعى جاهدة ضد تطوير وتقدم التعليم بجامعة القرويين [9]...

ومن الطريف أن نجد أن في صدر الموضوعات التي كانت تأخذ باهتمام كنون التعقيب على كل ما ينشر في المشرق عن بلاده المغرب ! فهو لا يتردّد في الإضافات أو التصحيحات... ومن أبرز ما يلفت النظر أنه كتب منذ الثلاثينات يعقّب على ما نشرته المجلة المصرية (الصباح) [10] حول العامية المغربية... وما نشره كذلك حول : عاميّتنا والمعجمية مما يهتمّ به اليوم مجمعنا الموقر...

لكنّ الذي رفع من ذكر عبد الله عالياً هو كتابه "النبوغ المغربي" الذي يقول : إنه ألفه لما شعر بواجبه في ضرورة تزويد إخواننا في المشرق بالمادة التي يعتمدون عليها في الحديث عن المغرب.

ومن المهمّ أن نعرف هنا ـ للتّاريخ ـ أنّ ممّا زاد في التعريف بهذا الكتاب إقدام الإدارة الفرنسية على منع تداوله في منطقة حمايتها [11]...

ولو أنّ محتوى الكتاب لا يتجاوز التعريف بكُتّاب المغرب وشُعرائه وأدبائه... لكنّه مع ذلك أقلق المستعمرين.. ولم يتردّدوا في إصدار قرار يمنع بيع الكتاب وعرضه وتوزيعه على ما نقرأه في بلاغ رسمي نشرته جريدة (السعادة) التي كانت اللّسان الرّسمي للإقامة الفرنسية العامة [12].

ومن المهمّ أن أذكر هنا أن في أبرز الأسباب التي دفعت بالسُّلطات الاستعمارية لحجب الكتاب عن الأنظار !.. إنّ كنون أبرز الوثيقة الأدبية كدليل على الحدث السياسي.. سجّل احتلال تطوان على لسان الشاعر الأديب أفيلال... هذا علاوة على أنّ الاستعمار كان يقلق من الحديث عن كلّ ما من شأنه أن يُظهر على أن المغرب كان أمّةً قائمة الذات.. !

وحدث أن أقدم رجال الإقامة العامة (غشت 1953) على إقصاء الملك محمد الخامس عن العرش... ولما كان كنون يعرف أنّ الشّرطة في طنجة بالرغم من أنّها منطقة دولية لكنّها متحيّزة للإقامة العامة بالرباط... إنّها على حدّ تعبيره "فرنسية أكثر من فرنسا !".

هنا وجدنا عبد الله كنون يغادر بيته، تحت ستار الظلام ليأخذ الطريق نحو تطوان، حيث الحكم الإسباني الذي كانت له سياسة غير التي سلكها الحكم الفرنسي في الرباط !

هنا وجدنا عبد الله كنون يسمى وزيراً للعدل في حكومة الخليفة السلطاني بالمنطقة، مولاي الحسن بن المهدي، ونظراً لما كنّا نعرفه جميعاً حول مدى فعالية "الحكومة" في ظلّ الاستعمار، سواء أكانت في الشمال أو الجنوب... فقد وجدنا أنّ الخليفة السلطاني يعهد إليه بعمل جليل، عاد بفائدة جيّدة على العلم والفكر... وبهذا نفسر ظهور عدد من المؤلفات النفيسة التي تعتبر اليوم مرجعاً من مراجع التراث الإسلامي والعربي...

لكنّ أمر تلك "الحكومة" لم يطل، فقد عاد الملك محمد الخامس إلى عرشه، وعلى الفور توحّدت المنطقتان لتكون جميعها المملكة المغربية.

وهنا وجدنا العاهل يعهد إلى كنّون بولاية مدينة طنجة في هذا الظرف الدقيق الذي كان يعني تسلم المغرب المستقل لسيادتـه على طنجة

من إدارتها الدولية ! وكانت هذه اللفتة اعترافاً بمواقف أستاذ طنجة وعالمها ومناضلها بالأمس...

وهكذا أمسى سيدي عبد الله في دوّامة من أعمال يرتبط ليلها بنهارها صرفته عمّا تعود عليه، وكلّ ميسر لما خلق له [13]، وهنا أشعر العاهل برغبته في التفرّغ، فقدّر العاهل موقفه وأعفاه بتاريخ 2 ذي القعدة 1376 ـ 31 مايو 1957... لكنه استمرّ على صلة بالعاهل يكرمه ما وسعه التكريم.. ومن هنا عيّنه رئيساً لوفد الحج الرسمي 1376 ـ يونيه 1957 على ما يفصله في "مجموعة" : تحركات إسلامية... الذي يورد فيه رسالة اعتماد الوفد لدى جلالة الملك سعود بن عبد العزيز.

ومن المهمّ أن نعرف أن هذه هي الفرصة الأولى التي عرج فيها على دمشق، وكان يتشرف بعضوية مجمعها العلمي العربي منذ سنة بقرار من الرئيس شكري القوتلي... عرج عليها في طريقه لمصر، حيث قام بزيارة مقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة لأول مرّة عندما اصطحبه معه مفتي القدس الحاج أمين الحسيني، وحضر جلسة علنية، تكلّم الدكتور منصور فهمي، الأمين العام للمجمع، كما تكلّم فيها الأستاذ شفيق غربال [14].

وقد حدث أن زارنا ضيف كريم من مصر هو الدكتور طه حسين صحبة زوجته وكاتبه الخاص، حيث سعدت بمرافقته مندوباً عن وزارة التربية الوطنية، وهناك في مدينة طنجة التي نزلها بحراً انتظم لقاء مع الأستاذ عبد الله كنون في قصر عامل طنجة الجديد الدكتور عبد اللطيف بن جلون يوم 10 يونيه 1957.

وما يزال أمام عيني الآن مشهد الأستاذ طه الذي شعر بكلب كبير يحتك به في مقعده مؤانساً، فردّد صدى قول الشاعر حسان بن ثابت بصوته الرخيم المعروف : "يغشون حتّى ما تهر كلابهم" ! [15].

وهنا ردّد الأستاذ كنون الشطر الثاني للبيت :

"لا يسألون عن الســواد المقبــل".

وقد واتت الفرصة الأستاذ كنون بسفر إلى القاهرة أواخر تلك السنة (1957) لحضور مؤتمر الأدباء في دورته الثانية تحت شعار "القومية العربية"... وبهذه المناسبة حضر في (مجمع اللّغة العربية) حفل استقبال الأستاذ شفيق غربال، عضواً جديداً في المجمع...

فهل يصحّ أن نقول أن هاتين الزيارتين للمجمع كانتا لمجرد صلة رحم بأسرة العلم ؟ مهما يكن فإنّها ـ مع ما صحبها من ظهور آثار علمية جديدة لعبد الله كنون كانت تمهيداً لانضمامه إلى أعضاء مجمع القاهرة...

وهكذا تمّ إشعاره سنة 1961 بانتخابه عضواً عاماً من غير طلب ولا سعي بل ولا تشوّف كما يقول كنون في مذكّراته ربّما منكتا علي بعض الذين يتشوّفون ويطلبون ويسعون !!

ويجب القول هنا بأن عبد الله كنون ترشّح لهذه المأثرة علاوة علي أنه كان اختياراً صائباً، لكنّه مع ذلك أتى، من حيث التوقيت، في محلّه، فقد كان عبد الله كنون في حاجة ماسّة إلى هيئة علمية عليا ينتسب إليها وخاصة في بلد عظيم كمصر التي طبعت كتبه قبل ربع قرن !!

وقد شعرنا نحن في المغرب بأنّ تكريم كنّون بالخصوص كان تكريماً لسائر رجال الفكر ولسائر الذين يؤلفون أو يحاولون، معتمدين على نفوسهم وعلى جهودهم الخاصة...

ولقد اكتسب عبد الله كنّون سنداً معنوياً هاماً فتح أمامه الآفاق للالتحاق بمؤسسات علمية في جهات مختلفة...

فماذا عن تحيته الأولى لزملائه أوّل الأمر ؟ ثم ماذا عن بحوثه المنتظمة ؟

لقد كانت تحيته للمجمع عبارة عن جرد شامل وكامل لمساهمة المغرب عبر التاريخ في دعم اللّغة وإغناء العلم وازدهار الحضارة...

وستظلّ تلك التحية أثمن هدية يقدّمها المغربي لأخيه في المشرق... لقد استوعب فيها كنّون كلّ العناصر التي تساعد على أداء الصّور الحقيقية أمام السادة أعضاء المجمع، وكان ـ وهو يقوم بذلك الجهد ـ لا يتردّد في ذكر مصادره وتوثيق معلوماته...

كانت هذه التحية الأولى بمثابة بطاقة تعريف أيضاً بروافد العضو المغربي الجديـد !

وحتّى يبرهن كنّون على نَفَسه الطويل لم يكتف بتقديم التحية، ولكنّه شفعها في نفس الدّورة ببحث طريف ترك صدى جيّداً في أوساط المجمع، ويتعلّق الأمر بالبحث الذي حمل عنوان : "لِمَا بِهِ" وألفاظ أخرى (16)...

ومن هنا انطلق عبد الله كنّون مواظباً على حضور سائر الدّورات على ما تكشف عنه "مجلة المجمع" التي نشرت سائر البحوث والمحاضرات التي ألقاها الفقيد في جلسات المجمع إلى بحثه الأخير الذي ألقاه في دورة المجمع لعام 1987...

وإذ أترك للمهتمين الفرصة لمراجعة تلك اللائحة الطويلة العريضة أقف قليلاً مع دورتين اثنتين : أولاً : الدورة الثانية والثلاثون التي انعقدت في العراق عام 1385 ـ 1965، حيث كان لي الشرف بالاجتماع لأعضاء المجمع ببغداد وأنا أقوم بتمثيل بلادي هناك...

لقد رجعتُ إلي مذكراتي في عاصمة الرشيد لأجد أنني استمتعت في قاعة الشعب إلى كلمة المجمع العلمي العراقي التي ألقاها الدكتور سليم النعيمي، نائب رئيس المجمع الذي تغيّب في الأردن واستمتعت كذلك لكلمة (مجمع اللّغة العربية) التي ألقاها الدكتور إبراهيم مذكور، الأمين العام للمجمع آنذاك وكلمة الأستاذ عبد الله كنون...

لقد اكتشفت بهذه المناسبة جوانب أخرى في حياة الفقيد عبد الله كنّون الذي لازمني طوال إقامته ببغداد... فلقد كان منشغلاً بالسّتّ (آمنة) التي كان حريصاً على أن يحصل إليها أسورة مناسبة من بغداد...

ولقد عرفت الجانب المرح من حياته بهذه المناسبة كيف وهو صاحب كتاب "أدب الفقهاء"... استمعنا إليه في عدد من القصص الخفيف البريء عما تنوء به كتاباته حول المرأة من العواطف الرقيقة التي تضمنها حديث أم زرع وقول النبي صلى الله عليه وسلم لها : "غير أني لا أطلقك" ! مؤكّداً

أنّ مثل هذه الأقوال تـزري بأحسن قصائـد الشعـر الموضوعيـة في الغــزل والنسيب... !

ثانياً : الدورة الخمسون التي انعقدت عام 1984، حيث تمّ الاحتفال بالعيد الخمسيني لمجمع اللّغة العربية (1934ـ1984)...

في هذه الدورة استمعنا إلي ذكريات الأستاذ عبد الله كنّون مع المجمع... وهي مذكّرات تعطي صورة عن مشاعر الأستاذ وهو يستعرض أمامنا حصيلة السنوات التي قضاها مع الزّملاء الأعزّاء...

وقد كان مما سجلته مذكراته من معلومات عن مسيرة المجمع أنه عُرض على المؤتمرات ذات يوم اقتراح يقضي بتخصيص موضوع واحد للأبحاث التي يقدمها الأعضاء للمؤتمر، فكان هناك مسانئون للاقتراح ومعارضون، وكان الأستاذ عباس محمود العقاد من المعارضين، معلّلاً رأيه بأنّ ذلك تقييداً لحرية الأعضاء وتضييقاً عليهم في مجالات البحث والواسعة، وقد ضرب المثل ببحث كنّون المتعلّق بتعبير "لما به" الذي "لولا تركُ الباب مفتوحاً لما ظفرنا به على حدّ تعبيره"...

وعلى نحو ما تفيده محاضر المجمع يؤكّد الأستاذ الرّاحل أنّه قلّما حضر مؤتمراً للمجمع ولم يقدّم بحثاً، سواء أكان البحث لغوياً أو نحوياً أو أدبياً أو متعلّقاً بالتّراجم...

ولا بدّ للمهتمين بآثار عبد الله كنّون أن تستوقفهم السلسلة التي نشرها حول (مشاهير رجال المغرب)، نشرها بعد كتاب "النبوغ" السالف الذكـــر[17].

وإذا كان منهج كنّون في "النّبوغ" يعتمد على التّحقيب حسب الدّول التي تعاقبت على الحكم في المغرب، فإن منهجه في تراجم الأعلام يعتمد على ذكر نسب الشخصية المترجمة وموطنها، والصفات الذاتية والأخبار الشّخصية والصّفات الشّخصية...

والمهمّ في أخبار هذه السّلسلة عبد الله كنّون لم يكن فيها مجرّد ملخّص لحياة

أولئك الرجال أو مستعرض لآثارهم وأعمالهم دون تمحيص ولا تعقيب ولكنّه كان يصحّح بعض الهفوات التي وقع فيها المؤلفون السابقون [18]... وكان يقوم بالمقارنات والمفارقات بين ما يقال هنا وهناك [19].

ويستوقفنا عنصر ثالث في إنتاج عبد الله كنون، ذلك ترجماته المختصرة لبعض الشخصيات المربية التي يصنفها في رتبة دون "المشاهير"...

وهي عبارة عن تراجم لبعض الرجال... كتب عنهم في بعض المجلات المتفرّقة من أمثال مجلة "السّلام" ومجلة "العدوتان" ومجلة "المعتمد" و "الأنوار" (تطوان) (ربيع الثاني 1371 ـ يناير 1952) ومجلة "المغرب" و "رسالة المغرب" (الرباط) و "دعوة الحق" و "البحث العلمي" ومجلة "الثقافة المغربية" ومجلة "المناهل" و "اللسان العربي" ومجلة "التربية الوطنية" (الرباط) [20] و "رسالة الأديب" (مراكش) (أبريل 1950).

وربما كان يعتزم نشر تلك التراجم في "مجموع" [21] على نحو مجاميعه الأخرى : "التعاشيب" [22] و "خل وبقل" و "العصف والريحان" و "أزهار برية" [23] و "واحة الفكر" و "أشداء وأنداء"...

وقد كان من تآليفه التي يمكن أن تعدّ تكملةً لكتابه "النبوغ" كتابه بعنوان : "أحاديث عن الأدب المغربي الحديث الذي صدرت منه طبعتان الأولى عام 1964، وهو عبارة عن المحاضرات التي ألقاها في معهد الدّراسات العليا التابع لجامعة الدّول العربية...

ومن التآليف التي نالت حظّاً من الاهتمام كتابه : "أدب الفقهاء" الذي نشر في حلقات بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق قبل أن يصدر في كتاب ـ على حدة ـ عن دار الكتاب اللبناني...

ومن تآليفه اللّغوية الجادّة كتابه (نظرة في منجد الآداب والعلوم) الذي نشره معهد البحوث والدراسات العربية [24] بالقاهرة.

وفي التآليف المبكرة التي صدرت لفقيدنا.. كتابه : أمراؤنا الشّعراء الذي ألّفه باسم الخليفة السّلطاني وبرسم خزانته [25].

كما أن من تآليفه : (لقمان)، وهو بحث عن لقمان الحكيم، طبعة دار المعارف بمصر.. هذا إلي تآليف له بعنون : (من أدبنا الشعبي)...

ومن التآليف التي دبّجها يراعه : كتابه المنتخب من شعر ابن زاكور، الذي طبع أوّلاً في مدينة العرائش عام 1942 ثم ضمن سلسلة نخائر العرب، وصدر عن دار المعارف المصرية في الستينات.

وقد ظهر من شعره ديوانـان :وإيقاعات الهموم ولوحات شعرية [26] ، وقد كان من نظمه المبكر قصيدته الجميلة بعنوان "المكتبة" [28] التي نشرها كاملة في مجلة "المعتمد "التطوانية منذ عام 1947.

إخلع النّعل واخفض الطرف وامثل — بخشوع كراهب عند هيكــــل !
ها هنا معبد عكوفــك ساعــــا — فيه خير من نسك عمر وأفضـل
عالـم واقــع وإن كـــان غيبـــاً — ربّ غيب من واقــع كان أمثـل !
إندمج فيه تسمُ عن عالـم بالــــ — كذب والترهــات صــار موكـل !
وتبوأ مكـان صــدق بمغــنـــــى — رسل العقل واغتنم خير محفـل.

وقد كانت المقالات البيليوغرافية مما يدخل في اهتمامات كنون، حيث نجد من بين مقالاته التي استفادت منها المكتبة العربية :

أولاً : خزائن لأربعة علماء من القرن الثالث عشر [28].

ثانياً : المخطوطات العربية بتطوان [30].

وإذا ما نظرنا إلى الأستاذ كنّون، الكاتب للمقالة، فهنا سنجد أنه جلّى وأبدع، وإن المتصفّح لمقالاته التي نشرت عبر أحقاب متلاحقة، سواء على المجلات والصحف التي كان يشرف عليها [29] أو في بعض المجلات الأخرى من التي أشرنا أليها (30)، أقول المتصفّح لتلك المقالات سيمكنه أن يصنفها إلى ما لا يقل عن خمسة أصناف :

ـ المقالات النقدية التي يقوم فيها بنقد بعض الأفكار، وهي غير المقالات السجالية التي يصاول فيها بعض منافسيه من رجال وقته من أمثال : القاضي عبد الحفيظ الفاسي [33] والأستاذ عبد الرحمان الفاسي [34] والأستاذ محمد بن تاويت والأستاذ مصطفى حجازي [35].

وإذا لم نعرف الأستاذ كنّون من خلال معاركه فإنّنا لم نعرف شيئاً عنه، وإن الزملاء الذين كتب لهم أن يحضروا بعض تلك المعارك لا بد أن يوافقونا على ما نقول.

ومقالات التعريف بالكتب بما فيها دواوين وكتب التاريخ والكتب التراثية المحققة [36].. هذا إلى المقالات اللّغوية التي تهدف لتحقيق لفظ أو تصحيح كلمة.

وأخيراً تأتي المقالات التي يمكن نعتها بالإصلاحية [37] وتندرج فيها ما يتصل بالمقالات التي تهتم بتقويم ما أعوج من سيرة وخلق، ونلاحظ هنا أنه كان أحياناً يوقع باسمه الصريح لكنه أحياناً يوقع باسمه المستعار وأحياناً بغير توقيع أصلاً !

كما تندرج فيها المقالات العديدة التي حررها مطالباً بإصلاح التعليم والدّفاع عن جامعة القرويين التي كان يعتبر أن الاحتفال بعيدها المائة بعد الألف كان رثاء أكثر منه احتفالاً !!

ولا يمكن للمتحدّث عن أعمال عبد الله كنّون أن لا يقف طويلاً وهو يستعرض تحقيقه لكتب التراث ونذكر له في هذا الصدد :

أولاً : ما يتصل بالشعر : ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث 1958، وقصيدة أنجم السياسة لأبي عبد الله المالقي، وقصيدة الواعظ الأندلسي في مناقب السيدة عائشة رضي الله عنها، وتائية أبي إسحاق الألبيري، والقصيدة الشقراطية في مدح المصطفى عليه السلام.

ثانياً : ما يتّصل بالتاريخ والأدب : (رسائل سعدية) وتتناول العلاقات العثمانية والفارسية والانجليزية والبرتغالية والإسبانية و (مناهل الصفا في أخبار الملوك

الشرفا) لأبي فارس عبد العزيز الفشتالي [38] و (رسالة ابن أبي الخصال) التي نال فيها من كرامة المرابطين [39].

ثالثاً : علوم اللّغة العربية : شرح البوري على منظومة ابن كيران في الاستعارة، شرح جمل المجرادي للشيخ ميارة، رسالة في أحكام الاختصاص للشيخ عبد السلام ابن الحاج.

رابعاً : الحديــث والفــقـــه

ترتيب أحاديث الشهاب للشيخ أبي الحسن بن عبد الله بن حسين الخزرجي القلعي (كتاب الأربعين الطبّية لعبد اللطيف البغدادي (الرباط))، (رسالة نصرة القبض في الصلاة للمسناوي، الأنوار السنية في الألفاظ السنية لإبن جزي، قواعد الإسلام للقاضي عياض (المغرب)) [40]، تلقين الوليد الصغير لعبد الحق الاشبيلي.

ولا يمكن للمرء أن يغفل هنا الإشادة بتفسير كنون لسور المفصل من القرآن الكريم [41].

خامساً : الانســـــاب.

ونذكر من هذا عجالة المبتدي وفضالة المنتهي لأبي بكر محمد الحازمي الهمداني الذي نشر في طبعة أولى وثانية من لدن مجمع اللغة العربية بمصـــر 1964.

وأخيراً نجد تآليفاً يمكن تصنيفه ضمن "الوراقة" وهو كتاب التيسير في صناعة التسفير للشيخ بكر بن ابراهيم الإشبيلي [42].

وبعد هذا نرى من الجدير بالذكر أن نضيف إلى هذا أن عبد الله كنون كان لا يبخل على الذين يقصدونه لتقديم كتاب متى اقتنع بأنه جدير بذلك بالتقديم [43].

كما نذكر - بإكبار - أن بيته كان نادياً ومدرسة وزاوية يقصده المريدون من المشرق والمغرب للفوائد والموائد !!

ونحن إذا ما طرقنا ملفاته الخاصة فإننا سنقف على طائفة جيّدة من المراسلات التي كان يتبادلها مع مختلف الشخصيات في عدد من جهات العالم، ولو أن تلك الخطابات كانت عادية لما استوقفتنا، ولكنها مراسلات مليئة بالفائدة وزاخرة بالمعطيات، وأرى من المفيد أن أشير هنا إلى إحدى الرسائل التي كان بعثها إلى صديقته العزيزة ترينا مير كادير، وهي باحثة إسبانية كان لها تعلق كبير بالمغرب... وكانت تشرف على مجلة "المعتمد" التطوانية.

حرّر هذا الخطاب الذي نعتقد أنه آخر خطاب منه إلى الآنسة المذكورة، وهو يحمل تاريخ عشرين يونيه 1980، وفيها يعتب عليها طول الغياب ويذكرها بالأيام الحلوة التي كانت تجمعنا على مائدة "المعتمد"، وكنت أنت تمثلين فيها "اعتماد" زوجه الشاعرة فنتبادل أحاديث الأدب والثقافة والشعر... وتحضّينا على إمداد تلك المجلة اللطيفة بنتاج أفكارنا من الشعر الوجداني الرقيق الذي تقومين بترجمته إلى الإسبانية ونشره باللّغتين في المجلة المشار إليها. وإن الشعر الذي نهتمّ به لا يصلح للمجلة لأنّه شعر النضال الملتزم بالأهداف العليا للوطن، ولا أنسى - يقول عبد الله - تلك الزيارات الحبّية التي كنت تقومين بها من العرائش إلى طنجة فأستقبلك أنا وربّة البيت سُقْياً لتلك الأيام ومجداً لتلك الذكريات، فياليتها تعود... !

وبهذا نفسّر تهافت كتاب المغرب وأدبائه على المساهمة في تكريمه والحديث عنه في الصحف والمجلات بمناسبة وداعه [44]...

ولا يمكن لزملاء الأستاذ كنون أن لا يذكروا بإكبار وتقدير مبرّته الشجاعة الكبرى التي أعطى بها المثل لكل العلماء، وتتجلى هذه المأثرة في وقف خزانته الحافلة الشاملة على عموم القراء من أساتذة وطلاب. إنّ مثل هذه المبادرة تعتبر وحدها ذات دلالة على تعشق الفقيد وتعلقه بإفادة طلبة العلم، سواء حتّي بعد وفاته.

وإنها لفكرة جدّ ذكية وذات نظر بعيد، بعيدا جداً، وحتّى بالنسبة لمن له ذرية ولكنها لا تسير في نفس الخط الذي سار عليه ربّ العائلة.

وإذا كان الأستاذ كنّون درج من غير عقب، فإنه مع ذلك ترك جمهوراً من

الأبناء الروحيين الذين يردّدون صداه في كل مكان، وهذه مزية لا تقدّر بثمن، ومن حسن حظ الفقيد أنه وجد إلي جانبه سيّدة فُضْلى توفّر له كل أنواع الراحة مما كان يساعده على الانصراف إلى ما هو بصدده، هذا إلى أبناء أخته وخاصة الأستاذ محمد مصطفى الريسوني والأستاذ عبد الصمد العشاب اللذين كانا إلي جانبه باستمرار، وهما المشرفان اليوم على مكتبته التي أصبحت مكتبة لأبناء الشعب.

وإذا كان لي ما أختاره ختاماً لهذا الحديث فهو الشكر الجزيل للسيد الرئيس الجليل الدكتور إبراهيم مدكور، رئيس المجمع الذي أبى إلاّ أن يبر بزميل لنا عزيز، فعهد إليّ أن أقوم، باسم المجمع، بهذه التّحية لروح الفقيد الذي ظلّ لسانه رطباً بالحديث عن زملائه هنا ينوه بذكرهم في المحافل ويشيد بعلمهم في المجامع وكذلك عرفناه مخلصاً وفيّاً لكل من مت له بصلةٍ أو ربطتْه به آصرة إلى جانب عزة النفس والترفع عن الجشع الذي يقتل الناس وهم أُحياء !!

وأن سلوانا الوحيدة في اختفاء مثل هؤلاء الرجال أنهم في الحقيقة لا يختفون ولكنّهم يظلّون أحياء خالدين على مرّ الزمن بما خلفوه من آثار علمية وذكر عَبِقٍ جميل.

الهـوامــــش

1) ولد عبد الله كنّون، يوم السبت 30 شعبان 1326 ـ 26 شتنبر 1908.

2) كان من أولئك العلماء الشيخ مصباح والقاضي الغازي والفقيه السميحي.

3) كان لنشأة عبد الله بطنجة أثر على معرفته للإسبانية والفرنسية.

4) مجلة "الكرمل"، 1984، العدد 11.

5) كان كنّون من المولعين بقراءة المقتطف والمؤيد واللواء والأهرام وغيرها من الجرائد التي كانت تصل لطنجة.

6) ترجم هذا الكتاب للفرنسية.

7) العدد 105، بتاريخ 8 يونيه 1935 / 7 ربيع الثاني 1354، السنة الثالثة.

8) العدد 120 من الرسالة، 23 دجنبر 1935 / 27 رمضان 1354، السنة الثالثة.
- العدد 130 من الرسالة، 30 دجنبر 1935 / 4 شوال 1354، السنة الثالثة.

9) مجلة الرسالة، العدد 261، 4 يونيه 1932 / 6 جمادى الأولى 1357، السنة الثالثة.
- العدد 268، 22 غشت 1938 / 20 جمادى الثانية 1357.
- العدد 260، 23 غشت 1938 / 4 رجب 1357، السنة السادسة.
- العدد 270، بتاريخ 6 شتنبر 1938 / 16 رجب 1357، السنة السادسة.
د. التازي : تاريخ جامعة القرويين، مسجد الجامعة، ج 3، ص 761.

10 العدد 550 بتاريخ 1937 / 27 محرم 1358، صاحبها مصطفى القشاشي، أسبوعية.

11) ظهر النبوغ في ثلاث طبعات :

الأولى : في جزئين 1936 عن المطبعة المهدية. والثانية في ثلاثة أجزاء عام 1961 بدار الكتاب اللبناني، بيروت. والثالثة عام 1967 أيضاً ببيروت، جمعت ثلاثتها في مجلد واحد، وقد علمت أن الفقيد قبل وفاته قدم كتابه لصاحب الدار المذكورة السيد حسن الزين لطبعة رابعة بعد أن قام بإضافات وتنقيحات، هذا ويذكر أن النبوغ ترجم إلي الإسبانية والإنجليزية، وقد نوّه به وقتها الأمير شكيب أرسلان.

12) العدد رقم 4592 بتاريخ 13 غشت 1938.

13) ذكر لي الشيخ كنون أنه سجل مذكراته أيام ولايته بطنجة ولكنه لا يعتزم نشرها معلّقاً ذلك بقول الشيخ خليل : "وعفي عما يعسر" !!

14) كنون : ذكريات جميلة عن العمل مع الخالدين. بحوث العيد الخميسني لمجمع اللّغة العربية، 1334 / 1984.

15) كانت فرصة زيارة الدكتور طه حسين للمغرب مناسبة لإقامة عدّة تظاهرات أدبية في مختلف القواعد المغربية وخاصة بفاس، حيث احتفت به جامعة القرويين التي أنشده شاعرها الأستاذ محمد الحلوي قصيدة رجعت بالدكتور إلى عهد الشعر العربي الزاهر على حدّ تعبيره :

حق على الشعر أن يهـــدي عرائســـه
تحيـــة لعميـــد الشـــعـــر والأدب
خفوا إلى العلـم يطـوي البحـر متجهـا
إلى بنيه بهذا المغــرب العربــــي !

محمد الحلوي : أنغام وأصداء، طبع ونشر بدار السلمي، الدار البيضاء سنة 1965.

16) انظر أعمال الدورة 28، الجلسة الثانية للمؤتمر 1961، البحوث والمحاضرات، ص 27، وكذا د. 29، ج 4، ص 117 و د. 30، ج 5 للمؤتمر ص 43، و د. 31، ج 3، ص 43 و د. 32، ج 6، ص 137. ونفس الدورة 32 ،ج 7 للمؤتمر في بغداد. نونبر 1965، ص 295 ، إلخ... إلخ.

17) تولى نشر هذه السلسلة معهد مولاي الحسن بتطوان الذي أنشئ عام 1356 - 1938/37، وصدر منها 25 في ظرف خمس سنوات ثم وقفت لظروف سياسية، ثم واصلت نشرها دار الكتاب اللبناني في بيروت، ابتداء من عام 1960 وأعادت نشر الأعداد المطبوعة، وهكذا بلغت السلسلة الآن أربعين آخرها ابن زنباع الطنجي، وقد أكد لي السيد حسن الزين أن عشرة أعداد أخرى توجد عنده تحت الطبع تناول فيها شخصيات مغربية بارزة على رأسها محمد الخامس والزعيم محمد بن عبد الكريم.

18) أذكر على سبيل المثال حديثه على ابن غازي في الحلقة (12) عندما نقل عن "دوحة الناشر" قولها : إن خروج ابن غازي للجهاد ضد البرتغال في مدينة أصيلا كان مع السلطان محمد الشيخ الوطاسي وليس أيام والده الذي توفي قبل ابن غازي بتسع سنين.. وهذه معلومات تؤيدها الوثائق الدبلوماسية المعاصرة، S.I.H.M., Portugal, T. I, pp. 387-388.

د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج 7، ص 246، وانظر ملاحق هذا التاريخ.

19) نذكر على سبيل المثال حديثه عن ابن الحاج الفاسي (الحلقة 22) عندما كان في كتابه (المدخل) يقارن ويفارق بين الحياة في مصر والحياة في المغرب، يؤكد عن اهتمام كنون بإبراز الفوائد وتصحيح المعلومات.

23) في العدد 3 من هذه المجلة، مايو 1960، حديثه عن أبي الحسن المسفر، فيلسوف مغربي من عهد الموحدين.

21) من الكتب التي تحدث عن أنه لم يتيسر له طبعها (المنتخب من شعر اليوسي...).

22) المطبعة المهدية، تطوان (بدون تاريخ).

23) نشر بتطوان، مطبعة ديسپيريس، عام 1976، 183 صفحة.

24) نشر هذا الكتاب من لدن المعهد المذكور بمصر عام 1973.

25) يتصدّر هذا الكتيّب الخطاب الذي وجهه الخليفة مولاي الحسن بن المهدي لمؤلفه، بتاريخ 25 صفر 1361 / مارس 1942، ضمنه ما قاله الأمراء من شعر في عهد الأدراسة وعهد زناتة ولمتونة والموحدين ودولة بني مرين والسعديين والعلويين.

26) مطابع البوغاز، طنجة.

27) حجم صغير طبع عام 1401 بمطبعة سوريا بطنجة.

28) مطبعة تطوان، 1966، هذا وقد وهم بعض الكتاب فاعتقد أن القصيدة التي يقول فيها كنون :

بني قومي أفيقـــوا من سـبـــــــات

فإن الحادثـــات تجـــدّ جـــــــــدا

اعتقد ذلك البعض أنها قيلت في حوادث سطيف (الجزائر) مع أنها قيلت في حوادث الدار البيضاء، 6 أبريل 1947، التي اصطنعها الاستعمار لكي يركب الملك محد الخامس حتى لا يقوم بزيارته الوشيكة لمدينة طنجة !!

29) نشر في 105 صفحة.

30) نشر في مجلة معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية وأعيد طبعه في مجموع "خل وبقل".

31) مجلة (لسان الدين)، جريدة (الميثاق)، مجلة (الأحياء) التي نرجو أن لا تتوقف أيضاً بغيابه... الجدير بالذكر أن الدكتور تقي الدين هلالي كان هو المؤسس الأول للسان الدين.

32) مجلة (مجمع اللغة العربية) بالقاهرة ودمشق ومجلة (الرسالة) وجريدة (الشهاب الجزائرية) و (البصائر) كذلك و (الإصلاح)، وصحيفة (معهد الدراسات الإسلامية بمدريد).

32) كان القاضي عبد الحفيظ الفاسي نال في كتابه (المدهش المطرب) من نسب آل كنون وعرض فيه بعدم انتمائهم إلى النسب الشريف، حيث وجدنا عبد الله كنون يرد على زميله في تأليف بعنوان : "الجيش المجلب على المدهش المطرب" (مضروب على الآلة الكاتبة).. ويظهر أنه لهذا السبب كنا نجد توقيعه يحمل أحياناً عبد الله كنون الحسني.

34) من المعارك المبكرة التي كان لها صدى في المغرب ما شب بينه وبين الأستاذ عبد الرحمان الفاسي (جريدة العلم)، 24/18/16 نونبر 1946، مجلة (البحث العلمي) يونيه 1978 - يونيه 1977، (العلم)، عدد 117/160/75 1947، واحة الفكر، تطوان 1367 - 1948.

35) اذكر معركة من المعارك التي لم يذكرها في مجموعة "معارك" تتصل بما علق بها الأستاذ ابن تاويت التطواني على كتابه "النبوغ" وما عقب به هو رحمه الله في مجلة (البحث العلمي) مما كنت مضطرا فيه حقناً للدماء إلى فض التراشق المبرح بين الرجلين الفاضلين !

36) نذكر من مقالاته حول الكتب المحققة ما كتبه بمناسبة تحقيق كتاب (المغرب) في حلى المغرب لابن سعيد الذي حققه الزميل الأستاذ شوقي ضيف.

37) يمكن أن ندرج في هذا الصنف مؤلفه "الإسلام أهدى"، الدار البيضاء، مطابع دار الطباعة، وكتابه "إسلام رائد"، طبع بتطوان 1971، وقد تكرر طبعه، و "تحركات إسلامية"، دار الطباعة الحديثة بالدار البيضاء، وجولات في الفكر الإسلامي، طبع بتطوان، و "حب الرسول للنساء" والرد القرآني على كتيب "هل يمكن الاعتقاد بالقرآن ؟" و (مفاهيم إسلامية).. ونفى تقول سخيف على الجانب المحمدي الشريف، و (على درب الإسلام)، وفضيحة المبشرين في احتجاجهم بالقرآن المبين، والقدوة السامية للناشئة الإسلامية (بيروت) وشؤون إسلامية (البيضاء).

38) طبع بمساهمة المعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط.

39) لا ننسى أن نذكر من كتبه المبكرة مدخل إلى تاريخ المغرب الذي طبع عدة مرات.

40) هذا غير كتابه : (القاضي عياض بين العلم والأدب)، السلسلة رقم (42)، من سلسلة دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع، الرياض.

41) نشر دار الثقافة، البيضاء، الطبعة الأولى، 1401 ـ 1981 من 430 ص.

42) (فصلة لصحيفة "معهد الدراسات الإسلامية بمدريد"، ج 1959/8/7 ـ 1960.

السلطان محمد الشيخ الوطاسي. كنون يصحّح أن الجهاد المذكور كان أيام السلطان محمد، الملقب بالبرتغالي.

43) من بين الذين قدم لكتبهم الشاعر ادريس الجـاي في ديوانه (سوانح)، مطبوعات القصر الملكي، 1967، وكانت إحدى قصائده (الفردوس المفقود) قد قرأت على الدكتور طه حسين.. كذلك معجم المطبوعات المغربية للشريف ادريس بن الماحي الإدريسي القيطوني، وعدد من التآليف كان آخرها عن ابن بري الذي صنفه الأستاذ الأمراني من تازة.

44) كل الصحف المغربية، أجهزة الإعلام المقروءة أو المسموعة والمرئية والملاحق الثقافية على اختلاف مشاربها تحدثت نثراً وشعراً عن عبد الله كنون، كذلك مشاهد حفلات التأبين التي جرت له على مختلف المستويات.

المرفـــقــــات

الملحق الأول : لائحة لمؤلفات الأستاذ عبد الله كنّون في تاريخ الأدب، والتراجم، والمقالة الأدبية والدواوين الشعرية، والشروح وفي ميدان التحقيق والنشر والكتب الإسلامية، وتآليف مختلفة.

الملحق الثاني : لائحة بالمقالات التي لم يصنفها الأستاذ في مجموع.

الملحـــق الأول :

لائحة مؤلفات الأستاذ عبد الله كنّون

أ) تاريـــخ الأدب

- أحاديث عن الأدب المغربي الحديث، ط 1، دار الثقافة، البيضاء.
- أدب الفقهاء، طبعة دار الكتاب اللبناني، ب.ت.
- أمراؤُنا الشُّعراء، المطبعة المصرية، تطوان 1361 هـ.
- سابق البربري، مطبعة الترقي، دمشق 1969.
- المنتخب من شعر ابن زاكور، ط 1، دار المعارف المصرية، 1966.
- النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط 1، المطبعة المهدية، تطوان، 1932.
- النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط 2، دار الكتاب اللبناني، 1961.
- النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط 3، دار الكتاب اللبناني، 1975.

ب) التـراجـــم

- ابن أجروم : سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- ابن أبي زرع، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- أحمد زروق، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- الأصيلي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- أكنسوس : دار الكتاب اللبناني، بيروت.

ـ الإمام ادريس، دار الكتاب اللبناني بيروت.
ـ الأمير سليمان الموحد، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ ابن بطوطة، دار الكتاب اللبناني، بيروت
ـ أبو بكر بن شبرين، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ ابن البنا العددي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ أبو جعفر بن عطية، سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ ابن الحاج الفاسي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ ابن حبوس الفاسي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ أبو حفص بن عمر، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ ابن زاكور، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ ابن زنباع الطنجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ السلطان محمد بن عبد الله، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ الشريف الإدريسي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ ابن الطيب العلمي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ أبو العباس الجراوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ أبو العباس العزفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ عبد العزيز الفشتالي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ عبد العزيز الملزوزي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ عبد الله بن ياسين، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ عبد المهيمن الحضرمي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ ابن عبدون المكناسي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ عثمان السلالجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ أبو عمران الفاسي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

ـ ابن غازي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ أبو القاسم الزياني، در الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ أبو القاسم الشريف، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ مالك بن المرحل، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ أبو موسى الجزولي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ ميمون الخطابي، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ الوزير ابن إدريس، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ ابن الوزان، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ ابن الياسمين، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
ـ يوسف بن تاشفين، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

ج) المقالة الأدبية

ـ أزهار برية ، مطبعة ديسبريس، تطوان، 1976.
ـ التعاشيب، المطبعة المصرية، تطوان، ب.ت.
ـ خل وبقل، المطبعة المصرية، تطوان، ب.ت.
ـ العصف والريحان، مطبعة كريماديس، تطوان، ب.ت.
ـ أشذاء وأنداء، مطابعة البوغاز، طنجة،
ـ واحة الفكر، المطبعة المهدية، تطوان، 1949.

د) دواوين شعرية

ـ إيقاعات الهموم، مطبعة سوريا، 1401 هـ.
ـ صنوان وغير صنوان (معد للطبع).
ـ لوحات شعرية، دار كريماديس، تطوان، 1966.

هـ) الشـــــروح

- شرح الشمقمقية، دار الطباعة، تطوان، 1954.
- شرح مقصورة المكودي، مطبعة مصطفى محمد، مصر، 1356.

و) التحقـيـق والنـشـــر

1. الشعـــــر

- تائية أبي إسحاق الألبيري، مجلة المناهل، ع 5، س 3، مارس 1976.
- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1958.
- قصيدة أنجم السياسة لإبن المالقي، مجلة الثقافة المغربية، ع 9، س 973.
- قصيدة الواعظ الأندلسي في مناقب عائشة (ض)، مجلة "المناهل"، العدد 6، السنة 3، يوليوز 1976.
- القصيدة الشقراطيسية في مدح المصطفى.

2. علوم اللّغة العربية

- رسالة في أحكام الاختصاص للشيخ عبد السلام بن الحاج، منشورات مجمع اللّغة العربية بالقاهرة، ب.ت.
- شرح جمل المجرادي لميارة.
- شرح البوري على منظومة ابن كيران في الاستعارة.

3. التاريخ والأدب

- رسالة ابن أبي الخصال التي نال فيها من كرامة المرابطين، مجلة المجمع العلمي العربي، ج 4، م 35، تشرين الأول 1960.
- رسائل سعدية، دار الطباعة المغربية، تطوان، 1954.

4. العلوم الإسلامية

- الأنوار السنية في الألفاظ السنية لإبن جزي.
- ترتيب أحاديث الشهاب للخزرجي.
- تلقين الوليد الصغير لعبد الحق الإشبيلي، المطبعة المهدية، تطوان، 1952.
- رسالة نصرة القبض في الصلاة للمسناوي.
- كتاب الأربعين الطبية للبغدادي، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1973.
- كشف الشبهات لمحمد بن سليمان الدرعي.

ز) كتب إسلامية

- الإسلام أهدى، دار الطباعة الحديثة، البيضاء، ب.ت.
- إسلام رائد، دار الكتاب اللبناني، 1976.
- تحركات إسلامية، دار الطباعة الحديثة، البيضاء، ب.ت.
- تفسير سور المفصل من القرآن الكريم، ط 1، دار الثقافة، البيضاء، 1960.
- جولات في الفكر الإسلامي، مطبعة ديسبريس، تطوان، 1980.
- الردّ على كتيب "هل يجوز الاعتقاد بالقرآن".
- شؤون إسلامية، دار الطباعة الحديثة، ب.ت.
- على درب الإسلام، مطبعة كريماديس، تطوان، 1972.
- فضيحة المبشرين في احتجاجهم بالقرآن المبين، مطبعة رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرّمة 1982.
- القدوة السامية للناشئة الإسلامية، دار النشر للجامعيين، ب.ت.
- محاذي الزقاقية، مطبوعات معهد الزبحاث العليا المغربية، 1958.
- مفاهيم إسلامية، مكتبة المدرسة، بيروت، 1964.
- منظمات إسلامية، مطبعة سروريا، طنجة، ب.ت.

ج) مختـــلـــفـــات

- التفسير في صناعة التفسير، للشيخ بكر من ابراهيم الإشبيلي، فصلة من صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، م 7، 8، 1959، 1960.
- الجيش المجلب علي المدهش المطرب (نسخة مرقونة).
- عجالة المبتدي وفضالة المنتهي في النسب للحازمي، الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1965.
- نظرة في منجد الآداب والعلوم، معهد الدراسات والبحوث العربية، القاهرة، 1972.
- معارك مطبعة ديسبرليس تطـوان

الملحـق الثانـي

مقالات لم يصنفها الأستاذ گنون في مجموع

- أثر المغرب في العلم واللّغة. مجلة مجمع اللّغة، ج 21، س 1966
- أحمد بن شعيب الجزنائي. المناهل، ع 2، س 2، مارس 1975
- الأدب العربي وحدة. مجلة الأنوار، ع 42، س 1954
- الأغزاز وابن اللونقة. مجلة المجمع العلمي العربي، ج 3، م 36، تموز 1958
- تائية أبي إسحاق الألبيري. المناهل، ع 5، س 3 مارس 1976
- تصويب. مجلة المجمع العلمي العربي، ج 1، م 37 يناير 1962
- ترجمة الواعظ البغدادي. البحث العلمي، ع 7، يناير/أبريل 1966
- ابن البغلة. رسالة الأديب بمراكش، أبريل 1959
- أبو جعفر بن عطية (2). مجلة السلام، ع 2، س فاتح نونبو 1933
- أبو جعفر بن عطية (2). مجلة السلام، ع 3، س فاتح نونبر 1933
- الجناس وأنواعه في منظومة ابن الطاهر الهواري، قاضي فاس. مجلة مجمع اللّغة العربية بالقاهرة، ج 38، نونبر 1976
- أبو الحسن المسفر. مجلة اللّغة العربي بدمشق، أكتوبر 1961
- أبو الحسن المسفر. مجلة مجمع التربية الوطنية، الرباط، عدد 8، مايو 1960
- حول خطبة طارق. دعوة الحق، ع 6، 7، س 11 ماي 1968

- حول ديوان ابن عنين. م. المجمع العلمي العربي، ج 2، م 35، نيسان 1960
- حول رؤية ابن بطوطة لإبن تيمية. مجلة المجمع العلمي العربي، ج 3، م 40، يوليوز 1965
- ردّ على نقد. مجلة السلام، ج 7، س 1، أبريل 1934
- ابن رشد الفقيه. دعوة الحق، 2 دجنبر 1967
- سابق البربري. دعوة الحق، ع 4س 21، يوليوز 1980
- الشاعر الأنيق أبو حفص بن عمر. البينة، يناير 1963
- الشامي. رسالة المغرب، ج 5، ع 136، يناير 1952
- الشيخ أبو شعيب الدكالي والدعوة إلى السنة. دعوة الحق، ع 7، س 12، جوان 1969
- الصاحب الشرقي. مجلة السلام، ج 9، س 1، يونيو 1934
- ابن الطيب العلمي. مجلة السلام، ع 8، س 1، ماي 1934
- أبو العباس العزفي. مجلة السلام، ع 10، س 1، نوفمبر 1934
- العربية أمس واليوم. مجلة مجمع اللّغة العربية، ج 41، ماي 1978
- عقيدة المرشدة للمهدي بن تومرت. البحث العلمي، ع 9، س 3، سبتمبر 1966
- الغزّال (أحمد المهدي الحميري الفاسي). مجلة العدوتان، م 1، ربيع الأول/الثاني، السنة 1371
- في البحث عن الشعر المغربي الفني. مجلة المعتمد التطواني، عدد 19، نونبر 1949
- أبو القاسم الشريف. ملحق جريدة المغرب، ع 1، س 1937
- قافية ابن عمر الرباطي. دعوة الحق، أكتوبر 1959
- مراجعة في شأن تعريف غير وجمع معجم على معاجم. مجلة المجمع العلمي العربي، ج 1، م 39، يناير 1964
- ابن مشيش. مجلة البحث العلمي، ع 25، س 13، يونيو 1976
- مكتبة السلام. مجلة السلام، ع 7، س 1933

ـ الملك العبقري سيدي محمد بن عبد الله. دعوة الحق، ع 5، س 10، أبريل 1967
ـ الملك الإنسان. ندوة محمد الخامس، جمعية رباط الفتح، 1989
ـ من أدبنا الشعبي. مجلة تطوان، ع 5، س 1961
ـ ابن منصور المغراوي شخصية مغربية. دعوة الحق، يونيو 1960
ـ من أعلام المغرب الإمام الأصيلي. الثقافة المغربية، دجنبر 1970
ـ نظم مثلث قطرب وشرحه. المناهل، ع 3، س 2، يونيو 1975
ـ نهضة الشعر في المغرب. مجلة (المعتمد) التطوانية، ع 12، يناير 1949
ـ ابن الونان. مجلة السلام، ج 5، س 1، فبراير 1934
ـ يوسف بن تاشفين وابن عباد. مجلة السلام، ع 1، س 1933.

مـصـــــــادر

عبد الله الجراري : من أدباء المغرب وشعرائه المعاصرين (نسخة مرقونة).

الدراسة الأدبية بالمغرب : الأستاذ عبد الله كنّون نموذجاً. رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا قدمها الطالب أحمد شايب بإشراف محمد الكنوني، كلية الآداب بالرباط، السنة الجامعة، 1988/1989.

مجلة (الكرمل)، 1984، العدد 11.

مجلة (الفيصل)، 1988، العدد 137.

حسين أدهم وأحمد عبد اللطيف الجدع : من أدب الدعوة الإسلامية.

ابراهيم السولامي : الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية، 1912/1956.

محمد بن العباس القبّاج : الأدب العربي في المغرب الأقصى، ج 2، ص 36-37.

أنور الجندي : الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار القومية للطباعة والنشر، 1385-1965.

عبد الصمد العشاب : بيبليوغرافيا جامعة لإنتاج الأستاذ عبد الله كنون على الآلة الكاتبة.

الأدب العربي في المغرب الأقصى، الجزء الثاني لمحمد بن العباس القباج.

كلمة الدكتور عدنان الخطيب، عضو المجمع من سورية

بسم الله الرّحمن الرّحيم

جوانب الكلام عن فقيدنا الغالي متعدّدة متنوعة، وسأقصر كلامي - الليلة - تخفيفاً عنكم، على جانب واحد منه، فأتكلّم عن عبد الله كنّون ونبوغه المبكّر.

1. - مدينة فاس، عاصمة المغرب الأقصى

بعد أن سقطت مدينةُ إشبيلية، وخبا الإشعاع في الأندلس، أصبحت مدينةُ فاس حاضرة الإسلام في المغرب من أقطار إسلامية عديدة.

وعُرفت في فاس بيوتاتُ علم كثيرة، كما اشتهر فيها رجالٌ بلغوا القمّة في علوم القرآن والحديث واللّغة، وكان طلابُ العلم يشدّون إليها الرحال، للإفادة من علمائها، وللتزوّد بإجازاتهم والتفاخر بعلو أسانيدهم.

وكان من أشهر بيوتات العلم في فاس بيتُ كنون، وحسبنا دليلاً على هذا ما سجّله التاريخ لأحد أبناء هذا البيت الأفذاذ محمد الشهير بابن المدني كنون.

2. ـ محمد بن المدني كنون

قال الفقيه ابن المختار التاشفيني في تاريخه وهو يترجم لابن المدني ما نصّه : "ألّف تأليفاً ذكر فيه أشياخه، وذكر فيه سلاسلهم في الحديث إلى الإمام البخاري، وفي الفقه إلى الإمام مالك، وفي النحو إلى سيبوية وهكذا، ومن أراده فليراجعه[1]".

وقال أبو الاسعاد بن أبي المكارم الحسني الإدريسي في فهارسه وهو يترجم لابن كنون : "كنون بالكاف المعقودة : هو شيخ الجماعة بفاس العلاّمة المطلع، الصاعقةُ الطائرُ، صاحبُ التآليف الكثيرة الذائعة الصيت، أبو عبد الله محمد بنُ المدني بن علي كنون الفاسي من أولاد كنون الذين بفاس[2]".

وترجم له الزركلي في الأعلام فقال "محمد بن المدني جنون، أبو عبد الله المستاري أصلاً[3]، الفاسي مولوداً وقراراً ووفاةً : فقيهٌ مالكي، من رجال الإصلاح الديني.

أصله من بني (مستارة)، يتّصل نسبه بالأدارسة[4]. كان رأس علماء المغرب في القرن الثالث عشر مفتياً، محدثاً، لغوياً، قوالاً للحق، نزيهاً، دؤوباً على نشر العلم والإرشاد والنهي عن البدع، وأوذي بسبب ذلك وسُجن، فاعتصبت الطلبةُ وقامت قيامةُ الجمهور فأطلق.

قال الحجوي : "كان شديداً على أهل الطرق، وما لهم من البدع التي شوّهت جمال الدين، والمتصوفة أصحاب الدعاوي التي تكذبُها الأحوال، وما كان أحد يقدر على الردّ عليه[5]".

3. ـ أسرة المدني بن كنون تهاجر من فاس

عاش المدني بن كنون وأسرته، وفيها كثير من العلماء الأجلاء، في مدينة فاس، وفيها كانت قبورهم، والمغرب يومئذ دولة مستقلّة ذاتُ سيادة، فلمّا كانت سنة 1330 للجرة الموافقة لسنة 1912 ميلاديــة، ضـاع استقـلال المغـــرب باحتـــلال جيـوش

فرنسية أراضيه بدعوى حمايته (6)، فضاقت فاس بهذا الاحتلال الغاشم، واسودّت الدنيا في عيون الكثيرن من أبنائها الميامين، وكان الأحياء من بني كنون في جملتهم، فعزم كل من عبد الصمد ومحمد ابني التهامي وحفيدي العلاّمة المدني على الهجرة إلى دمشق من بلاد الشام.

بدأ الأخوان عبد الصمد ومحمد رحلة الهجرة، مصطحبين أُسْرتهما، وكانت أسرة عبد الصمد تحمل طفلاً لم يتم السادسة من عمره، وتوقّف المهاجرون سنة 1914 م في مدينة طنجة على شاطئ البحر المحيط، ليواصلوا رحلتهم نحو البحر الأبيض، ومن ثمّ إلى الثغر الشامي الذي ينتهي بهم في دمشق.

وحدث والمهاجرون في مدينة طنجة، أن حالت الحرب العالمية التي اندلعت في تلك السنة دون سفرهم، فحلّوا رباط السفر واتخذوا طنجة موطنَ إقامة إلى أن تسنح لهم الظروف بالسفر.

وطالت إقامة المهاجرين الموقتة بامتداد الحرب، فإذا بطنجة تغدو مستقرَّ الأسرة الدائم، وفيها عاشت وفيها شبَّ الطفل وترعرع، وفيا لمع نجمه وفيها كان مثواه الأخير.

4. ـ عبد الله كنون في طنجة

كان الطفل الذي حمله أبوه، المهاجرُ من المغرب إلى بلاد الشام وتوقف به في مدينة طنجة، هو فقيدُ مجمع اللّغة العربية، الزميلُ الصديق والعلاّمة الكبير عبد الله كنون.

وُلد فقيدنا في مدينة فاس يوم السبت في الثلاثين من شعبان سنة 1326 للهجرة، الموافق ليوم في أيول (سبتمبر) سنة 1908 للميلاد.

واختار الله عزّ وجلّ عبد الله كنون إلى جواره، يوم الأحد في السادس من ذي الحجة سنة 1309 للهجرة، الموافق للتاسع من تموز (يوليوز) سنة 1909 للميلاد، وهو في الثالثة والثمانين من حياته الحافلة بكل مفيدٍ نافع، العطرة بأريج الإخلاص والتفاني، في خدمة العروبة والإسلام، يزينُها الخلقُ الحسن، ويجمّلها الكرم والبذل السخي.

أجزل الله ثواب عبد الله كنون وتغمده بالرحمة والرضوان وأسكنه فسيح الجنـان.

5. ـ عبد الله كنون العالم التحرير

بدأ عبد الله كنون يتلقى العلم في البيت على الده، وخيرُ صورة عن هذه البداية كانت بقلمه في سيرة ذاتية استهلها بقوله : "كانت سنّي ستّ سنوات حين انتقلت مع والدي رحمه الله إلى طنجة، وكان ينوي هو وعمي العلامة المرحوم الشيخ محمد الهجرة إلى الشام، ولكن إعلان الحرب العظمى الأولى حال دون ذلك، وقد نشأتُ بطنجة حيث حفظتُ القرآن الكريم، وزاولت قراءة العلم على مشائخ عدّة، وأكثرهم والدي الشيخُ عبد الصمد، وكان مجال دراستي ينحصر في علوم العربية والفقه والحديث والتفسير، وأما الأدب فقد تعاطيتُه هواية (7)".

وكان مما حفظَه الفقيدُ في صباه، وتأكدنا منه بالحديث معه وسماع حواره مع أنداده من العلماء، كثير من الأحاديث النّبوية والمتون القديمة والنّصوص اللّغوية والنّحوية الأصيلة حتّى بعض شروحها وحواشيها الثانوية. فلما يَفَع أخذ يدمدمُ الشعر حتّى أجاد نظمه وهو دون العشرين من عمره بسنوات.

ولكن كيف بلغ عبد الله كنون منزلة كبار العلماء في سنٍ صغيرة، قلّ من العلماء من بلغها وهو في تلك السن ؟

وما الذي كتبه أو ألّفه أو أهلّه ليتبوأ المكانة التي أحتلها لا في المغرب فحسب، بل في المشرق أيضاً، لا بل في العالمين العربي والإسلامي قاطبة ؟

لكي نجيب على هذه التساؤلات، لا بدّ لنا من تسجيل الخطوات الهامة، التي خطاها فقيدُنا الكبير، واحدة فواحدة، وسنبدأ بأولى خطواته المرموقة، وهو دون الثلاثين من حياته المديدة.

6. ـ الفقيد في العشرينات من عمره

ما انتصف عقد العشرينيات من عمر عبد الله كنون حتّى كان قد احتلّ في

المغرب وفي المشرق على السواء، مكانةَ الأديب المتفتّح والصّحفي النشط والشاعر الموهوب، وذلك بفضل كتاباته المتتابعة ومقالاته المتتالية في صحف المغرب وحتّى في صحف ومجلات المشرق من جهة، وبفضل زياراته المتعددة لبلاد المشرق، وإنشائه علاقات وديّة وصداقات حميمة مع كثير من علماء وأدباء ورجال الإعلام في البلاد التي زارها، أو تعرّف عليهم فيها، ثم بالمداومة على مراسلتهم وتلقي أجوبتهم ورسائلهم.

واشتهر الفقيدُ بسَعَة المعلومات وكثرة المحفوظات، والدّقة في راوية الحوادث التاريخية ومعرفة الخفايا السياسية المعاصرة.

كما اشتهر بولعه في اقتناء الكتب وبذل المال لشرائها، حتّى تكونت لديه مكتبةٌ خاصة، قلَّ نظيرُها بين مكتبات كبار العلماء والأدباء والمؤرخين [8].

7 ـ مؤلَّفٌ فذٌ وصدى رائع

في الثلاثينيات من هذا القرن الميلادي، كان فقيدنا في العشرينيات من عمره، فإذا به يغزو المكتبة العربية بكتاب فذّ عنونَ له (النّبوغ المغربي في الأدب العربي).

كان الفقيدُ يألم إذ يرى من عرفَهم أو قرأ لهم من علماء وأدباء المشرق العربي قليلي الإطلاع وضعيفي التحدّث وفاقدي الاهتمام بعلماء وأدباء المغرب الأقصى من الوطن العربي، وحتّى أخبار المغرب السياسية ما كانت تحظى باهتمام المشارقة اهتمامهم بسواها من أخبار الدول العربية أو المسلمة، بينما وجد أبطال المغرب قد نالوا حقّهم من التمجيد والذكر الحسن في المشرق والمغرب على السواء.

قال عبد الله كنون : "...كثُر عتَب الأدباء في المغرب على إخوانهم في المشرق لتجاهلهم إيّاهم، وإنكار كثير منهم لكثير من مزاياهم، ولكن أعظم اللّوم في هذا مردود على أولئك الذين ضيّعوا أنفسهم وأهملوا ماضيهم وحاضرهم، حتّى اوقعوا الغير في الجهل بهم والتقوّل عليهم [9]".

أخذ عبد الله كنون من عتبه هذا على عرب المشرق، حافزاً له على توسعة معلوماته فيما يقرأ من كتب التاريخ والأدب والعلوم المختلفة، إلى أن تكونت لديه صورة واضحة المعالم عن الحياة الفكرية لموطنه المغرب وتطوّرها في العصور المختلفة، من لدن الفتح العربي الأول إلى العهد الحديث وما طرأ عليها من نشاط وفتور.

وبدأ فقيدنا يكتب ويسجّل ما نبشه جامعاً بين العلم والأدب والتاريخ والسياسة، يعرض كل ذلك عرضاً ممتعاً ويبسطه بلغةٍ سهلة أحسن بسط، فإذا بها كلُّ البلاغة، ويتكوّن من كلّ ذلك كتابٌ يكاد يكون فذّاً في بابه، محتوياً بين دفتيه، على أدبٍ مغربي رائع، كان خبيئاً في باطن كتب التاريخ وزوايا كتب السير والتراجم، محتوياً على جملة وافرة من تراجم الملوك والوزراء والقواد والفاتحين والعلماء والأدباء والفقهاء، حتّى المتصوّفة وغيرهم من الرجال.

صدر هذا الكتاب سنة 1936 في جزئين، مطبوعاً بالأحرف العربية في مدينة تطوان، وتطوان مدينةٌ مغربية أصيلة، كانت تحت الحكم الإسباني.

صدر الكتاب فإذا له، في دنيا العلم والحضارة ثلاث ضجّات : متفاوتات في المعْنى والدوافع ، ضجّةٌ كانت في الشمال، وضجّةٌ حدثت في الجنوب، وضجّة عمّت المشرق بأسره.

وسنتحدّث عن كلّ ضجّة على حدّة فيما يلي :

8. ـ المستعمرون ملّة واحدة وإن اختلفت سياساتهم وتفاوت فهم رجالهم لحقوق الإنسان

كانت ضجّة بلاد الشمال رائعة حقّاً، إذ تلقفت الكتاب تلقُّف الظمآن للماء، بعد أن ترجم وظهر باللّغة الإسبانية (9)، فاعتمده العلاّمة الألماني كارل بروكلمان في ملاحق كتابه عن تاريخ الأدب العربي، وأشاد به العلاّمة الإيطالي جيوفاني بيانكي، كما اعتمدته أكثرُ الجامعات الأوربية مرجعاً لطلاب العربية فيها.

وما لبث الفقيد إلاّ قليلاً حتّى تلقى رسالة من وزارة الخارجية الإسبانية مؤرّخة في 18 تشرين الثاني (نوفمبر) سنة 1939 تعلمه فيها بأن وزارة المعارف الإسبانية منحته درجة دكتوراه شرف في الآداب من جامعة مدريد بمناسبة صدور كتاب النّبوغ المغربي في ترجمته الإسبانية، وأضافت وزارة الخارجية بأنها تدعو فقيدنا إلى زيارة إسبانيا لمدّة شهر، ضيفاً على الحكومة الإسبانية.

كان هذا كلّ في المنطقة الخليفية من المغرب الأقصى [10] بفضل التفتّح الإسباني في السياسة والإدارة. أما في المنطقة السلطانية الخاضعة للحماية الفرنسية، فكانت الضجّة مخزية سوداء، إذا ظهر فيها، عقب ظهور كتاب النّبوغ المغربي في المنطقة الخليفية، تمجيد به ودعوة إلى اقتنائه، وما هي إلاّ أيام معدودات حتّى صدر قرار عسكري يمنع تداول الكتاب وينص على معاقبة من تضبط عنده نسخة منه، وكان نصّ ما نشرته جريدة "السّعادة"، لسان حال حكومة الحماية الفرنسية نحن عنوان "بلاغ عسكري : (أصدر سعادة الجنرال خليفة، سعادة القائد الأعلى للجنود بالنيابة، أمراً يقضي بمنع الكتاب المعنون بالنّبوغ المغربي في الأدب العربي الصادر باللّغة العربية في تطوان من الدخول إلى المنطقة الفرنسية بالمغرب الأقصى، وكذلك بيعه وعرضه وتوزيعه، ومن خالف ذلك يعاقب بمقتضى القوانين المقرّرة [11]".

9 ـ ضجّة المشرق كلّها تقدير وثناء واعتزاز

كان لصدور كتاب النّبوغ المغربي في المشرق العربي، ضجّة كبري نشأت من قوة التعريف به وشدّة الثناء على مؤلفه، وبالغ التقدير لدوافعه إلى تأليفه. وحسب الفقيد الجليل، وحسب التقرير النزيه والتقييم الرائع لهذا الكتاب العظيم ما نشره تعريفاً به أمير البيان في المشرق الأمير شكيب أرسلان [12].

كان أمير البيان في عرضه وتحليله لكتاب الفقيد، وقد أصدره في شرخ شبابه، ناقداً مثالياً، فقد أشار إلى أنّ المؤلف جمع في كتابه بين كلّ من العلم والأدب والسياسة. وأشار أمير البيان بتصوير المولف للحياة الفكرية في المغرب من يوم الفتح

الإسلامي إلى يوم الناس هذا، مبيّناً أن مثل هذه الإحاطة تعجز عنها الجملة، ولا تفي بها الكتب الجمة. وقال عن المؤلف إنه "مزج في كتابه بين الحركات الفكرية والحركات السياسية مزجاً عجيباً، حقّق الصلة الطبيعية التي لا تكاد تنفكّ في كلّ دور من أدوار الأمم بين العلم والسياسة، بحيث لا يرقى الواحد منها إلاّ إذا رقي الآخر برقيه".

وأبدى أمير البيان إعجابه ببراعة مؤلف الكتاب فالمطالع له : "لا يكاد تُشكل عليه فيه مسألة، ولا يستعجم موضوع، ولا يفتقر مقام إلى مقال، وهو مع هذا كلّه من الكتب المختصرة، فكأنها أراد به صاحبه لا مثالاً للتاريخ فحسب، بل مثلاً للبلاغة (13)".

ثم أشار أمير البيان إلى القضايا التي شغل بها المؤلف ذهن القارئ، مثل خفاء الأدب المغربي عن إخوانهم في المشرق وأسبابه ومبرّراته، ومثل سرعة دخول الشعب البربري في الإسلام وحسن بلائه في الدفاع عنه وصيرورته به أقرب إلى العرب من العرب بعضهم إلى بعض، ذاكراً أن مثار النزاع بين الطرفين في تاريخهم الطويل لم يكن إلاّ بسبب استبداد العرب بوجوه المنافع واستئثارهم بمناصب الدولة.

وعندما أبدى أميرالبيان تقديره الفائق لكتاب الفقيد العظيم كاد أن يقول : "إن من لم يطلّع على هذا الكتاب لا يحقّ له أن يدّعي في تاريخ المغرب الأدبي علماً، ولا أن يصدر على حركاته الفكرية حكماً. وكما قيل في كتاب "نفح الطيب للعلاّمة المقرّي" : إن كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وكلام وزيرها، لسان الدين بن الخطيب، الذي لم يقرأه فليس بأديب، يمكن أن يقال : إنّ من لم يقرأ كتاب النّبوغ المغربي في الأدب العربي فليس على طائل من تاريخ المغرب العلمي والأدبي والسياسي، بل هذا الكتاب أجدر بالإطلاق الشامل من كتاب نفح الطيب في موضوعه، وذلك لأن نفح الطيب على جلالة قدره حشر بين دفتيه غثّاً وسميناً، وعالياً ونازلاً، وأطال حيث ينبغي الاختصار وأوجز حيث النفوس تشتاق إلى الإطالة والإكثار، وأيضاً فقد يكون الرجل أديباً ولم يقرأ نفح الطيب. فأما النّبوغ المغربي في الأدب العربي فهو خلاصة منخولة وزبدة ممخوضة، استخلصها صاحبها من مآث

الكتب المصنّفة وألوف الأحاديث التي لقفها من أفواه العلماء الذين أخذ عنهم، وقلما رأيتُ مؤلّفاً جمع المعنى الكبير في اللّفظ القليل، وجاء في ضمن 250 صفحة بالعريض الطويل، في درجة هذا التأليف الذي هو ثمرة تحقيق وتدقيق ودرس عميق، لم يُخرج إلى قراء العربية أحسن منه في بابه [14].

10. ـ عبد الله كنون، عضو مجمع اللّغة العربية

هذه قصّة "النّبوغ المغربي"، وكان ظهوره قد تحقّق في فقيدنا الجليل حين انتصفت العشرينات من سني حياته، ولما اكتهل وسمت به خبرته وازدادت معارفه وتألق نجمه، بادر مجمع اللّغة العربية إلى ضمه إلى صفوف أعضائه العاملين في خدمة الفصحى والدفاع عن سلامة أصولها فكان خير عامل معهم على تحقيق أهدافهم النبيلة وخير مساعد لهم على بلوغ غاياتهم السامية.

لقد ساهم فقيدنا في مؤتمرات المجمع السنوية مساهمة قيّمة، سجلتها له محاضر الجلسات، ونشرت في المجلة أو في كتب البحوث، إلى جانب ما كان يرفد به المكتبة العربية من كتب حققها أو ألفها، بلغت بضع عشرات عدداً، كما وردت الإشارة إليها وتسميتها في كلمة الزميل الكبير عبد الهادي التازي.

وأنا اليوم لست في معرض الترجمة للفقيد، حتّى أذكر مراحل حياته، وأعدد صفحات نضاله، أو أصف ما لاقاه من عنت وإرهاق، في سبيل الدفاع عن حرية الإنسان واستقلال الوطن الغالي وحق صاحب العرش الشرعي، إذ لكل مقام مقال.

رحم الله الفقيد وأسبغ عليه واسع رضوانه، وأطال عمر زملائه وإخوانه، وصدق أجل قائل في مجيد كتابه "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً".

(1) نشر الأستاذ الدكتور عدنان الخطيب في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق الجزء الثاني من المجلد السادس والستين بحثا موسعا عن المرحوم ضمنه إضافات عن جوانب من ثرات الأستاذ كنون فلينظر هناك.

الهوامـــــش

(1) نقلاً من كتاب الفهاريس، ص 497، الطبعة الثانية، بيروت 1982.

(2) انظر ص 498 من فهرس الفهاريس، المرجع السابق ذكره.

(3) المستاري نسبة إلى قبيلة بني مستارة الجبلية بقرب مدينة وزان، ويقال بني مسّارة بتشديد السين وحذف التاء، وينسب إليها كذلك، وهو الجاري على الألسن - في المغرب - (عن شخصيات مغربية لعبد الله كنون).

(4) نسبه إلى ادريس بن عبد الله حفيد الحسن بن علي بن أبي طالب، مؤسس دولة الأدراسة. وكان هرب من المدينة سنة 129 ولجأ إلى الحق أمير البربر، وهناك قام بالدعوة لنفسه، خالعاً طاعة الرشيد فبايعته القبائل وتم له الأمر عام 172 هـ.

(5) انظر الإعلام، ص 313 من الطبعة الثالثة والمصادر التي أخذ عنها.

(6) كانت الدول الأوروبية ذات النزعة الاستعمارية قد توصلت بعد مساومات كثيرة إلى الاتفاق في مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1911 م على اقتسام المغرب العربي بين فرنسا وإسبانيا، وجعلت مدينة طنجة دولية، وذلك سنة 1924 م.

واستردّ المغرب سيادته سنة 1956 م، وأعلنت الدول إلغاء تدويل طنجة وإعادتها إلى السيادة المغربية في 1956/7/29 وانضمت المغرب إلى الأمم المتحدة في 1956/11/12.

(7) من السيرة الذاتية كتبها الفقيد بيده وهي محفوظة في ملفه الشخصي بمجمع دمشق.

(8) كان الفقيد رحمه الله قبل وفاته بخمس سنوات حبّس مكتبته الخاصة على مدينة طنجة وهي تضم ألوفاً من الكتب القيمة والنادرة، وقد تم افتتاحها باسمه في شارع عمروبن العاص رقم 9 بطنجة.

(9) من مقدّمة الطبعة الأولى لكتاب "النّبوغ المغربي في الأدب العربي"، الصادر في مدينة تطوان سنة 1207 هجرية، الموافق لسنة 1928 ميلادية.

(10) ترجم الكتاب إلى الإسبانية بمعرفة الأستاذين خيرُو نِيمُو كَرِيُّوا وُرْنُونْيِيزْ ومحمد تاج الدين بوزيد.

(11) كانت بلاد المغرب الأقصى مجزّأة بحسب العرف الدولي إلى منطقتين : شمالية تخضع للسيادة الإسبانية ويطلق عليها اسم المنطقة الخليفية، ومنطقة جنوبية تخضع للسيادة الفرنسية ويطلق عليها اسم المنطقة السلطانية بينما كانت طنجة دولية ذات نظام دولي.

(12) كان النشر في جريدة "السّعادة" في عددها ذي الرقم 4592، نقلاً عن صفحة 9 من مقدمة الكتاب في طبعته الثانية السابق ذكرها.

(13) نشر الأمير شكيب عرضاً وتحليلاً للكتاب حين صدوره سنة 1936 في صحيفة (الوحدة المغربية)، الصادرة في تطوان في العددين 224 و 234، المؤرخين في 4 صفر و 26 ربيع الثاني سنة 1360 عن الطبعة الثانية للكتاب الصادرة في بيروت سنة 1961.

(14) انظر ص 18 و 17 من مقدّمة الطبعة الثانية من الكتاب.

(15) انظر نص ما كتبه أمير البيان في مقدّمة الطبعة الثانية المشار إليها آنفاً.

أبيات في رثاء الزميل الفاضل المرحوم
الأستاذ عبد الله كنون

للدكتور الشاعر حسين علي محفوظ،
عضو المجمع من العراق

كان أنموذج الفحــول الأفاضــــل   أريحيّ اللقاء أعـــزّ الشمــائـــل
جمع العلــم والتواضــع والأخـــ   ـــلاق، محضى الوداد، جمّ الفضائـــل
واستطالـــت أشعـــة منــه فــي الآ   فاق وهّاجة الســـراج الشــامـــل
تلك آثــاره على العلــم والحكـــ   ـــمة والفضـــل والذكـــاء دلائـــل
جمعت كلّ مــا يفيــد ومــا ينـــ   ـفع فاستوجبــت ثنـــاء القائـــل
في تضاعيفها من الشـــرق في المغـــ   ـرب برّاقــة الطـــراز مخـــايـــل
عمّــت المغــرب المطــرّز الأنـــ   وار شمساً تمحو الظـــلام الغائـــل
منطـق صائــب وعقــل رزيـــن   تتلاقى في ذروتيـــه المســـائـــل
وإذا الناس أدركـوا غايــة المجـــ   ـد شأهم من قـــال إنــي فاضــل

***

أنا ودّعت منــه خـــلاً وفيّـــاً   وصديقاً بالحــبّ واللطـف حافـــل
وقريباً يُنمي إلى الحســن الســبـــ   ـط وطوبى علاء هـــذى الفضائـــل

لفَّ عرقي بعرقـــه حســـبٌ عـــدٌ   وعلم غمـر، وفضـــل، ونائـــــل
هو من عشـرة النبـــيّ وأمّـــــي   من بنات الرســـول فخـــر القبائـــل
نسب المصطفـــى تعالـــى رقيّــــاً   أين من كاهليــه بكـرٌ ووائـــــل

***

أنا لاقيتــه زمانـــاً تجلّـــــى   في تراويحه الصديـــق الكـــامـــل
واصطحبنا حيناً من الدهـــر كان الـــ   ـوقت فيه حلـــي الزمـــان العاطــــل

***

لفّعته في قبـــره رحمـــة اللّــــــ   ـه، وحفّ الرضـــوان تلك الجنـــادل
وسقت تربـــة الغـــوادي ملثّـــــا   تٍ، وروى ثـراه هامـــي الهواطـــل

لم يبق من أرثيه بعدك ..!

شعر الأستاذ السيد عبد الغني سكيرج

رثــاؤك عنـدي للأنـام رثـاء ومنْعاك منعى للنّفُوس عناء !
وفقـدك فقـد للحجـا وتُراثِـه ورجـع صـدى لـم يحْتملـْه فناء
ورزْؤك رزءٌ لا يقـاس بمثلـه مصَـابٌ، ولايأتـي عليـه عَـزاء!
ومنْـاك عـن كـل مـواطـن أنّـة تَضيـق لهـا الأرجـاءُ ، وهي فضاء !
ففي النيل إيـلامٌ، وفـي ... (بَرَدى) أسـى وفـي القـدس والزّوْرا عليك احتـواء (1)
فقـد كنـتَ للدّنيـا وللديـن حِليـة تُسَـرّ ، وفيـه إن أسـيء تسـاء !
وحيـداً ، كمِشكـاة الدُّجـى متألّقـاً وقـد جـنّ ليـلٌ وواستُعيـد ضيـاء..
فمثلـك فـي الافـاق عـزَّ نظيـرُ، ومثلـك لا يرْقـى إليـه رجـاء !
ومنك ارتـدَى هـذا الشّمـالُ رُوَاءهُ ! وفيـك انطـوى ، يوم الرحيل ، رواء !
ولـم يبـق مـنْ أرثيـه بعـدك جاهـداً تُـردّي جسُـومٌ ، أو يصَـاب ثـراءُ ... !

* * *

بقيـة عهـد سالـف متنضـر ومطمـع جهـد ، لـم تشبـه ريـاء
وموئِلُ امال ، وصنْوُ أجلّـةٍ ونضْـوُ نضـالٍ لـم ينلـه عيـاء (2)
ومضربُ أمثال لجيل تصرّمتْ عهـودٌ لهـا فـي السّالفيـن مضـاء (3)
وبغيـةُ نفـس لـم تُغرّ بزائف وكـم غـرّ جـاهٌ واستَحـلّ رخـاء ... !
من النّفر البِيض الذين وجُوهُهُـم نقـاءٌ ، وكـم فـات الوُجـوهَ نقَـاءُ ... !
وكـم قـد رأتْ عينـي ولـمْ تـرَ محفِـلا وحشْداً ترامـى قدْ عناه بكـاء

يسير بنعْش قدْ حوى مجْد أمّة كريم من المولَى عليه رِداء
تَراءى لذي عينيْن يكبر قدْره ترآى بعيدا ، شعّ منه ضِياء (4)
تراقَص في بُرديْن : بُرد ذكاء ما حكاه ذكاء
ترى كيف يسْمو في خُطى سُبُحاته إلى أنْ بدا نجمًا حوتْه سماء !
فأيْنعَ -إيناسًا - وفجّر حكمةً وقاد حصاةً للجُناة جلاء (5)
فلوْ لمْ يكن جِسْما لأصبح فكرة ولوْكان فكرًا ضاق عنه فضاء !
ولولا اعتلال كان سفرا مقدّسا تسيرُ وتسْتهدي به العظماء ! لعمرك ما الدنيا
سوى ملْهم بها أراح النُّهى ، أو ساد منه هناء !

* * *

رفيق النّهى والطرسِ يُجهد نفْسه لينْعم فكرٌ ، أو يروُق سناء
حنانيْك ! ما ألقى سوى ما يسوْني وغير الذي لا يرْتضيه إباء ... !
فلمْ أرَ ما يُرْضي الحجا ويسره صفاء ، وأمنًا ، والسرور صفاء !
فمن بعد للآداب والحلم والتُّقى وناصح فكر يحتليه حياء ؟
ومن بُعْد يرْقى (للنبوغ) يصُوغُه وقد ساء خُرْقٌ ، واستشاط هُراء ...
ومَنْ (المشَاهير) صدعتْ بذكرهم جفُون غفت عنهم وعفى عفَاءُ
ومَن ليراعٍ لا تُجف ، وان جفتْ موارد جفتْ واستْحال عطاء
ومن لحصاة تستشفُّ رواهما بليْل ، وليل الخامليْن غناء ... !
و(كنز)حوى كل المعارف والنُّهى ثمين ، عراه من يديْك سخاء (6)
وهلْ ثمّ ما يرضي الفتى عن جهاده وقد نابه مما يراه عناء ... ؟
فقد حدّثونا بالمكارم أنّها لأهل التّقى والكادحين جزاء
ولا رَيْبَ عندي في الفضائل أنّها مثاب ، وفيها جنّة ووقاء
ولا شكّ عندي في النّعيم وأنه وفاء الى أهل النّهى وكفاء
مجال رحابُ النّهى وسماته
على كل وسْم بهْجة ورواء
نزيل الثّرى ، هل يهدأ القلب في الثّرى ؟
ويلْقى الهنا ؟، أم ليس ثمّ هناء ؟!

وأجمـل مـن هـذا وذاك متويـة لهـا بيـن الذاهبيـن بقـاء !
حياتـك فـي هـذي وتلـك تجلـة وحسـنُ بـلاء يقتفيـه ثنـاء
فحسبـك أن تحيـا وتذكـرك الـورى وتمضـي فترثـي ، والرثاء وفـاء !

عبد الغني سكيرج

*) القصيدة التي ألقيت بمنزل الفقيد في ذكراه الأربعين (1) بردي : نهر بالشام ، والزوراء مدينة بغداد. اذ كان المرحوم عضوا في المجمع اللغوي في كل من القاهرة ودمشق وبغداد وغيرها.
2) صنو اجلة إخوانه الزعماء الوطنيين. 3) كان المرحوم عبد الله كنون خير من يمثل العهد السلفي الصالح. 4) للحقيقة والتاريخ أن موكب الجنازة ، تلاحق وتلاحق ، ومع ذلك فلم يدرك الأخير منه الأول عند الدفن ، مما يدل على مكانة الفقيد في نفس كل مواطن. 5) اشارة الى أول مدرسة حرة أسسها بطنجة وتخرج منها عدة أفواج التحقوا بمختلف الجهات والنواحي العلمية. 6) الكنز الثمين : خزانته العلمية التي أوقفها على طلبة شمال المغرب ليعم النفع بها.

رائـــــد الجيــــل

شعـــر الأستـــاذ السيـــد أبـــي بـكـــر اللمتونـــي

دعـوه مؤرقا يبكـي الصّحـابـا بحسْـب المرء فقدهـم عـذابـا
ومـا مـن صاحـب ينـزاح الا ويبقـى عيـش صاحبـه يبـابـا
فكيـف ومـن عليـه العتْب يشكـو بعبد اللـه كنـون المصابـا
لـواء الحـق والعلـم المجلّـى لمن ضـلّ الحقيقـة والصـوابـا
تمـرّس بالجهـاد فتـى وكهـلا وقضّى الشّيـب فيـه والشـبابـا
وكـابد من مكائـده البلايـا وعانـى الاضطهـاد والاغترابـا
فلـم يرهـب للاستعمـار بـأسـا ولـم يحسب لشـوكته حسابـا
وكـان مبرزا فـي كـل علـم كـأن اللـه شـقّ لـه الحجابـا
تكـاد تـرى لـه في كـل فـن حديثـا أومقـالا أو كتـابـا
وتيّمـه التّـراث فعـاش يجلـو وينفـض عـن دفائنه الترابـا
ولـم يـك محْض أستـاذ يـدنّـي لطالبه مـن العلـم اللّبـابـا
ولكـن كـان فنّـانـا يعانـي ليبتـدع الوسيلـة والخطـابـا
وأورثـه قيـام الليـل سمتـا وسـرّاً لا يحاط بـه عجـابـا
فكنت إذا نظـرت إليـه عفـوا تميـل لـه وتنجـذب انجذابـا
ولا تـدري لطيبـة أصْغـريْـه أتجني منـه علمـا أم رضـابـا
أرائـد جيلـنا منذ غبـت كدْنـا نعـد النـاس كلّهـم غيـابـا
ستفتقـد الحنيفـة فيك دِرْعـا يصدّ النّبل عنها والحرابـا
ويذكـرك المحقـق إن تصـدّى ليكشف عـن محجّبـة نقـابـا
ودقّ علـى الحقيقـة كـل بـاب فلـم تفتـح لـه الأفهـام بـابـا

مقامك كان بستانا خصيبا يفيض يمن يوافيه رحابا
رتعْنا فيه دهرا واجتنينا ثمارا من مجانيه عذابا
وقد حال الذي كنا عهدنا كأنّ عهودنا كانت سرابا
وكنت أباً نحصّل كل غال على يده ونجتاز الصّعابا
وكنت تُجيبنا عن كل خاف فممّن نطلب اليوم الجوابا ؟
أعبد الله لو جاز التشكي إليك لقلت : لا تُطل الغيابا
ولكن أنت عند الله ضيف وضيف الله لا يبغي إيابا

التـــعـــــازي

برقيات ورسائل التعازي في الفقيد

أول ما نفتتح به هذه المواساة الوطنية العامة في الفقيد المرحوم عبد الله كنون الحسني مواساة مولانا أمير المومنين جلالة الملك الحسن الثاني أعزّه الله وأبقاه ذخراً للبلاد والعباد. فقد أرسل حفظه الله وفداً رسمياً لحضور مراسيم تشييع الفقيد، وكان الوفد مكوناً من السيد مستشار صاحب الجلالة الأستاذ أحمد بنسودة ومؤرخ المملكة الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور ووزير الأوقاف الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري والعلاّمة الشيخ المكي الناصري، رئيس المجلس العلمي بالرباط، والعلاّمة محمد بن عبد الله العلوي، رئيس المجلس العلمي بالدار البيضاء، والعلاّمة مولاي مصطفى العلوي، رئيس المجلس العلمي بمكناس. وفي جوّ من الخشوع تلا الأستاذ أحمد بنسودة رسالة جلالة الملك وقدم وسام الكفاءة الفكرية إلى عائلة الفقيد، وكان الموقف موقف تأثر كبير ودعاء شامل لجلالة الملك بطول العمر والعافية التامة وكمال السؤدد والعز.

تعازي الوفود

تقديراً للفقيدالعلامة عبد اللـه كنون ، حضر إلى منزله بطنجة قصد تقديم التعازي فيه لأسرته :

- وفد حزب الاستقلال برئاسة الأمين العام الأستاذ محمد بوستة والمجاهد الكبير الأستاذ أبو بكر القادري.
- وفد حزب الاتحاد الاشتراكي برئاسة الأستاذ محمد اليازغي.
- وفد حزب التقدّم والاشتراكية برئاسة الأستاذ علي يعته.
- وفد من جمعية الجماعة الإسلامية من طنجة.
- عشرات الشخصيات بصفتها الفردية.

تعازي الأحزاب الوطنية
والجمعيات الإسلامية والثقافية والنقابية
والمنظمات والجماعات

من الرباط السادة :

- محمد بوستة، الأمين العام لحزب الاستقلال
- المعطي بوعبيد، رئيس حزب الاتحاد الدستوري
- محمد العنصر، الأمين العام للحركة الشعبية
- الدكتور عبد الكريم الخطيب، رئيس الحركة الشعبية الدستورية والديمقراطية
- الدكتور يوسف الكتاني، رئيس جمعية الإمام البخاري
- محمد الأشعري، رئيس اتحاد كتّاب المغرب
- د. محمد فاروق النبهان، مدير دار الحديث الحسنية
- عبد الجليل بن الحاج - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم
- أمادو مختار امبو، المدير العام السابق لمنظمة اليونسكو
- الأستاذ عبد الهادي بوطالب، رئيس منظمة الإيسيسكو
- الأستاذ الهاشمي بناني، مدير منظمة العمل العربية
- الدكتور ادريس الضحاك، أمين المنظمة العربية للدفاع الاجتماعي

- السيد عبد القادر العلمي، الكاتب العام للشبيبة الاستقلالية
- الدكتور عبد الحق منطرش، عن النقابة الوطنية للتعليم العالي
- السيد مولاي مصطفى العلوي، رئيس رابطة علماء المغرب والسنغال
- جعفر بن عجيبة، نقيب شرفاء آل بنعجيبة.

من الدار البيضاء السادة :

- الأستاذ عبد العزيز بنزاكور، رئيس سابق لجمعية المحامين بالمغرب والاتحاد الإفريقي للمحامين
- الأستاذ محمد بن عبد الهادي القباب، رئيس جميعة هيآت المحامين بالمغرب
- الأستاذ محمد الودغيري، نقيب هيئة المحامين بالبيضاء.

من تطوان :

- الأستاذ العافية العياشي عن جمعية الاعتصام بحبل الله ونشر الدعوة الاسلامية

من أصيلة :

- السيد أحمد الشرادي، عن رئيس المجلس البلدي بأصيلة.

من طنجة السادة :

- عبد الرحمن المرابط، الرئيس المنتدب لجمعية البوغاز بطنجة
- الدكتور محمد بيروك، مدير المؤسسة العربية للتشغيل.

من المملكة العربية السعودية :

- فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز رئيس إدارة الافتاء والبحوث والدعوة

من باكستان :

- فضيلة الشيخ غازي حسين أحمد أمير الجماعة الاسلامية بلاهور

من الأردن :

- الدكتور ناصر الدين الأسد رئيس مؤسسة آل البيت - مجمع اللغة العربية بالأردن
- الدكتور محمد عدنان البحيث عميد البحث العلمي بالجامعة الأردنية
- الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية بالأردن.

تعازي الوزراء والسفراء والعمال والكتّاب العامين ورؤساء المصالح

من الرباط السادة :

- محمد القباج، وزير الأشغال العمومية والتكوين المهني وتكوين الأطر.
- عبد الله الأزماني، وزير التجارة والصناعة
- عبد السلام بركة، الوزير المكلف بالعلاقات مع البرلمان
- محمد بنعيسى، وزير الثقافة
- الدكتور الطيب الشكيلي، وزير التعليم
- الدكتور منير زهران، سفير جمهورية مصر
- أبو مروان، سفير دولة فلسطين بالمغرب
- زهير الشلي، سفير الجمهورية التونسية بالرباط
- علي ماجد قباني، سفير المملكة العربية السعودية.
- الدكتور عبد اللطيف بربيش، أمين السر الدائم لأكاديمية المملكة المغربية
- محمد بنجلون، المندوب السامي لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير
- الدكتور محمد البرنوصي، عامل ملحق بوزارة الداخلية
- محمد الحجوي الثعالبي، مدير التعليم الأصيل بوزارة التربية الوطنية

ـ عمر بنشمسي والي عمالة الـربـاط

ـ محمد بن الخياط، المدير العام لمكتب التنمية الصناعية

ـ مصطفى شفيق، رئيس المجلس الإداري للصندوق الوطني الاجتماعي

ـ عبد الحميد جسوس، الكاتب العام لوزارة الشبيبة والرياضة

ـ عبد الإله كاديلي، مدير الإصلاح الإداري، منتدب لدى الوزير الأول

ـ مصطفى فارس، الرئيس/المدير العالم للبنك الوطني للإنماء الاقتصادي

ـ جسوس عبد الحميد، المراقب العام للأمن الوطني

ـ محمد أرسلان الكاتب العام لوزارة الثقافة

من الدار البيضاء :

ـ السيد المهدي الطاهري، الكاتب العام لعمالة ولاية الدار البيضاء.

من فاس :

ـ الدكتور ادريس العلوي العبدلاوي، رئيس جامعة القرويين.

من كلميم :

ـ السيد الحاج عمر أكوداد، عامل إقليم كلميم.

من سطات :

ـ السيد الحسن وشن، عامل إقليم سطات.

من بني ملال :

ـ السيد أحمد أمجاد، عامل إقليم بني ملال

ـ السيد المستقي صالح، رئيس ديـوان العامل

من الرياض :

ـ السيد الشيخ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع، وزير الحج والأوقاف بالسعودية.

من مصر :

ـ الدكتور محمد علي محجوب، وزير الأوقاف بجمهورية مصر

ـ الدكتور ابراهيم مدكور، رئيس مجمع اللّغة العربية بمصر.

من عمان :

ـ السيد محمد فرج الدكالي، سفير المغرب بعمان.

من تونس :

ـ السيد الشاذلي القليبي، الأمين العام لجامعة الدول العربية.

من مكة المكرمة :

ـ الدكتور عمر عبد الله نصيف، الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

تعــازي الأفـــراد

من الناظور :

ـ السيد مقدم أبو زيان، رئيس المجلس العلمي بالناظور.

من شفشاون السادة :

ـ الأمين الريسوني
ـ عثمان مصباح، محامي
ـ الحاج محمد أصبان (برقية مشتركة فيها علي الريسوني ومصطفى أصبان ومحمد الرقيوق)
ـ محمد الرقيوق، أستاذ
ـ محمد البشير الريسوني
ـ السيدة أم كلثوم الرقيوق، أستاذة

من وزان :

ـ السيدة بن الهاشمي فاطمة
ـ محمد بن عبد الوارث العمراني
ـ حسن ابراهيم

من تطوان السادة :

ـ بن يعيش ادريس، محامي
ـ مصطفى أبغيل، واعظ بتطوان
ـ عبد السلام الشرقي
ـ محمد زيوزيو
ـ محمد البازي
ـ ادريس الفيلالي بوخريص، قائد المقاطعة الحضرية الرابعة بتطوان
ـ عبد القادر البراقي
ـ محمد شارية، الرئيس الأول بالمحكمة
ـ مصطفى حلمي، الوكيل العام للملك
ـ مالك بنونة، أديب
ـ عبد القادر العافية، من العلماء
ـ مصطفى الشعشوع
ـ السيدة فاطمة حجاج
ـ السيدة فاطمة محمد الريسوني
ـ آمنة الريوسني
ـ الدكتور عبد الله العمراني

من طنجة السادة :

ـ أودولف ف. ديازدي فيلاسكو
ـ السيدة فريدة الريسوني
ـ الحاج عبد الله العمارتي، محافظ الأملاك المخزنية بطنجة
ـ حيا خالد الصباح، من وجهاء الكويت
ـ شعيب حمدوش.
ـ امفايث المودن، من العلماء
ـ بوشعيب الإدريسي البويحياوي، مدير مدرسة الملك فهد العليا للترجمة

- عبد الله أمقران، مدير المركز التربوي الجهوي بطنجة
- ابراهيم السملالي، محامي
- عبد العزيز الشعايري، محامي
- عبد السلام البقاش، واعظ
- الحاج الطاهر الشافعي
- مصطفى ساتور، موظف بالجمعية الخيرية بطنجة
- أندري ب. ريكورنو
- كلود دو لاكيرنكو
- ميشيل سكوت.

من القصر الكبير، السادة :

- أخريف محمد
- مومن مصطفى، نائب رئيس الملجس البلدي
- الفاسي عبد الحميد.

من القنيطرة :

- السيد حسن الكتاني، محامي.

من سلا :

- السيد الحاج الناصري الشياظمي.

من الرباط السادة :

- الأستاذ عثمان جوريو، مدير مدارس محمد الخامس بالرباط
- محمد الدويري، الأستاذ المجاهد
- الصديق معنينو، من وزارة الإعلام
- محمد الحبيب البكوري

- محمد العباسي، من رجال الأعمال ورئيس الغرفة التجارية بطنجة سابقاً
- محمد أحمد اشماعو، أستاذ وأديب
- بوعشرين عبد السلام، أستاذ
- علي الغالي الريسوني، محامي
- محمد الصديقي، محامي
- محمد بن الطيب أزروال من العلماء
- محمد الخضر الريسوني، أديب ومنتج بالإذاعة الوطنية
- د. عبد الهادي التازي، عضو أكاديمية المملكة المغربية
- حسن مكوار، عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية
- الداي ولد سيدي بابا، برلماني
- عبد الحكيم بركاش، صيدلي
- محمد المنوني، أستاذ جامعي
- عبد الحق غزييل، موظف بالتعاون الوطني
- السيدة المريني نجاة، أستاذة جامعية.
- زين العابدين الكتاني، عضو بالديوان الملكي
- المهدي الدليرو، موظف بوزارة الثقافة
- المهدي بنونة وزوجته خديجة السلاوي
- محمد مولاطو
- أحمد مدينة
- مومن العراقي
- محمد بهاء الدين الأيادي وأبناؤه
- أمين الإسماعيلي، أستاذ الدراسات الإسلامية
- مصطفى القصري وزوجته فاطمة
- هشام العلوي البلغيثي، من العلماء
- حسن الصقلي وأمينة الصقلي
- اليعقوبي سوسان عابد.

من البيضاء السادة :

حسن أمين الهلالي عضو رابطة العلماء

- عبد اللطيف الوزاني، من رجال الأعمال
- أحمد باكو، محامي
- عبد الله الحريزي، المدير العام للشركة الشريفة للتوزيع والصحف شويسبريس
- محمد عبد الخالق الطريس - شركة قرض التجهيز المنزلي
- عبد الرحمن القباج، مدير إعدادية الفداء
- عبد السلام العبدلاوي، محامي
- عبدضاري عبد اللطيف الحداوي، من الوعاظ
- عبد الله الولادي، محامي
- الإدريسي مامون
- أحمد درداب
- محمد بن الطالب الجواهري
- عبد الفتاح بن البشير
- أحمد النجاعي
- ادريس أبارودي
- الوزاني حمزة، أستاذ طبيب
- محمد برادة وزوجته
- سعيد بنسودة، المدير العام لبنك التجارة الخارجية
- ياسين بنمسعود اللفت، الخطوط الجوية الملكية
- برادة محمد، محامي
- عبد اللطيف الجواهري، المدير العام لبنك التجارة الخارجية
- محمد عمور، وزير سابق
- محمد فوزي، من العلماء

ـ الحاج قاسم الطاهري
ـ حسني محمد
ـ مولاي مسعود الحاج المامون
ـ محمد الدكالي
ـ محمد المهدي وكنزة الطريس
ـ محمد الحمداني
ـ هدى العبودي
ـ مصطفى الحاج ناصر
ـ شعيب حميدوش
ـ ارحيمو الجواهري
ـ عبد القادر رفهي العلوي، مستشار بمحكمة الاستئناف
ـ رشيد بن المختار بن عبد الله
ـ سيمون كوهن.

من المحمدية :

ـ محمد الكنوني، أستاذ
ـ علال الريسوني.

من سطات السادة :

ـ محمد منصف بوطالب، أستاذ
ـ أحمد أديب، من العلماء.

من بني ملال :

ـ السيد همالي عبد الكبير.

من خريبكة السادة :

ـ ادريس بن عدي
ـ أبو عبد الله البوكيلي، من العلماء.

من أكادير :

ـ السيد المختار الحليمي، مدير الإذاعة الجهوية.

من زكورة :

ـ السيد محمد أهدى، أستاذ.

من الرماني :

ـ عبد السلام الصنهاجي، قائد منطقة الرماني.

من مراكش السادة :

ـ أحمد المصمودي، من هيئة القضاء
ـ المهدي الوافي، عميد كلية اللغة العربية بمراكش.
ـ أباعقيل حسين
ـ أسرة المرحوم العلاّمة الحسن الزهراوي.

من آسفي :

ـ السيد محمد العربي بناني، من العلماء.
ـ محمد الفلكي، موقت آسفي.

من فاس :

ـ محمد بن عيسى السعيدي، موظف بالمحكمة.
ـ المهدي القادري

- عبد الرحمن الفاسي، عضو أكاديمية المملكة المغربية
- محمد عز العرب العمراني، رجل أعمال
- هاشم يعقوبي سوسان، مدير مؤسسة اليعقوبي للأسمدة
- عبد الرحيم الفلالي بابا، رئيس المجلس البلدي بفاس
- فكري بن ابراهيم، عميد الأمن الإقليمي بفاس
- الطيب السراج، من العلماء.

من مكناس السادة :

- محمد بن عبود، من العلماء
- ادريس العلوي البلغيثي
- حسن العبودي
- الملياني عبد الرحمن، مدير إعدادية
- أحمد العبودي.

من وجدة السادة :

- عبد الرحمن الدرفوفي، من العلماء
- أحمد أفزاز، رئيس المجلس العلمي بوجدة.

من بركان :

- السيد أحمد بن عمر، برلماني ورئيس جمعية منتجي الحوامض.

من الخميسات :

- السيد غافر محمد، محتسب مدينة الخميسات.

من تونس :

- السيد أبو القاسم كرو، عضو مجمع اللّغة العربية بمصر.

من القاهرة :

ـ السيد عبد المومن السميحي، مخرج سينمائي.

من باريس السادة :

ـ أحمد بركاش، وزير الأوقاف سابقاً
ـ محمد التمسماني
ـ السيدة لطيفة بن جلون العروي
ـ عابد كنون
ـ عمر أيت أحمد
ـ فريد عبد العلي العبودي.

من إسبانيا السادة :

ـ علال بشر، مدير المركز الإسلامي بمربية بإسبانيا
ـ ادريس كمال التازي، محامي.

من باكستان :

ـ السيد خال حميد، السكرتير الخاص لجمعية العلماء بلاهور.

من الأردن :

ـ الدكتور فاروق جرار ـ مؤسسة آل البيت بالأردن.

من الجزائر :

ـ السيد الشيخ خير الدين.

من لبنان :

ـ السيد حسن الزين، مدير دار الكتاب اللباني.

شكــــر وتقـديــــر

تتقدّم أسرة الفقيد بكامل الاحترام وعظيم الشكر إلى السيد وزير الأوقاف، الدكتور عبد الكبير العلوي المدغري، على ما قدمه من مساعدات وما أبداه من مواساة، سواء بصفته الشخصية أو بواسطة نظارة الأوقاف بطنجة.

كما تتقدّم أسرة الفقيد للسيد عامل صاحب الجلالة على إقليم طنجة، السيد محمد العلج، ومساعديه على كامل الرعاية والاهتمام لسيادته، وتسأل الله أن يجازي الجميع ويجزل لهم الثواب.

الصحافة تتحدث عن المرحوم عبد الله كنون

اهتمت كل الصحف الوطنية الصادرة بالمغرب بالحديث عن الفقيد عقب الاعلان عن وفاته عشية الأحد 9 يوليوز بالإذاعة والتلفزيون المغربي. وأشادت بأعماله العلمية والوطنية. كما تحدثت صحف أخرى من الوطن العربي والاسلامي عن مزايا الفقيد وماترك غيابه عن الساحة العلمية من أثر لا يعوض.

ونثبت فيما يلي مراسلات الصحف والمجلات والدوريات التي عرفت للأستاذ المرحوم منزلته العلمية ودفاعه عن اللغة العربية وقضايا الأمة الاسلامية جمعاء.

نشرت جريدة العلم لسان حزب الاستقلال في عددها 14221 الكلمة التالية

المغرب يفقد واحدا من مشاهير نبغائه
العلامة الأستاذ عبد الله كنون في ذمة الله

علم من أعلامنا الكبيرة، في سماء الوطنية والثقافة والفكر . رائد، فذ، شجاع، في الفقه ، والتاريخ، والنقد الأدبي واللغوي، والشعر، والتحقيق. إنه العلامة الاستاذ عبد الله كنون الذي اختاره الله الى جواره، صباح أمس الأحد بمنزله بقصبة طنجة.

والاستاذ عبد الله كنون من الرعيل الأول في الحركة الاصلاحية السلفية ببلادنا . اشتهر بكتابه «النبوغ المغربي» الذي صدر في ثلاثة أجزاء، والذي يعتبر أول عمل جاد وعميق في التاريخ للأدب المغربي. كما أن له عشرات المؤلفات التي عكست تعدد مناحي التفكير والابداع لديه، نذكر منها سلسلة «مشاهير رجال المغرب» التي صدر منها أربعون جزءا، ومازالت عشرة أجزاء أخرى قيد الطبع منها واحد عن جلالة المغفور له محمد الخامس وآخر عن بطل الريف الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي. كما قام الفقيد بتحقيق ونشر عدد من أمهات الكتب في تراثنا الادبي والفقهي.

ينحدر الاستاذ عبد الله بن عبد الصمد بن التهامي كنون الحسني، الذي ازداد سنة 1909م بفاس، من أسرة علم وصلاح، وكان والده فقيها وعالما من علماء القرويين. وقد أخذ عن والده الكثير. فكان قلم نضال، ولسان صدق، في محافل

الوطنية والاصلاح والدعوة الاسلامية والتجديد. وانتخب عضوا بكل مجامع اللغة العربية، بالقاهـرة ودمشق، وبغداد، وعمان. وكان عضوا في أكاديمية المملكة المغربيـة، بل كان من الذين أسهموا في التنظير ووضـع البرامج لهذه الاكاديمية قبل تأسيسها. كما أنه انتخب ، منذ الاستقلال حتى الآن رئيسا لرابطة علماء المغرب.

وقد تميز الفقيد بالورع والخلق السمح والنفس العاليـة، وكانت خزانته مفتوحة لكل الباحثين ، كما كان قلبه مفتوحا للتوادد والتعاطف مع كل المثقفين الصادقين. وقد حبس خزانته على طنجة، فأصبحت عمومية في السنوات الأخيرة تحمل اسمه. ستقام صلاة الجنازة على جثمان الفقيد ، بعد صلاة الظهر يومه الاثنين، بمسجد محمد الخامس بطنجة، وستشيع جنازته إلى مقبرة المجاهديـن.

تغمد الله الفقيد الكبير بواسع الرحمة والغفران، والهم ذويه الصبر والسلـوان. وإنا لله وإنا إليـه راجعـون.

ونشرت جريدة الاتحاد الاشتراكي في عددها 2166 مايلي :

رحيل العلامة عبد الله كنون، احد رواد الاصلاح والتجديد وشاهد من شهود المغرب المعاصر

ودعت مدينة طنجة، أمس الاثنين في خشوع واجلال وتقدير، شخصية علمية بارزة، ورائدا من رواد التجديد والاصلاح والوطنية، باحثا مرموقا في حقول التاريخ والادب والثقافة العلامة الاستاذ عبد الله كنون. الذي وافته المنية، بعد مرض طويل ، عن سن بلغ الثمانين انفقها في البحث والتأليف والعطاء الثقافي.

ويجسد الراحل ، الجليل، نموذج العالم المغربي المؤمن بالتفتح والحوار والرافض للجمود والتحجر، والمقتنع بجدلية الاصالة والمعاصرة، في ميادين الفكر والعلموالحضارة.

ويدل مساره العلمي ، منذ استقراره بطنجة، قادما مع عائلته من فاس، على شغف كبير بالثقافة، واقبال واسع على المعرفة، وتوجه مبكر الى اغناء الاصيل بكل ما هو حديث ، في الادب والعلم والدراسات الانسانية.

وقد تجاوب الفقيد الكبير منذ نعومة اظفاره، مع حركة الاصلاح والنهضة في المشرق ومع حركة التحرر في المغرب ، مما أهله لكي يلعب دورا يشهد له به التاريخ في التجديد الادبي ، وفي الاصلاح الديني والثقافي، وفي النضال الوطني ضد الاستعماروالحماية.

حارب الطرقية، بالدرس والكتابة والحديث ، وتصدى للجمود والجحود بالمثال والقدوة والسلوك ، وتعرض للمحن على يد الاستعمار ، دون أن ينال ذلك من شجاعته ووطنيته ، وكان في الفترات الحاسمة من التاريخ ، غير ما كان عليه، العديد من المحسوبين على العلم والعلماء وهي كلها خصال شهد له بها اقرانه من رواد العلم والوطنية بالمغرب وخارج المغرب، مثل الزعيم علال الفاسي ، والفقيه المختار السوسي ، والمفكر شكيب ارسلان.

امتداد تجربته الحياتية ثمانين عاما أهلته لكي يكون أحد شهود التاريخ الكبار ، بالنسبة لما عاشه المغرب من أحداث. فقد اضطرته مظالم الحماية هو وعائلته الى أن يهاجر فاس ويستقر بطنجة وحينما كان فتى هزته ثورة الريف وجهاد عبد الكريم الخطابي، مثلما هزه الفعل الاستعماري ممثلا في الظهير البربري ومن أجل مقاومة الاستعمار والتمزق الوطني كان أحد العاملين الاوائل في صفوف الحركة الوطنية بالشمال، بدءا من كتلة العمل ، فكان أن عاش مراحل العمل الوطني ، بخلافاته ومصاعبه ، وروعته في نفس الوقت.

ومنذ البداية وظف علمه وجند قلمه من أجل مستقبل مشرق للوطن وللشعب ، فكان يكتب في المجلات المشرقية والصحف الجزائرية ، من موقف العالم الوطني المصلح واعيا بأن مسؤوليته السياسة الوطنية هي التي توجه نشاطه الادبي والثقافي.

ومهما اختلف آخرون معه في أفكاره السياسية ، فهم لا ينكرون فضل الرجل المتميز على الأدب المغربي ، والثقافة المغربية عموما ، كما لا يجحدون دوره الوطني ، ومواقفه المشرقة ، في الظروف الحالكة، هذا اضافة الى تسليم الجميع له بالنزاهة والوداعة والتسامح وتواضع أهل العلم.

من هذا كله كان لوفاته صدى واسع بين جميع الاوساط، وفي كافة المحافل وبالنسبة لمختلف الاجيال، سواء منها تلك التي عايشته وعرفته عن قرب ، أو تلك التي قرأت له، وقرأت عنه. ونظرا لمكانة الفقيد البارزة، في تاريخنا المعاصر، الوطني والثقافي، فان وفاته، هو فقدان لشخصية وطنية كبرى، ومصاب أليم بالنسبة للشعب المغربي قاطبة.

واننا في «الاتحاد الاشتراكي » اذ نشعر بجسامة المصاب، نتقدم بعزائنا الصادق، الى عائلته الصغيرة والكبيرة مقدرين للفقيد نضاله الوطني والعلمي الذي سيجازيه الله عليه خير الجزاء.

الهم الله عائلة العلامة الراحل الصبر والتحمل، وانعم عليه بالمغفرة والرضوان.

ونشر الملحق الثقافي لجريدة الاتحاد الاشتراكي عدد 287 تحت عنوان

الاديب المفكر الاسلامي
عبد الله كنون يرحل عنا

لقد حفل المغرب على امتداد تاريخه بشخصيات فكرية كان لها الاثر البالغ وهي تساهم في بناء الصرح الفكري للأمة المغربية، وكان من نماذج هذا القرن الراحل العزيز عبد الله كنون. وهو بحق احد اعلام الثقافة المغربية الذين كان فكرهم المتنور يعمل على ترسيخ وامتداد حضور العلم الموسوعي في ذاكرة ووجدان الاجيال الحديثة.

وقد سعدت بمقابلة العالم الجليل عبد الله كنون بمنزله بحي القصبة بطنجة في ربيع عام 1978. حيث كنت يومها اعد رسالة لنيل دكتوراه السلك الثالث في الادب المغربي.

وقد دفعتني الحاجة العلمية لزيارته علني اعثر عنده على مخطوطة من ديوان الشاعر المغربي ابن زاكور.

واتجهت الى منزله بحي القصبة ووجدت ان كل من سألته وأنا في الطريق الوعر الاويد لني على الاتجاه الموصل الى منزل العالم الكبير فعلمت أن محبة الناس البسطاء له لا تعدلها المحبة المثقفين الذين عرفوا او سمعوا عن اخلاقه من مختلف الاجيال. ولما وصلت الى المنزل المتواضع ذي المدخل التقليدي الجميل وكان في القلب خفقان وفي الفم تلعثم قرعت الباب واذا بي أمام مساعد العالم الجليل وكاتبه الخاص وكان الوقت عشية فافصحت له عن مرادي في مقابلة الاستاذ

الجليل عبد الله كنون. فقال لي : انه ذهب الى مدينة شفشاون ليحضر ندوة علمية ويمكنك الرجوع غدا صباحا اذ سيعود الليلة الى طنجة. وهكذا قضيت الليلة في مدينة طنجةوكلى امل في مقابلة الرجل الذي قرأت له الشيء الكثير مما ابدع في الادب، وها ان الفرصة قد واتت لمقابلته شخصيا واستيقظت في الصباح الموالي واتجهت توا إلى حي القصبة، ووصلت منزل العالم الاديب، وقرعت الباب واذا بمساعده وكاتبه يستقبلني ببشاشة فهمت منها امكانية قضاء حاجتي واذا به يأمرني بالدخول وبصحن المنزل وجدت العالم الجليل ينتظرني ورحب بي بعدما عرفت بنفسي، ومن اين اتيت، وماذا اريد. ورحب بي برفق وتودد وامرني بأن أتبعه وصعدنا ادراجا ليدخلني الى مكتبته ونجلس سويا تحوم حولنا الكتب من كل جانب في رفوفها مصطفة وان هي الا لحظة غمرني فيها الخجل والتلعثم حتى بدأت الاسئلة تتكثف في ذهني وتتوالى محاولا صياغتها وهكذا امتد النقاش وتشعب فكنت المثير للسؤال وكان المجيب العميق عن دراية وتمكن فمن رأيه في الأدب بصفة عامة والشعر بصفة خاصة الى السلفية المغربية المتنورة التي كان احد اقطابها حيث عمل بدوره على محاربة الشعوذة والطرقية الجامدة حتى يبقى الاسلام في المغرب صافيا من كل المعوقات التي تجعل اهله يهيمون في قافلة التخلف.

وقد وقر في ذهني سؤال عن السر في اهتمام العالم الاديب بالادب اكثر من اهتمامه بالحقول المعرفية الذهنية الاخرى كالفقه ... الى جانب اهتمامه النظري - طبعا - بقضايا الاسلام والمسلمين العقدية ، فوضعته عليه، واذكر انه - رحمه الله - انشرح صدره اكثر لهذا السؤال - وبرز هذا الاهتمام البالغ للادب دون ان يبقى في مستوى عالم الحاشية والترديد لكونه كان يحتك منذ شبابه الاول ببعض اصدقائه من ذوي الثقافة المزدوجة والعقلية المتنورة مما دفعه إلى أن ينكب على قراءة ما ترجم إلى العربية من الاداب الاجنبية حتى يطلع على التجارب الانسانية في الاداب الاخرى بالاضافة طبعا الى ثقافته المتينة التي تمتح من الذاكرة التراثية. وقد ضرب لي مثلا عن الذين يفخر بصداقتهم احد الفلاسفة المغاربة يعمل بمنظمة اليونيسكو بباريز فهمت من ذلك انه المفكر المغربي سي ناصر. وفي هذا السياق اخبرني - رحمه الله - انه توصل من علماء المان بخطاب مفاده انهم يهمون بكتابة موسوعة إسلامية أو الزيادة في مجلداتها (لا اذكر بالضبط) يعرضون عليه

مساهمته في المشروع على ان يتكلف هو بتغطية المادة التي تخص شمال افريقيا . وقد كان يومها يدرس الاقتراح ولست ادري الى اليوم الى اين وصل هذا المشروع ، وهكذا تفتحت لي شهية الحديث اكثر مع الشيخ الجليل والاستماع الى دره، مما كان ينسيني شرب الشاي وأكل الحلوى اللذين احضرا بعيد دخولنا المكتبة «فكان ينبهني من حين لاخر لشرب الشاي واكل الحلوى. وبعد حوالي ساعة ونصف من الجلوس والحديث وشرب الشاي وقفنا ليدلني على نفائس خزانته التي تمتلئ بها الرفرف، فمنها الدواوين القديمة والحديثة، وهناك الموسوعات، وفي اعلى كتب الفكر الاسلامي، وفي أسفل المجلات والمطبوعات والمخطوطات ... وأخيرا اعطاني مخطوطة الديوان وقال لي عليك بتصويرها وارجاعها حتى تبقى للذي ياتي بعدك. واستأذنته في الخروج وودعني بكل رفق ومودة. ويومها وانا ابن السادسة والعشرين ارتسمت في ذاكرتي ووجداني شخصية هذا الاديب العالم الجليل وتعمق في حنايا قلبي الشعور بالافتخار والاعتزاز بهذا الوطن وبما يعطي من نماذج انسانية ومشاعل نور على طريق التحرر والبناء والتشييد من أجل الحاضر والمستقبل.

ولما ارجعت له المخطوطة بعد تصويرها وانا اهم بتوديعه قال لي عليك ان تعلم ان مكتبتي هي مكتبة كل الشباب المغربي فلا تتردد في زيارتي متى شئت. وودعت الرجل الذي وفي بوعده ووهب مكتبته في حياته لكل شباب المغرب الطامح الى التثقيف من خلال الشباب المثقف لمدينة طنجة. وهكذا رحل عنا الاستاذ عبد الله كنون بعدما ترك النموذج والمثال في البساطة والاخلاق والعلم فرحمة الله عليه رحمة واسعة واسكنه فسيح الجنان.

العربي الحمداوي

ونشرت جريدة النضال الديموقراطي لسان الحزب الوطني الديمقراطي في العدد 1525 العبارات التالية

العلامة سيدي عبد الله كنون في ذمة الله

انتقل الى عفو الله المرحوم بكرم الله شيبة الحمد الفقيه العلامة سيدي عبد الله كنون، بعد مرض عضال لم ينفع فيه علاج.

وقد اشتهر الفقيه بمواقفه الوطنية النبيلة النبيلة حيث اوقف حياته لخدمة دين الله الحنيف، وشارك بكل بسالة وبطولة في معركة التحرير من اجل الاستقلال وقد وضع عدة مؤلفات هامة في الادب المغربي

وبهذه المناسبة الاليمة نتقدم باحر التعازي إلى اسرة العلامة الفقيد سائلين المولى جلت قدرته ان يتغمده برحمته الواسعة ويسكنه فسيح جناته ويبوئه مقعد صدق مع النبيئين والشهداء والصديقين وحسن اولئك رفيقا ويلهم اهله وذويه الصبر والسلوان وان لله وانا اليه راجعون.

كما نشرت جريدة رسالة الأمة لسان الاتحاد الدستوري في عددها 1949 ما يلي :

العلامة الاستاذ عبد الله كنون في ذمة الله

توفي يوم الاحد بمدينة طنجة العلامة الكبير الاستاذ عبد الله كنون رئيس رابطة علماء المغرب عن سن تناهز 80 سنة وذلك بعد مرض الزمه الفراش لمدة طويلة.

ويعد الاستاذ عبد الله كنون من ابرز علماء المغرب وله مجموعة هامة من المؤلفات عكست تعدد مناحي التفكير والابداع لديه من بينها «النبوغ المغربي» الذي صدر في ثلاثة اجزاء ويتناول تاريخ الادب المغربي وسلسلة «مشاهير رجال المغرب» التي صدر منها اربعون جزءا وما زالت عشرة اجزاء اخرى قيد الطبع بالاضافة الى كتب أخرى في الفقه والتاريخ والنقد الادبي واللغوي والشعر.

وينحدر الاستاذ عبد الله بن عبد الصمد التهامي كنون الحسني الذي ازداد سنة 1908 بفاس من اسرة علم وعالما من علماء القرويين.

وقد انتخب الفقيد الاستاذ عبد الله كنون عضوا بمجامع اللغة العربية بالقاهرة ودمشق وبغداد وعمان كما كان عضوا باكاديمية المملكة المغربية ورئيس المجلس العلمي الاقليمي لطنجة.

وتميز الفقيد بالورع والاخلاق الحميدة والسماحة والنفس العالية. وكانت خزانته مفتوحة لكل الباحثين وحبسها على طنجة وهي تحمل اسمه.

وقد اقيمت صلاة الجنازة على جثمان الفقيد بعد صلاة ظهر الاثنين بمسجد محمد الخامس بطنجة وشيعت جنازته الى مقبرة المجاهدين.

ونشرت جريدة الحركة تحت عنوان

المغرب يـودع علما من أعلام المغرب

ودع المغرب يوم الاثنين علما من اعلام المملكة العلامة سيدي عبد الله كنون الذي وافاه اجله المحتوم يوم الاحد في بيته بحي القصبة بطنجة.

وقد حضر مراسم الجنازة وفد رسمي يتألف من مستشار جلالة الملك السيد احمد بنسودة ووزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد عبد الكبير العلوي المدغري ومؤرخ المملكة الاستاذ عبد الوهاب بنمنصور ورئيس المجلس العلمي بالعدوتين الرباط وسلا الشيخ المكي الناصري والعلماء وذلك بحضور عامل صاحب الجلالة باقليم طنجة السيد محمد العلج والمنتخبين والسلطات الاقليمية القضائية والمدنية والعسكرية وشخصيات قدمت من مختلف جهات المغرب وجمهور غفير من سكان طنجة.

وقبل انطلاق موكب الجنازة تلا السيد بنسودة في بيت الفقيد نص الرسالة الملكية المؤرخة بيوم 3 يوليوز الجاري اعلن فيها قرار جلالة الملك بالانعام على سيدي عبد الله كنون بوسام الاستحقاق الثقافي الذي كان جلالة الملك قد كلف بشانه مجموعة من العلماء بتسليمه الى العلامة الراحل في مقر سكناه بطنجة بمناسبة عيد الشباب المجيد.

وتبرز الرسالة الملكية الصفات الانسانية والمزايا الثقافية للمرحوم سيدي عبد الله كنون ومساهمته الكبيرة في النهضة الثقافية بالمغرب ونضاله من اجل تحرير الوطن ومدى اخلاصه وتعلقه بالاسرة الملكية الشريفة وباهداب العرش المجيد.

وبعد تلاوة هذه الرسالة قام مستشار جلالة الملك السيد أحمد بنسودة بوضع الوسام على نعش العلامة سيدي عبد الله كنون تغمده الله برحمته.

وبعد صلاة الظهر وصلاة الجنازة في مسجد محمد الخامس بحضور الوفد الرسمي وعامل صاحب الجلالة وشخصيات اخرى أودع العلامة الراحل في مثواه الاخير بمقبرة المجاهدين بطنجة.

ونشـرت جريدة الطريق الاسبوعية بعنـوان

رحيـل صاحـب «النبـوغ المغربي»

فقدت الساحة الثقافية بالمغرب خلال هذا الاسبوع أحد روادها البارزين ، ألا وهو الاستاذ العلامة عبد الله كنون الذي ساهم بشكل وافر وعميق في إغناء الميدان الثقافي. وقد تميز الفقيد بدفاعه القوي عن الهوية الوطنية الاصيلة وتفتحه على الحوار ورفضه لكل أشكال التحجر. كما تكون على يديه في رحاب العلم والمعرفة العديد من التلاميذ الذين تشبعوا بقيم الاصلاح والوطنية والتجديد.

وقد اشتهر العلامة عبد الله كنون بالعديد من الكتب من بينها « النبوغ المغربي» الصادر في ثلاثة أجزاء و«مشاهير رجال المغرب» في خمسين جزءا ظهر منها حتى الآن أربعون جزءا.

ونشرت جريدة الاصلاح الاسبوعية مقالا بعنـوان

الشيخ العلامـة الأستاذ عبد الله كنـون
في ذمـة اللـه

صعـب علينـا أن نـرى بـدرا هـوى
ونـرى التـراب علـى سنـاه مهيـلا
صعـب بأن نجد الـذي حمـل الهـدى
أمسـي علـى أعناقـنـا محمـولا

في صبيحة يـوم الأحد تاسع يوليـوز 1989 خامس ذي الحجة 1409 نعيت لكل أذن مسلمة وقلب مؤمن روح العلامة الجليل والنحرير الأصيل والجهبذ الفطحول أستاذ الجيل بلا منازع ومكتشف الثقافة المغربية بـدون دافع شيخ من رضـي ومن أبى الأستاذ عبد الله كنون.

غيـر أن العادة جرت بأن تقوم الدنيا وتقعد وتزبد للاذاعات وترعد إذا مات مغن أو راقص أو ممثل أو رياضـي ولا سيما إذا كان أمريكيا أو أوربيا. وإذا مات علم من أعلام الاسلام في المشرق أو في المغرب قد نسمع خبره بعد يومين أو أكثر وقد لا نسمعه بالمرة هذا كل ما علينا من حق العلماء. وعلى كل حال إننا ننشر هذا المقال متأخـرا عن وقته لأننا جزء من ذلك الكل الذي سلف الحديث عنه، وأرجـو أن يؤخـذ هذا التقديم لدى القارئ مأخـذ التنبيه والاثارة لا مـأخذ العتاب والاغارة.

من هو عبد الله كنون ؟

ولد الاستاذ الفقيد بمدينة فاس من أسرة سنية محافظة سنة 1326 هـ/ 1908 م : حفظ القرآن صغيرا بالكتاب وأتقن حفظ المتون وأجاد رواية الحديث ورواية الشعروذلك في مدينة طنجة. لأن الاستعمار الفرنسي ضايق والده وعمه فانتقل مع أسرته إلى مدينة طنجة، وكون نفسه في خزانة الأسرة معتمدا على نفسه في تحصيل كثير من العلوم فأتقن الفقه والحديث والتاريخ والادب وظهر نبوغه في الشعر وهو في الرابعة عشرة من عمره ثم اشتد ولوعه بالمخطوطات والكتب النادرة وخاصة منها ما يتعلق بالتاريخ المغربي وتاريخ الاسلام. وما أن تجاوز الثامنة عشرة حتى فكر في تأليف أضخم مرجع إلى الآن في تاريخ الأدب المغربي وهو (النبوغ المغربي في الأدب العربي) إلا أن الكتاب لم يظهر إلا بعد الثلاثينيات من هذا القرن فكانت له هزته الكبرى في نفوس المغاربة سياسيا وثقافيا وكان تأثيره في وقته جد راسخ في نفوس المثقفين وفطن له الاستعمار غير أنه لم يستطع له طمسا. ويعتبر عقد الثلاثينيات نافذة كبيرة أطل منها المرحوم عبد الله كنون والناس ظمأى لأمثاله.

عبد الله كنون المفكر

ينتمي عبد الله كنون فكريا إلى المدرسة السلفية. فمن خلال كتابه النبوغ المغربي وغيره من مؤلفاته ، ومقالاته كان الاستاذ عبد الله كنون في صف علال الفاسي، والمختار السوسي ومولاي العربي العلوي، وابن باديس والبشير الابراهيمي ومالك بن نبي وغيرهم من حملة لواء السلفية بالمغرب وهي مدرسة لا يستهان بها فيما يقابل بالشرق مدرسة الاصلاح التي يمثلها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا وعبد الرحمن الكواكبي وغيرهم. وفقيدنا واحد من هؤلاء الذين كانوا لا يرون صلاحا لهذه الأمة إلا بما صلح به سلفها وهو الكتاب والسنة.

عبد الله كنون السياسي

عرف أستاذنا بمعاداته للاستعمار ومناهضته للتدخل الأجنبي في بلادنا فهو يحمل فكر عبد الكريم الخطابي ويدعو إلى محاربة الاستعمار بأية وسيلة. يؤكد هذا أغلب قصائده في ديوانه.

عبد الله كنون المصلح

اتسم فكره بالتواضع والتقرب من كل الناس وبذلك استطاع أن يؤثر في كثير من أقرانه بالدعوة إلى التخلي عن أخلاق الاستعمار ونبذ كل حضارة تنافي أخلاقنا وتقاليدنا الاسلامية والوطنية.

عبد الله كنون المحدث

رغم انشغاله بالتاريخ والشعر والسياسة فإن هذا كله لم يبعد به عن الحديث وعلم الحديث فقد كان رحمه الله حافظا متقنا وعالما رواية ودراية فهو في دروسه الحسنية متميز عن كثير من أقرانه بإتقان القواعد واستنباط الأحكام.

عبد الله كنون الصحافي

ترأس صحيفة الميثاق (لسان حال رابطة علماء المغرب) حتى وفاته، وتعتبر مقالاته مرجعا في كثير من الحقائق التاريخية والفكرية.

وهكذا تجده رحمه الله ناقدا ممحصا وشاعرا فطحولا ومؤرخا محللا ومحققا إلى جانب كونه فقيها مجتهدا، فهو موسوعة فقدنا بموته خزانة لم تجتمع في بيت واحد ولا في بيوت متفرقة.

عمل عضوا في مجمع البحوث الاسلامية وفي مجمع اللغة العربية بالقاهرة ودمشق وبمكة المكرمة كما كان أمينا عاما لرابطة علماء المغرب.

خلف أثارا كثيرة وأعمالا علمية وأدبية منها ما طبع ومنها ما لم يطبع أشهرها (النبوغ المغربي في الأدب العربي) ، (أدب الفقهاء) ، (واحة الفكر) ، (على درب الاسلام) ، (الاسلام أهدى) ، (التعاشيب) ، (العصف والريحان) ، (لوحات شعرية) وهو ديوان جمع فيه أشعاره منذ صباه ، وغير هذا مما لم يصل إلى يد القراء بعد. وحديثنا عن الأستاذ عبد الله كنون رحمه الله لا يستوفيه حقه ولو أنفقنا الأعمار في كتابة الأسفار. فعزاؤنا لأسرته ؛ وعزاؤنا للمغرب.

وعزاؤنا للعالم الإسلامي كله ورحم الله فقيدنا وجزاه عنا أحسن الجزاء وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أبو خالد

كما نشرت جريدة أنوال الأسبوعية تحت عنوان

وفاة العلامة
الأستاذ عبد الله كنون

توفي بمدينة طنجة الأستاذ عبد الله كنون الأديب والمفكر والباحث والمحقق ورجل الدين المتفتح، وبهذه المناسبة الأليمة ننشر هنا تعزيتين لكل من هيأة تحرير أنوال التي فجعت لخبر هذه الوفاة، والأخ محمد الأشعري رئيس اتحاد كتاب المغرب :

في تعزية أنوال :
عبد الله كنون منارة علمية
ستظل تنير طريق الأجيال القادمة

بيالغ الحزن والأسى تلقينا نبأ وفاة العلامة الاستاذ عبد الله كنون، ونحن في هيأة تحرير أنوال إذ نبلغ أحر تعازينا إلى أفراد عائلة الفقيد وأقاربه وكل من نهلوا من علمه الواسع، ومن اقتربوا منه فلمسوا خلقه الكريم وتواضع العالم المتفتح فيه، نؤكد على أن منارة علمية مغربية اسمها عبد الله كنون

ستظل تنير طريق الأجيال المغربية المتعطشة للعلم والمعرفة، وأن الانتاج الغزير لهذا العالم الفذ سيبقى على مر السنين مرجعا ضروريا لكل دارس لفكر وثقافة وتاريخ المغاربة.

رئيس اتحاد كتاب المغرب :

فقدنا علما من أعلام الفكر والأدب في بلادنا

تلقينا بمزيد من الأسى والأسف خبر وفاة العلامة الاستاذ الكبير عبد الله كنون الذي نفقد برحيله واحدا من أبرز وجوهنا الثقافية المعاصرة وعلما من أعلام الفكر والأدب في بلادنا.

إن صاحب «النبوغ المغربي» سيظل في ذاكرة الأجيال المتعاقبة من المبدعين والكتاب والمثقفين رمزا للجهد الثقافي الفذ وللشجاعة الأدبية والأخلاقية، وللصرامة العلمية ونكران الذات.

وبهذه المناسبة الأليمة أتقدم باسمي وباسم كافة أعضاء اتحاد كتاب المغرب بأحر التعازي وصادق المواساة لجميع أفراد عائلة الفقيد.

وإنا لله وإنا إليه راجعون.

رئيس اتحاد كتاب المغرب

محمد الأشعري

ونشـرت صـوت طنجـة الأسبـوعيـة مراسلـة جـاء فيـها

نابغـة المغـرب العـلامـة سيدي عبـد اللـه كنـون في ذمـة اللـه

ودعت طنجة يوم الأحد 5 ذي القعدة 1409 - 9 يوليوز 1989- نابغة المغرب وأستاذ الجيل العلامة الجليل سيدي عبد الله كنون الذي أعطى لبلاده العطاء الكبير وناضل بقلمه من أجل قضايا المغرب والأمة الاسلامية جمعاء. وأثرى بفكره الثاقب حظيرة العلم والمعرفة في عدد من المجالات الأدبية والتاريخية والدعوة الاسلامية وبالاسهام بآرائه في قضايا الأمة العربية والشعوب الاسلامية وصدرت عنه في حياته عدد من التآليف في تلك المجالات . كما نشر مآت المقالات وعشرات البحوث العلمية . ولم تخل مجلة أو صحيفة علمية أو أدبية على مستوى العالم العربي من كتاباته واسهاماته.

وكان العلامة الجليل أحد الرموز المعتد بها في المجامع العلمية بالعالم العربي بدمشق والقاهرة والأردن والعراق ومكة المكرمة.

وفي طنجة أنشأ المدرسة الاسلامية الحرة التي كانت معقلا للوطنية وتخريج أفواج الشباب المتشبع بروح العمل لصالح الوطن وخير البلاد.

ثم أكرم طنجة بتحبيس مكتبته الخاصة على طلبتها ومثقفيها وطلبة المغرب

وباحثيه وهي مكتبة مهمة، بما احتوته من وثائق وما اشتملت عليه من أمهات المراجع المطبوعة والمخطوطة.

ان الحديث عن هذا العالم الفذ لا يمكن أن تستوعبه صفحات أو دراسات مستعجلة ولكن خير ما نحلي به صفحة هذا التعريف بعلامتنا الجليل هو التنويه الكبير الذي شرفه به جلالة الملك أعزه الله في رسالته الملكية السامية بمناسبة انعام جلالته عليه بوسام الكفاءة الفكرية. وأمره أعزه الله بتوجيه وفد رسمي لحضور مراسم تشييع الفقيد الى مثواه الأخير. وكان الوفد مكونا من معالي مستشار جلالة الملك الاستاذ بنسودة والأستاذ عبد الوهاب بنمنصور مؤرخ المملكة ومعالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية الدكتور عبد الكبير المذغري العلوي. والعلامة الشيخ محمد المكي الناصري رئيس المجلس العلمي بالرباط والعلامة محمد بن عبد الله العلوي رئيس المجلس العلمي بالدار البيضاء. وقد تلا الاستاذ أحمد بنسودة رسالة جلالة الملك وسلم الوسام والرسالة إلى عائلة الفقيد. وكان الموقف موقف تأثر كبير ودعاء شامل لجلالة الملك بطول العمر والعافية والسؤدد والعز.

هذا وقد شيعت جنازة الفقيد الى مثواه الأخير في موكب رهيب ضم جماهير غفيرة من الشخصيات والاساتذة والطلبة وباقي محبي الاستاذ كنون ومقدريه. وكان في طليعة الموكب وفد جلالة الملك وسعادة عامل الاقليم ورجال السلطة المحلية وقد أبنه على قبره فضيلة العلامة السيد عبد السلام جبران رئيس المجلس العلمي بمراكش.

رحم الله الفقيد العزيز وأجزل له الثواب وعزاؤنا فيه لأسرته ولرابطة علماء المغرب والمجلس العلمي بطنجة.

وانا لله وانا اليه راجعون.

ونشرت جريدة الاثنين الصادرة بطنجة كذلك هذه المراسلة

العلامة الأستاذ سيدي عبد الله كنون في ذمة الله

توفي الى رحمة الله يوم الاحد 9 يوليوز موافق 5 ذى الحجة 1409 الاستاذ عبد الله كنون عن سن يناهز الثمانين ، وقد شيعت جنازته الى مثواه الاخير يوم الاثنين 10 يوليوز موافق 6 ذى الحجة 1409 بمقبرة المجاهدين بطنجة بحضور السيد أحمد بنسودة والشيخ المكي الناصري ووزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السيد عبد الكبير لمدغري ومؤرخ المملكة السيد عبد الوهاب بنمنصور وعامل صاحب الجلالة على اقليم طنجة السيد محمد لعلج والدكتور الخطيب وبعض رؤساء المجالس العلمية وعدة شخصيات بارزة .

ويعتبر الاستاذ عبد الله كنون عالما اسلاميا مغربيا بارزا وله مساهمات فكرية لها قيمتها العلمية والفكرية اذ ترك عدة مؤلفات في الادب والثقافة والفكر ابرزها كتاب النبوغ المغربي، كما كان للاستاذ كنون نشاطات اسلامية هامة ، حيث ساهم بمقالاته على اعمدة الصحافة الاسلامية والدولية في نشر الوعي والمعرفة وهو المدير المسؤول لجريدة الميثاق التي تصدرها رابطة علماء المغرب.

وقد لعب الاستاذ سيدي عبد الله كنون دورا في اطار الحركة الوطنية من

أجل استقلال المغرب وتوحيد الشمال بالجنوب المغربي.

رحم اللـه الاستاذ عبد الله كنون وصب عليه شئابيب رحمته واسكنه فسيح جناته.

وتعازينا الصادقة الى اسرته وعائلته وعلى رأسهم الاستاذ محمد مصطفى الريسوني والاستاذ عبذ الصمـد العشاب ابني اخته والاستاذ عبد الاله كنون ابن اخيه وسائر أفراد عائلتـه.

وانا لله وانـا اليـه راجعـون.

وتحت عنوان

اللغة العربية تفقد أحد اعلامها الكبار في المغرب

عبد الله كنون :

حياة ثرة في خدمة الفكر الاسلامي العربي

نشرت «جريدة الشرق الأوسط» لمراسلها محمد محمد الخطابي ما يلي في عددها 3892.

في مطلع هذا الشهر فقد العالم العربي عالما جليلا ومفكرا فذا، وشاعرا بليغا، وسياسيا محنكا، ذلك هو عبد الله كنون الذي اسهم بنصيب وافر في التعريف بالتراث الادبي الزاخر في المغرب. ونظرة عجلى على احد اهم كتبه «النبوغ المغربي» تؤكد له هذا الفضل. كان الراحل من المدافعين الشجعان عن الاسلام، وله دراسات واسعة في هذا الشأن. كما كانت له مشاركته الفعلية في الحركة الوطنية منذ تأسيس الرابطة المغربية بالرباط في العشرينيات والتي كانت تعمل تحت اسم مستعار هو «أنصار الحقيقة» حيث كان الفقيد من ابرز أعضائها في طنجة.

لعبد الله كنون اعمال جليلة اخرى رائعة منها على سبيل المثال «التعاشيب» و «واحة الفكر» و «عصف وريحان» و «خل وبقل» ، و «مفاهيم اسلامية» وله كذلك : «ازهار برية» ، و«احاديث عن الادب المغربي الحديث » و«على درب الاسلام » ومن دواوينه : «لوحات شعرية »، كما أن له قصصا تاريخية منها قصة «حارس الكنيسة» بالاضافة الى كتب اخرى في مختلف مجالات الابداع.

كرس عبد الله كنون حياته لخدمة العلم والدراسة والتأليف وكان من الاعضاء

البارزين في مجمع البحوث الاسلامية، وفي مجامع اللغة العربية في كل مكان من : القاهرة ودمشق وبغداد، وعضو اكادمية المملكة المغربية، كما كان، رحمه الله، عضوا في رابطة العالم الاسلامي، وامينا عاما لرابطة العلماء في المغرب. يقول انور الجندي عن اسلوب الرجل النثري : «إنه اسلوب ممتاز بصفاء العبارة وسلامتها من العجمة» واما عن شعره فيقول : «وله في مجال الشعر تراث خصب واكثر من ديوان، وفي قصائده شفافية، وفي نظمه اصالة ورقة فقد ضرب في كل فنون الشعر بنصيب وهو على حد تعبير علي القصبي شعر فيه من القديم، الاصالة والقوة، ومن الحديث الجزالة والعذوبة».

لعبد الله كنون ايضا كتاب كان قد شدني اليه حين قرأته وهو كتاب «أدب الفقهاء» يرد فيه على هؤلاء الذين يزعمون ان أدب الفقهاء هو على العموم ادب ركيك بارد خال من اي قيم جمالية أو بلاغية، وقد اضطلع كنون في هذا الكتاب بدور المحامي البارع القوي الحجة الدامغ البرهان دفاعا عن هؤلاء الفقهاء، فأتى بطائفة من ادبهم وشعرهم وازاح الستار عما في هذا الادب وهذا الشعر من سمو الفكر ورقة التعبير. ومن الفقهاء الذين ترجم لهم في هذا الكتاب : الامام مالك بن انس والامام الشافعي رضي الله عنهما، وعبد الله بن المبارك والقاضي عياض، والزمخشري، وابن حيان الغرناطي، والشريف الادريسي وسواهم.

ولادته وحياته العلمية

قال عنه الباحث العربي المغربي محمد بن العباس القباج في كتابه المعروف «الأدب العربي في المغرب الاقصى» : «عبد الله كنون من خيرة شباب الامة المغربية، يمتاز بالذكاء الفطري ورقة الطبع وكرامة الخلق وصفاء الضمير، ولد بفاس عام ١٣٢٦هـ. ونشأ في بيت علم وصلاح فتعلق بالعلم واعتنى به والده ورباه تربية حرة لا يشوبها تقليد، لما بلغ سن التمييز اعتمد على نفسه في المطالعة والدرس وأكب على دواوين الأدب وقال الشعر وهو في الرابعة عشر من سنه». وأما العلامة عبد الله بن العباس الجراري فيقول عنه في كتابه : «التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين» : «واجمالا فالاستاذ كنون من المثقفين المنتجين وممن تفتخر المعلمة المغربية بانتاجهم العلمي».

وللباحث مصطفى الشليح دراسة مستفيضة نشرتها مجلة دعوة الحق المغربية

عن حياة هذا العالم الجليل تحت عنوان : «عبد الله كنون واثره في الثقافة المغربية»

وتعرض الدكتور ابراهيم السولامي في كتابه : « الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية» للفقيد في عدة مناسبات مستشهدا بشعره ونثره وكفاحه ووطنيته.

اسهامه في حقل الاندلسيات

عبد الله كنون باحث لا يشق له غبار في مجال الأندلسيات وله عدة دراسات وبحوث منشورة في مختلف كتبه وفي العديد من المجلات المتخصصة ففي كتابه : «خل وبقل»، على سبيل المثال، نجد دراسة مطولة له وعميقة حول الشعر العربي في الاندلس كان قد نشر في مجلة المجمع العلمي العربي على اثر انتخابه عضوا مراسلا للمجمع. ففي هذا البحث الشائق عالج ظاهرة التجديد في الشعر الاندلسي مترجما لعدة شعراء انطلاقا من بداية الوجود العربي في الاندلس حتى سقوط غرناطة ١٤٩٢م، كما افرد الحديث في هذا البحث الشائق عن موضوع طريف آخر وهو الشاعرات العربيات بالاندلس فأماط اللثام عن قليل منهن مبرزا مدى عمق شاعريتهن وابداعهن.

وقد نشر معهد التعاون مع العالم العربي بمدريد دراسة ضمن كتاب ضخم صادر عن هذا المعهد بعنوان «الادب والفكر المغربيان المعاصران» باللغة الاسبانية حول اسهامات المرحوم عبد الله كنون في هذا الميدان كما ترجمت بعض قصائده الى اللغة الاسبانية مع نبذة عن حياته واعماله، كما سبق ان نقلت بعض قصائده الى الاسبانية كذلك في كتاب «انطولوجيا الشعر العربي المعاصر» الذي كان قد صدر بمدريد عام ١٩٧٤.

وتقديرا لجهوده في تأليفه للنبوغ كانت جامعة مدريد المركزية قد منحته الدكتوراه الفخرية نظير اعماله.

كما كان المرحوم قد منح وسام الاستحقاق الثقافي في بلده المغرب.

كما نشرت بعددها رقم 3911 لمراسلها السيد محمد بوخزار ما يلي :

عبد الله كنون ... الضمير الأدبي للمغرب تخلى عن المنصب السياسي لصالح السلطة العلمية

حين اطلع الصاحب بن عباد على كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه الاندلسي، اطلق ذلك التعليق النقدي اللاذع، الذي لم يلطف من حدته توالي القرون. قال الصاحب : «هذه بضاعتنا ردت الينا»، وقصده واضح، لا يحتاج الى بيان، فقد نزع ببنت شفة كل اسهام اصيل عن المغاربة، وهم في ذلك الزمن المزدهر ساكنوا العدوتين : المغرب والاندلس.

واذا تلمسنا الاعذار للصاحب بن عباد، فقد يكون قصد التأكيد على الاصرة القوية التي تربط الادب العربي في المشرق والمغرب بما فيه الاندلس، فأتى الثاني استمرارا قوي الشبه بالادب الاصل النابع في مهد الجزيرة العربية، ليست له نكهة خاصة به تميزه!

لا يهمنا ماذا قصده بالضبط الصاحب بن عباد، فكتاب « العقد الفريد» ما يزال كما اراده مؤلفه دليلا ومرجعا وهاديا لكل دارس وباحث عن آثار العرب في الأندلس.

الذي يهمنا إثارته، ان بعض الدارسين والمؤرخين للآداب العربية اعتمدوا قولة الصاحب بن عباد كمسلمة بديهية، فلم يكلفوا انفسهم عناء البحث والتقصي ليتحققوا من جلية الامر.

انتبهت النخبة العالمة صانعة النهضة الثقافية المغربية الحديثة الى هذه «الوصمة» والى غيرها، فاندست في دهاليز المخطوطات، والوثائق والتقييدات منقبة عن ادلة ترد بها على صفعة الصاحب بن عباد، ليس برغبة الانتقام، وإنما لاثبات ان الادب العربي في المغرب الاسلامي، هو في الوقت نفسه استمرار وتأصيل وتجديدله.

لا نريد استحضار المعلومات المدرسية واجراء المقارنات بين التجديد في الشعر العباسي والموشحات الاندلسية وانواع القريض الاخرى التي ظهرت في المغرب، مما تحفل به كتب الاندلسيات.

في مقدمة الذين ابرزوا معالم الهوية المغربية الثقافية المتميزة، يقف العالم الجليل الذي فقده المغرب أخيرا : عبد الله كنون الحسني، الفقيه العلامة الاديب الناقد ذي الذوق المرهف السليم، الشاعر صاحب المقطوعات العذبة، المحدث المتضلع في علوم الدين، الباحث الاكاديمي المتفتح على الثقافات الاجنبية.

كان اول هرم ثقافي شيده عبد الله كنون هو موسوعة «النبوغ المغربي في الادب العربي». وبتأمل العنوان نلمس قصده المعلن والمضمر في نفس الوقت رد الاعتبار لبني وطنه من ادباء ورجال فكر، وكأنه يريد أن يقول : ان المغاربة نبغوا في الادب الذي نهلوا اصوله من اشقائهم المشرقيين ، وهم ليسوا فقط ناظمى متون اضافة الى كل ذلك ادباء بالمعنى الخاص للكلمة، طوروا فن القول العربي، وابدعوا فيه. ألم يكن عسفا اقصاؤهم من كل مرجع في تاريخ آداب العربية؟

كم كان يلزمه من البحث والتقصي والاقناع لاثبات هذه الحقيقة الغائبة عن المؤلفين المتعجلين؟

اذا نظرنا الان الى «النبوغ المغربي» فقد لا نرى فيه سوى ترجمات لادباء وتعريف بآثارهم، ولكن ازاحة تراب النسيان المتراكم على رموز الامة وعلمائها وأعلامها، كان في ذلك الوقت المدلهم (العشرينات والثلاثينات) المهمة الاصعب،

خصوصا وان المغرب لم تتوفر لديه - كما كان الوضع في المشرق في الربع الاول من هذا القرن- النهضة الطبيعية اللازمة لاخراج كل المخطوطات من رفوف البلى. كما ان الذي نذر نفسه لحمل العبء لم يكن متفرغا للتأليف بل منخرطا ايضا في الحركة الاصلاحية التنويرية الداعية للوطن والذين مثل اقرانه : علال الفاسي، المختار السوسي، الفقيه محمد غازي، محمد العربي العلوي، احمد بلافريج، وآخرين.

اكتمل العقد الادبي اذن وتوالت اجزاء النبوغ المغربي، واتبعه بعمل لا يقل عن الاول فائدة ان لم نعتبره تكملة له، الا وهو موسوعة «ذكريات مشاهير رجال المغرب» في اربعين جزءا، صدرت طبعاتها الانيقة في بيروت. واثبتت الايام ان انجاز عبد الله كنون لم يكن فقط من قبيل الحمية الوطنية، بل انصافا للادب العربي نفسه.

الى جانب العمل الادبي الموسوعي، الذي يفترض الصرامة والنزاهة والتأكد من الاشياء الصغيرة والكبيرة وعدم اغفالها لم يهمل عبد الله كنون الموهبة التي كانت مترسخة فيه وهي شغفه بالإبداع نقدا وشعرا، فاصدر كتبا في النقد ذات عناوين ملفتة للنظر مثل «التعاشيب» و«خل وبقل» وهي عناوين تفصح وحدها عن روح التجديد والتوازن الدقيق الذي طبع نفسية الرجل وحياته، فانصت الى كل الآراء وتقبل المستجدات الادبية.

انتج عبد الله كنون وألف في كل ما رآه ضروريا لبناء الشخصية الادبية الوطنية ، ولم يحط نفسه بعدما اصبح عضوا في عدد من المجامع والاكاديميات بسياج المحافظة والتزمت، بل ظل منتبها الى اجيال الشباب الباحثين يزودهم بالنصيحة العلمية والرأي السديدويدلهم على الوثيقة النادرة وسبل الوصول اليها، دون ان يرغمهم على اتخاذ منهج او اعتناق رأي. وربما بسبب هذه السجايا السمحة لم يقبل ان يمكث طويلا في المنصب السياسي الذي اسند اليه مكافأة لوطنيته في بداية الاستقلال (محافظ مدينة طنجة) فاكتفى بالسلطة العلمية التي لم ينازعه احد فيها الى ان فارق الحياة.

واذا جاز ان نختصر، فان عبد الله كنون رحمه الله مثال نادر للعالم المصلح بأوسع معاني الصفتين. امثاله قلة في هذا الزمن العجول، وقراءة فكره واعماله تحتاج الى مجهود آخر.

ونشـرت جريدة السياسة الكويتيـة حوارا كان مندوبها قد أجراه مع الأستاذ المرحـوم وذلك في عددها رقم 187.

«السياسة» حصلت على آخـر حــوار صحفي مع الأستاذ عبد اللــه كنـــون

حفظت القرآن وعمري عشر سنـوات، وشعاري هو«العقلانية» و«الوضوح»

الشعـر رسالة فكرية لاصنعة لغويـة، ولقب «كنـون» عرف كثيـرا في الدولـة الأدريسيـة

انتقـل الى جـوار ربه العالم الجليل والأديب الشاعـر والكاتب الداعيـة، رئيس رابطـة علماء المغـرب، ورئيس المجلس العلمي لمدينة طنجـة العلامـة عبد الله كنون بن عبد الصمد بن التهامي يوم الاثنيـن ٦ ذي الحجة ١٤٠٩هـ الموافق ١٠ يوليـوز ١٩٨٩م عن سن تناهز الواحـد والثمانيـن، وهـو يعاني من مرض الزمـه الفراش مدة ليست بالقصيـرة، ورغـم تنقله الكثير بين المستشفيـات الكبيرة في الداخـل والخارج شاءت ارادة اللـه ان ينتهي أجله وان نفقد عالما مجاهدا صابـرا ...

ولقد انعم اللـه علي بزيارته في منزله بطنجة، وماان جلست حتى طلبت منه حديثا صحفيا، ورغم تحمله لمشقة الألم والمرض الذي يعاني منه، تجسّم فضيلته مشقة اخرى حيث تحدث الي اكثر من ساعة ونصف من الزمن، وهذا ليس غريبا في حق علامتنا فهذه شيمة وخلق معروف ومألوف من فضيلتـه...

فحكي لي فضيلته عن حياته والمراحل التي مر منها سواء على المستوى العلمي والفكـري والسياسي والوطني، وكذا من مجموعة من مواقفه البطولية التي وقفها خدمة للقضيتيـن الاسلاميـة

والوطنية على حد سواء، فكان حديثه بمثابة وثيقة تاريخية شاهدة شهود اثبات على احداث مضت من زمننا واليكم نص الحديث.

أصـــل اللقب

كنون هذا اللقب ورثناه من الجد الأول الذي لقب به وهو سيدي قاسم كنون بن محمد بن قاسم بن ادريس ، اطلقه عليه البرابرة فصاريعرف به هو واولاده ومن انتسب اليه بعد ذلك وعرف كثيرا في الدولة الادريسية الصغيرة التي نشأت بحجر النسر في قبيلة سوماته قريبا من قبيلة بني عروس ، والتي كان آخر افرادها هو الحسن كنون.

المولد والنشأة

اما ولادتي فقد كانت سنة ١٣٢٦هجرية توافق من التاريخ الميلادي ١٩٠٨ وكانت بفاس قبل ان نهاجر منها بنية الاقامة في المشرق الاسلامي اما بالمدينة المنورة واما بالشام ، هذا كان امل والدي يرحمه الله، وذلك لأنه لم يقبل ان يعيش في بلد يسيطر عليه الاجنبي، كان ذلك بعد ابرام عقد الحماية بنحو سنتين، وخرج والدي هو واخوه العلامة سيدي محمد مظهرين انهما خرجا في جولة سياحية فقط وزيارة للأصدقاء والطلبة الذين كانوا يدرسون عليهما بالقرويين، خوفا من ان تمنعهم السلطة الفرنسية سلطة الحماية التي منذ وصولها الى فاس صارت تتصرف تصرفا مكشوفا بما يخالف ماكان الناس يفهمون من عقد الحماية، كانوا يفهمون انها استشارة ومديد المعونة لهذه الدولة التي زلت بها اقدام الدهر، ولم يقع في خاطر احد انها استعمار مكشوف وحكم مباشر، ولما وصلا الى طنجة اقاما بها مدة ينتظران وصول الأسرة لأن منها كان الركوب حينئذ الى الشرق والشرق ما يزال موحدا وخاضعا للدولة العثمانية ولذلك اختارا ان يكونا في دولة اسلامية، ولم يقبلا ان يكونا في ظل دولة اجنبية، تأخرت الأسرة بحكم العلاقات وتصفية المصالح وما الى ذلك لأنه ليس من السهل اقتلاع اسرة كأسرة الوالد ومالها من ارتباطات وكذا اسرة اخيه ومالها من علاقات والتزامات ايضا، فبعد شهور وصلت الأسرة بعد ماباعت ماصح ان يباع وبعدما وهبت ماصح ان يوهب، وبعدما تركت في البيت امورا كثيرة، وكانت بالنسبة للأسرة نكبة كبيرة ولكن في سبيل عدم الخضوع للأجنبي تحملاها مستأنسين بقوله تعالى : «ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة»! كانا قد

حجزا في باخرة ذاهبة الى الشرق لكل افراد العائلة ودفعا ثمن هذه النقلة، لكن لما تأخر وصول الأسرة خرجت الباخرة قبل ان نقدم الى طنجة، فاستردا - طبعا - ثمن السفر الى ان تقوم باخرة اخرى، لكن نشوب الحرب العالمية الأولى في ذلك الوقت منع من تنفيذ فكرة الهجرة وفي هذه الأثناء توفي العم، وورث الوالد الأسرتين الكبيرتين ورعايتهما والنفقة عليهما فتعذر عليه السفر والخروج الى الشرق ولاسيما وقد سقط الشرق ايضا في الحكم الأجنبي فسبب الهجرة نفسه انتفى ، لكن هنا: لطف حقي كان الوالد يرحمه الله يستأنس به دائما وهو ان طنجة كانت مستثناة من عقد الحماية الذي ابرم بين فرنسا والمغرب واسبانيا وفرنسا، وذلك بسبب معارضة بريطانيا لدخول طنجة في اي نظام للحمايتين لأنها كانت تخاف من ان تكون هذه المدينة في يد دولة قوية وهي في مقابلة جبل طارق وعلى فم بحر البوغاز فتكون منافسة لها وكان جبل طارق له قيمة استراتيجية حينئذ ليست له الآن، فكان الاقتراح المطروح هو ان يكون في طنجة نظام دولي، فبقي امر النظام الدولي يتردد سنوات وطنجة مستقلة ليس فيها الا الباشا والقاضي وناظر الاوقاف والمحتسب والولاة الذين كان المغاربة يعرفونهم قبل الحماية، فكان الوالد يقول : «قد حقق الله نيتنا في الهجرة فجعل البلد التي كانت واسطة للهجرة حرة مستقلة».

الدراسة والتكوين العلمي :

هنا في طنجة دخلت الكتاب كما كانت العادة، وفي نحو عشر سنوات كنت قد حفظت القرآن، وجعلت اتعاطى دراسة العلم وحفظ المتون، وكان والدي هو عمدتي في الدراسة لأنه لما جاء الى طنجة لم يجلس يده اليمنى على اليسرى مستريحا، منذ اليوم الاول فتح دروسا في المسجد الاعظم وفي غيره من المساجد كما فعل عمي رحمه الله واحدثا نهضة علمية مهمة جدا، واقتدى بهما بعض العلماء الذين كانوا موجودين في طنجة، وجاء الطلبة من احواز طنجة ومن الناحية الجبلية ومن الريف، وقامت نهضة علمية لابأس بها، بحيث ماكان يدرس في القروين نقل الى هنا، فصار المسجد الاعظم قروين صغيرة فترددت انا على هذه الدروس واخترت منها الكثير، كان لوالدي ثلاثة دروس في اليوم وقرأت على الآخرين مالا يقل عن ثلاثة دروس في اليوم فكان لي ستة أو سبعة دروس في اليوم، هذا بالنسبة للدروس التراثية، اما بالنسبة للثقافة العامة فكان اعتمادي على نفسي اكثر، فكنت اتطلع الى الاطلاع

.والتوسع في المعرفة وكانت الكتب التي تتناول التاريخ والثقافة العامة والأدب وما الى ذلك تصدر عن مصر وعن سوريا وكانت دسمة، ومنها ما كان مترجما عن الأدب الاجنبي في اصوله وفي اعماله الابداعية، فكنت اطلع عليها في ترجمتها، مثل القصص والابحاث والخواطر والمذكرات وما الى ذلك مما كتبه نوابغ وأدباء وكبار انجليز وفرنسيون واسبانيون وطليان والمان وغير ذلك، وكانت همتي في هذا الباب قوية جدا بحيث في بعض الأحيان كنت اقرأ كتابين في اليوم، تفتحت فكرتي على كثير من هذه الآفاق الأدبية والثقافية الى جانب الدروس العلمية التراثية والحمد لله كانت فكرتي تتفتح بما اطلع عليه من افكار وعلوم واداب اخرى غير العربية، فكان ذلك يوحي الى بمعان كثيرة لاتوجد في كتبنا وبتاويلات لبعض النصوص لم يكن الشراح او المدرسون يتعرضون لها وقطعافيها ما كان صحيحا وفيها ما كان ليس كذلك، وانما تمحص عندي بعد التقدم في السن وبعد التجارب، وفي هذا الحين ايضا كنت اطلع على مجلات كثيرة عربية كانت تترجم أو تحكي عن الحركة الفكرية والعلمية والثقافية في الوقت المعاصر بحيث ما يفوق الكتب هي تتلافاه فكنت أعيش النهضة العلمية الموجودة في ذلك الوقت من طريق هذه المجلات، وعلى رأسها مجلة المقتطف والهلال ومجلة الأزهر وغيرها.

بعد ان صرت ازن هذه العلوم وهذه الآداب وهذ الثقافة بعضها ببعض واحكم عليها بما عندي من حصيلة علمية اسلامية فتبين لي ان فيها كثيرا مما ينبغي أن يؤخذ كما ان فيها كثيرا مما لا ينبغي لنا ان نأخذه، ومن المبادئ التي قررتها في هذا الابان ان كثير من علومنا ومعارفنا يجب ان تقدم بتقديم جديد، وان تقوم تقويما غير التقويم الذي كان مقنعا لمن قبلنا، وكانت عندي حاسة العقلانية غلابة على كل الحواس فما لم يقبله عقلي ما كنت اهتم به بل كنت ابحث حتى اجد التعليل العقلي النظري للمسائل التي ينبغي ان اتكلم عليها واقدمها التقديم الملائم للعصر وهذا أيضا مما حصل لي في علم الأدب وفي الشعر والنثر، فأما النثر فاني كنت اكتب كتابات مسجوعة واكتبها بعفوية حيث لا اتكلف لها لأن كثيرا مما قرأت كان على هذا المنوال، فكانت عندي سجية في هذا الباب، لكن رأيت أن هذا الاسلوب لا ينفع وانه لا يصح ان نكتب بلغة مقامات الحريري وما الى ذلك فغيرت الأسلوب بقوة وعمد .. وفي الشعر نظمت كثيرا على منوال الاغراض الشعرية التي كانت تستعمل من قبل، ولكن وجدت ان هذه الأغراض لا مقام لها في عصرنا الحاضر وان

الشعر هو هاجس نفسي وخاطر فني يجب ان يؤدى الى الناس كرسالة من الرسائل الفكرية لا صنعة لغوية وادبية تتعلم ويمارسها الشاعر، فاحرقت واعدمت واهملت كل ما كان عندي من شعر من هذا القبيل، وصرت انظم حينما تسمح لي الظروف شعرا في الأغراض الجديدة التي وجدت شعراء الوقت ينظمون فيها كشوقي وحافظ ابراهيم والزهاوي والرصافي والعقاد اكثر لأن شعره كان ينحو نحو العقلانية التي ذكرت لك انها كانت تسيطر علي مع وسيلة أخرى وهي الوضوح، واعتبرت الوضوح هو من نتائج التحصيل والفهم والاحاطة بالموضوع والفكرة التي يتحدث عنها الانسان فصارت العقلانية والوضوح هي الشعار الذي اتمسك به عندما اكتب وعندما انظم، وقل شعري طبعا لأني اهتممت بالناحية الأخرى وهي الكتابة وانما ألجأ الى الشعر حينما يلح علي الحاحا لا استطيع ان ارده، وهكذا كتبت ما كتبت وانا اقصد بما اكتب نقل ماوصلت اليه من مدارك ومعان الى قارئي بوضوح وعقلانية.

الأعمال العلمية والفكرية والسياسية :

وكنت في كتاباتي الأولى قد كتبت اكثر من كتاب مقلدا به الكتب التي درستها وقرأتها ثم رأيت ان هذا العمل انما هو تكرار لما هو موجود، فصرت بعد ذلك لا أكتب الا ما لا أراه مكتوبا عند أحد، وتركت التقليد والتأثر بغيري، وهكذا كانت كتبي واشعاري، والكتاب الذي يمكن ان احكم به على هذه الكتب كلها هو كتاب تاريخ الأدب المغربي الذي يضمه كتاب «النبوغ المغربي» ومن كتبي شرح الشقمقية، ومنها شرح مقصورة المكودي ومنها التعاشيب وواحة الفكر، وخل وبقل، والعصف والريحان، وازهار برية، واشذاء وأنداء ...

فيها ادب ونقد، وفيها ما يتعلق بالمغرب، وفيها ما يتعلق بالمشرق، ونشرت مقالات في مجلات شرقية والتي منها «مجمع اللغة العربية» بدمشق، المجمع العلمي العربي.. وكان من نتيجة بعض مقالاتي ان هذا المجمع اعطاني العضوية في الخمسينات يعني كانت اول عضوية في مجمع لغوي هي التي جاءتني من دمشق ثم تتابع بعد ذلك مجمع اللغة العربية بالقاهرة ثم المجمع العلمي العراقي ثم مجمع اللغة العربية في الأردن، وهناك من كتبي الأخرى ادب الفقهاء ولقمان الحكيم... وكنت اعمل على الجهتين الأدبية والاسلامية.

ومن كتبي الاسلامية « فضيحة المبشرين» الذي كنت نشرته في صورة مقالات بمجلة الهداية الاسلامية التي كان يشرف عليها الشيخ الخضر الحسين، ثم بعد ذلك كتبت « اسلام رائد» و «مفاهيم اسلامية» وكتبا اخرى نافت على العشرة أو تزيد.

ثم من ناحية احياء التراث نشرت بعض الكتب التراثية كديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، وكذلك كتاب مناهل الصفا للفشتالي الذي كان وزير المنصور الذهبي، الى كتب أخرى محققة كالأربعين حديثا الطبية لعبد اللطيف البغدادي الذي كان عالما وحكيما في نفس الوقت فشرح اربعين حديثا في الطب بنظر طبي وهو كتاب مهمّ جدا فقمت بتحقيقه ونشره...

اما فيما يخص الرحلات التي قمت بها فهي غالبا ماكانت بدعوة من مؤتمرات ومجامع كمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر، وكذا رابطة العالم الاسلامي.

وهذا مع الاشتغال بالتدريس والمحاضرات والدعوة، بالاضافة الى عضويتي في كثير من المجامع العلمية فأنا في داخل المغرب على رأس الأمانة العامة لرابطة علماء المغرب منذ تأسيسها والى الان ونصدر جريدة الميثاق، وكذلك عضوية الأكاديمية المغربية، ورئاسة المجلس العلمي لطنجة.

رشيد المدور

و كتبت مجلة دعوة الحق في العدد 276 ما يلي

المغرب يودع أحد أعلامه :

العلامة عبد الله كنون يلتحق بالرفيق الأعلى

جلالة الملك انعم على الفقيد بوسام الاستحقاق الثقافي قبل وفاته

ودع المغرب علما من أعلامه العلامة سيدي عبد الله كنون الأمين العام لرابطة علماء المغرب الذي وافاه أجله المحتوم وبفقده فقدت اللغة العربية أحد أعلامها ورموزها الكبار، والذي أسهم في حياته بنصيب وافر في التعريف بالتراث الأدبي الزاخر، كما خدم اللغة وآدابها خدمة متميزة.

وقد حضر مراسم الجنازة وفد رسمي تألف من مستشار جلالة الملك السيد أحمد بن سودة ووزير الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد عبد الكبير العلوي المدغري ومؤرخ المملكة الأستاذ عبد الوهاب بن منصور ورئيس المجلس العلمي بالعدوتين الرباط وسلا الشيخ المكي الناصري والعلماء وذلك بحضور شخصيات أخرى وجمهور غفير من سكان طنجة.

وقبل انطلاق موكب الجنازة تلا السيد بن سودة في بيت الفقيد نص الرسالة الملكية المؤرخة بيوم 3 يوليوز الجاري أعلن فيها قرار جلالة الملك بالإنعام على سيدي عبد الله كنون بوسام الاستحقاق الثقافي الذي كان جلالة الملك قد كلف بشأنه مجموعة من العلماء لتسليمه إلى العلامة الراحل في مقر سكناه بطنجة بمناسبة عيد الشباب.

وبعد تلاوة هذه الرسالة قام مستشار جلالة الملك السيد أحمد بن سودة بوضع الوسام على نعش العلامة سيدي عبد الله كنون تغمده الله برحمته.

وفي ما يلي نص الرسالة الملكية :

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه.

الطابع الشريف وبداخله الحسن بن محمد بن يوسف الله وليه ومولاه محب جنابنا الشريف العلامة الكبير الفقيه الجليل المجتهد والشاعر الأديب المجدد والشيخ الأستاذ عبد الله كنون رئيس رابطة علماء المغرب.

أمنك الله ورعاك وحفظك وبارك خطاك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فتقديرا منا لعلمك الغزير وإخلاصك الكبير ووفائك المنقطع النظير ولمواقفك الوطنية الفذة التي تجلت في كثير من المناسبات ولجهادك وكفاحك على عدد من الواجهات ورعيا لعطاءاتك العلمية المتعددة وإسهاماتك الفكرية والأدبية المتجددة

الأمر الذي رشحك بحق لحمل لقب أستاذ الأجيال دون منازع وجعل اسمك وعطاءك العلمي يتجاوز حدود بلدك ويبوؤك العضوية البارزة في عدد من النوادي الفكرية والمجامع العلمية الرفيعة في كثير من البلاد العربية والإسلامية.

وعرفانا منا لما أسهمت به من إسهامات قيمة متميزة في الدروس الحسنية التي ألقيتها بين يدينا في شهور رمضان المبارك والتي كنت تختار لها من المواضيع ما يحض على التدبر والتأمل وما يرتفع بعقل المسلم ووجدانه إلى أعلى المقامات واعتبارا لوفائك لنا ولوالدنا رضوان الله عليه وللعرش العلوي ذلك الوفاء الذي ورثته عن بيتك العلمي العظيم وأسرتك الكريمة التي ارتبط فيها آباؤك وأجدادك ارتباطا وثيقا بأجدادنا حتى بعد هجرتكم إلى طنجة عقب إعلان الحماية واستقراركم بها إذ تابعتم جهادكم بنشركم للعلم والدين والوطنية والموعظة الحسنة إلى أن كلل الله مساعينا بالنجاح وما يزال موقفك ماثلا في ذهننا ونحن في مطلع الشباب يوم خرجت لاستقبال والدنا المنعم جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه أثناء زيارته التاريخية المشهودة بطنجة في أبريل 1947 فواصلتم ماضي الوفاء بحاضره وطريف الولاء بتليده.

وعرفانا منا بكل هذه الفضائل والأعمال الجلائل قررنا الإنعام عليك بوسام الكفاءة الفكرية ونحن على يقين من أنك ستحمله بجدارة واستحقاق فهنيئا لك به وأقر الله عينك بما يحمله إليك من حب ملكك عطفه ورضاه ومن تقدير أبناء وطنك من أقصاه إلى أقصاه.

وكم كان بودنا أن نقلدك إياه بنفسنا لولا ما بلغنا من توعك طارئ على صحتك عجل الله بشفائك وحقق فيه كامل رجائك فآثرنا إرسال وفد من العلماء لينوبوا عنا في هذه الوقفة الجليلة والمهمة النبيلة.

حفظك الله وصانك وبارك فيك وكثر للمغرب من أمثالك وأسبغ بفضله عليك نعمة الصحة والعافية وجزاك خيرا بكل ما أعطيته لدينك وقومك ووطنك ولأمة العربية والأمة الإسلامية جمعاء والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

وحرر بالقصر الملكي بالرباط في يوم الإثنين التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة 1409هـ الموافق لثالث يوليوز سنة 1989م. (انتهت الرسالة الملكية)

ويعد السيد عبد الله كنون في عالم الفكر، ودنيا الأدب علما من الأعلام، وقمة من القمم، وموسوعة من الموسوعات العلمية والفكرية، فقد كان رحمه الله ثروة تتمتع بها هذه البلاد، وحصيلة لا يمكنها أن تتكرر إلا بعد أعوام وأعوام، فعلومه رحمة الله عليه ومعارفه متعددة الجوانب، متشابهة الأطراف، متوفرة الحصيلة...

لقد كان رضي الله عنه لا يضن على سائل، ولا على مستزيد، ولا على متعلم، ولا على مستفيد بما لديه من معلومات اختزنتها ذاكرته، أو وعاها فهمه، أو أدركها في مكتبته، أو كتب عنها أو قرأها، أو سمعها... فقل أن يطرق بابه أحد ليستزيد أو يستفيد إلا ويجد عنده بغيته ويحظى منه بكل ما أراد...

للأستاذ عبد الله كنون عدد من الأعمال المطبوعة، ولعل أهمها كتابه «النبوغ المغربي» و «التعلشيب» و «أدب الفقهاء» ـ «واحة الفكر» ـ «العصف الريحان» ـ «خل وبقل» ـ «مفاهيم إسلامية» ـ «أزهار برية» ـ «أحاديث عن الأدب المغربي الحديث» ـ «على درب الإسلام».

ومن دواوينه الشعرية «لوحات شعرية» بالإضافة إلى عدة دراسات وبحوث منشورة عن الأدب الأندلسي والدراسات الأندلسية في كثير من المجلات المغربية والعالمية...

فمآثر الفقيد، وجوانب شخصيته المتعددة وعلمه وفكره وأدبه فهي من الكثرة والتنوع ما سنعد القراء بإدراج ما وصلنا عن العلامة سيدي عبد الله كنون في أعدادنا المقبلة.

تغمده الله بواسع رحمته، وأسكنه فسيح جناته.

كما نشرت مجلة الفيصل التي تصدر بالسعودية في عددها رقم 152 الكلمة التالية :

وفاة عبد الله كنــون

انتقل الى رحمة الله تعالى العالم المغربي الجليل عبد الله كنـون عن ٨٤ عاما، حيث كان من مواليد عام ١٣٢٦هـ.

وبفقده، فقدت اللغة العربية أحد أعلامها الكبار في المغرب العربي، والذي أسهم في حياته بنصيب وافر في التعريف بالتراث الأدبي الزاخر في المغرب، كما خدم اللغة وآدابها خدمة متميزة.

وكان الراحل قد نشأ في مدينة فاس في بيت علم وصلاح، فتعلق بالعلم، واعتنى به والده ورباه تربية إسلامية. ولما بلغ سن التمييز اعتمد على نفسه في المطالعة والدرس، حيث أكبّ على قراءة ودراسة دواويـن الشعراء العرب، واطلّع على أمهات الكتب، وقال الشعـر وهو في الرابعة عشرة من عمره.

لـه عدد من الأعمال المطبوعة منها : «التعاشيب» ـ «واحة الفكر» ـ «العصف والريحان» ـ «خل وبقل» ـ «مفاهيم إسلاميـة» ـ «أزهار برية» ـ «أحاديث عن الأدب المغربي الحديث» ـ «على درب الإسلام» ـ «أدب الفقهاء».

ومن دواوينه الشعرية : «لـوحات شعريـة» ... ومن قصصه : قصة تاريخيـة

بعنوان : «حارس الكنيسة».

كما أن له عدة دراسات وبحوث منشورة عن الأدب الأندلسي والدراسات الأندلسية في عدد من المجلات المحلية والعالمية.

وكان عبد الله كنون ـ لمكانته العلمية ـ عضوا في عدة مجامع لغوية ومؤسسات علمية، فقد كان عضوا بارزا في مجمع البحوث الإسلامية، وفي مجامع اللغة العربية في كل من القاهرة ودمشق وبغداد، وعضوا في أكاديمية المملكة المغربية، وعضوا في رابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة، وأمينا عاما لرابطة العلماء في المغرب.

أما عن جوائزه، فقد منح شهادة الدكتوراه الفخرية من جامعة مدريد الأسبانية كما منح وسام الاستحقاق الثقافي المغربي.

رحم الله الفقيد، وأسكنه فسيح جناته، ومجلة «الفيصل» تشارك المغرب الشقيق وأسرة وقراء العالم الراحل أحزانهم داعية له بالرحمة والمغفرة... وأن يسكنه الله فسيح جنانه... (إنا لله وإنا إليه راجعون).

كما نشرت مجلة مآب التي تصدر بالأردن في عددها الثاني كلمة جاء فيها :

في ذمـة الله

الأستاذ عبد الله كنـون

(١٣٢٦ - ١٤٠٩ هـ، ١٩٠٨ - ١٩٨٩م)

نعي رئيس وأعضاء مجلس المجمع الملكي، عضو المجمع ورئيس المجلس العلمي الاقليمي لطنجة، العالم الجليل الأستاذ عبد الله كنون، الذي وافته المنية في مدينة طنجة بالمغرب، في منتصف شهر تموز الماضي، بعد رحلة حياة حافلة بالعطاء الفكري والعلمي والجهاد الوطني، والسعي المخلص الدؤوب لرفع شأن المسلمين، والذود عن حياض الاسلام، وخدمة التراث الحضاري للأمـة.

والمجمع الملكي، اذ يفتقد بالأستاذ كنون ركنا من أركان الفكر العربي الاسلامي، ليسأل المولى جلّت قدرته أن يتغمده بواسع رحمته ورضوانه، ويلهم ذويه وعارفيه الصبر والسلوان.

ولد الأستاذ عبد الله كنون بمدينة فاس (سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨م). ولما بلغ السادسة من عمره ـ كانت الحماية الفرنسية قد فرضت هيمنتها على المغرب ـ، اعتزم والده الهجرة الى الشام.. فانتقلت الأسرة من فاس الى طنجة، في انتظار ركوب البحر الى حيث عقد العزم. ولكن اعلان الحرب العالمية الأولى وما رافقه من ظروف حالا دون ذلك، الأمر الذي أدى الى استقرار الأسرة، بصفة نهائية في طنجة.

والمرحوم كنون هو مؤسس المعهد الاسلامي بطنجة، الذي تولى ادارته حتى سنة ١٩٥٣م، اذ هاجر الى تطوان احتجاجا على خلع الملك محمد الخامس من قبل سلطات الاحتلال الفرنسي. وأقام في تطوان ـ مدرسا ومديرا في معهد مولاي الحسن للأبحاث، ولم يلبث ان عين وزيرا للعدل في حكومتها.

وبعد توحيد بلاد المغرب بانضمام المنطقة الخليفية الى المنطقة السلطانية، ورجوع الملك محمد الخامس الى الحكم، أوكلت اليه وظيفة الحاكم العام في طنجة. وكانت مهمته الأساسية هي تصفية النظام الدولي القائم في المدينة، وربطها سياسيا واداريا بالحكومة الوطنية.

كما كان المرحوم أحد مؤسسي الجمعية الوطنية الأولى ـ التي قامت إثر حرب التحرير (حـرب الريـف) بقيادة الأمير محمد عبد الكريم الخطابي ضد اسبانيا وفرنسا ـ.

وكذلك أسهم في تأسيس كتلة العمل الوطني التي انبثقت منها الأحزاب السياسية الكبرى بعد ذلك.

وفي سنة ١٩٥٦م عين الأستاذ كنون عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق، وفي سنة ١٩٦١م انتخب عضوا عاملا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وانتخب أيضا أمينا عاما لرابطة العلماء في المغرب. ولما أنشىء مجمع البحوث الاسلامية بالازهر سنة ١٩٦٣م عين عضوا عاملا فيه. وبعد نحو عشر سنوات انتخب عضوا عاملا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة، وكان عضوا شقيا في مجمع اللغة العربية الأردني منذ تأسيسه سنة ١٩٧٧م، وعضوا بالمجمع العلمي العراقي، اضافة الى عضويته في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية (مؤسسة آل البيت)، وأكاديمية المملكة المغربية.

أما مؤلفاته وأبحاثه المنشورة فقد زادت عن الخمسين كتابا، تنوعت ما بين فنون الأدب، والتاريخ، والاسلاميات، وتحقيق التراث، ومن أبرزها :

١ – النبوغ المغربي في الأدب العربي (ثلاثة أجزاء) تُرجم الى الاسبانية.
٢ – ذكريات مشاهير رجال المغرب (سلسلة حلقات).
٣ – أمراؤنا الشعراء
٤ – فضيحة المبشرين في احتجاجهم بالقرآن المبين.
٥ – القدوة السامية للناشئة الاسلامية
٦ – الاسلام أهدى
٧ – جولات في الفكر الاسلامي
٨ – تفسير سور المفصل من القرآن الكريم
٩ – رسائل سعدية (مجموعة من رسائل ملوك الدولة السعدية في القرن السادس عشر).
١٠ – ترتيب أحاديث الشهاب، لابن الحسن القلعي.
١١ – التيسير في صناعة التسفير للأشبيلي.

ونشرت مجلة الجواهر التي تصدرها جمعية فاس سايس في عددها 15، قصيدة شعرية للشاعر عبد الكريم الوزاني نثبتها مع هذه المقدمة.

تعزيـة في أستاذ الجيل المرحوم سيدي عبد الله كنون

نعرف أن الأعمار بيد الله، ونعرف أن كل نفس ذائقة الموت،235 ونعرف «إنا لله وإنا إليه راجعون»، إلا أننا نعرف كذلك أن العلماء الافذاذ من أمثال سيدي عبد الله كنون، لا نوارى سوى أجسادهم الثرى، تماما كما نفعل بالفسيلة المباركة، كلما تعاهدناها أعطتنا أجود الثمار.

والفقيه سيدي عبد الله كنون تغمده الله برحمته، شجرة أثمرت في زمانها وستبقى معطاءة في زمننا وزمان الأجيال من بعدنا. فلنتعهد أغصانها حتى نتمكن من قطف ثمارها عندما نرغب بها. ولله ما أعطى وما أخذ.

. * * * * *

قضى اللـه أن تلقـى البريـة حقهـــا   وأن تتـــوارى خلـــف غائلـــة اللحـــد
وأن يرحـل الأحباب في صحبة الردى   إلى حيث لا ترجـى لهم فرصـة العـــود
فتهـوى إلـى عمـق الـرغـــام فراقـــد   وتسكن في قـر الثـرى نجمـة السعـــد
وقد كان مثواهـــا العيـــون ونورهـــا   فاحبب بها في ومضـة القبـل والبعـــد

قضى الله أن تروى الجفون بدمعها ... بكاء عليها وهي في قبضة الفقد
فيا بارك الرحمان عبده بينها ... كما بارك الاجداد في سالف العهد
فقد كان فينا عالما وابن عالم ... تبوأ طيب الذكر والسمت والحمد
تداول أسباب الحياة بحنكة ... ويعرف أن الموت صادقة الوعد
يمديدا بيضاء لاعن تزلف ... ولا عن تراخ في الإرادة والجهد
إلى العلم. هل للعلم في الأفق غيره ... فقد عبّه من نبعه وهو في المهد
لبيب إذا مال الهوينا بطرفه ... ويلتمس الاعذار للحاقد الوغد
هو الجود أنى يدرك الجود شأوه ... الحزم مقدام كبارقة الرعد إذا
هو الكلمات الغر والفكر التي ... انتظمت في العقد تومض في العقد
فلا لغو في معنى ولا حشو في مبنى ... مصابيح في الديجور دائمة الوقد
عفيف إذا يعطي كريم إذا يعطي ... سريع إلى الجلى بعيد عن الحقد
وسيم إذا يأتي جليل إذا يمضي ... بليغ تواتيه البلاغة بالقصد
سقته رياح الخلد خالص عطرها ... واسكنه الرحمان في جنة الخلد
تطوف به الولدان يوم يجيئها ... وتلبسه من خزها حلة الرشد الأهل
لئن غاب عنا وجهه وضياؤه ... ففي والأعمال مأثرة المجد

شعر : عبد الكريم الوزاني

ونشـرت جريدة الداعي التي تصدرها الجامعة الاسلاميـة بالهنـد عدد 3 السنـة 13 ، هذه العبارات التاليـة :

العلامة المغربي الشيخ عبد الله كنـون إلى رحمة الله

استأثـرت رحمة الله مـؤخـرا بالعلامة المغربي الجليل الشيخ عبد الله كنون، عضـو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي والأمين العام لرابطة علماء المغرب ، ورئيس تحرير جريدة "الميثاق" وصاحب مؤلفات كثيـرة.

كان رحمه الله من العلماء والمفكريـن المعدوديـن في العالم الاسلامي، الذين يمتازون بعمق الدراسة والفكر وغـزارة العلم والغيـرة على الاسلام، ونبل الاتزان، وسموّ التفاني، والاخلاص في خدمة الاسلام بكل ما أوتـوا من مؤهلات كتابية وخطابيـة وعلمية وفكريـة.

كان الفقيـد الغالي من المؤسسيـن لرابطة العالم الاسلامي وظل منذ اليوم الأول عضوا لمجلسها التأسيسي، كما كان عضوا في مجمع اللغـة العربية بدمشق وفي مجمع اللغة العربية بالقاهرة وفي المجمع العلمي العراقي ببغداد، ومجمع اللغة العربية بالأردن، وفي أكاديمية المغرب، ورئيسا للمجلس العلمي الآقليمي بطنجة .. وعضويته في هذه المؤسسات العلمية العالمية الشهيرة الكبيرة القيمة والقامـة، مما يدل على علو شأنـه وعظم مكانه في العلم والبحث والفكـر.

وألف رحمه الله نحو خمسين كتابا في المواضيع التاريخية والأدبية والاسلاميـة، وأنشأ مجلات عربية عديدة، منها مجلـة "لسان الديــن" و "الاحياء وجريدة "الميثاق". بالاضـافة الى ادارته لعـدد من المعاهد والمدارس في المغرب العربي.

ولد رحمه الله عام ١٣٢٦ هـ بمدينة "فاس" المغربية الشهيـرة بانجاب النوابغ والعباقـرة ..

وأسرة الداعي تتضرع الى المولى القديـر أن يجزيـه الجزاء الأوفى ويسكنـه فسيـح جناته، ويلهم ذويه ومحبيـه الصبـر والسلوان، وأن يملأ الفرا غ الذي تركـه، ولا فتننا بعده ولاحرمـنا أجـره.

ونشرت جريدة الرائد الهندية مايلي :

في ذمة الله

العلامة السيد عبد الله كنون الحسني

ننعي بمزيد من الحزن والأسى العلامة السيد عبد الله كنون الحسني الأمين العام لرابطة علماء المغرب، وعضو مجمع اللغة العربية، ورابطة العالم الاسلامي، ورئيس تحرير صحفية الميثاق الصادرة من المغرب.

فقد توفى العلامة عبد اللّه كنون الحسنى في يوم الاحد ٥ من ذى الحجة ١٤٠٩ هـ الموافق يوليو ١٩٨٩م بعد سجل حافل من الخدمات الجليلة في سبيل الدعوة الاسلامية والفكر الاسلامي، وكان عضوا في عدد من الهيئات الاسلامية في العالم ، وأسهم بأكثر من خمسين كتابا في مختلف الموضوعات العلمية والدينية، وقد كانت للعلامة عبد الله كنون صلة وثيقة بندوة العلماء ورئيسها سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى.

ولد الفقيد في عام ١٣٢٦ هـ بمدينة فاس وتخصص في العلوم العربية والاسلامية وانشأ مدرسة للبنين والبنات وعمل مديرا معهد الدراسات الاسلامية ومدرسا للمعهد العالي بتطوان ثم انتخب عضوا في المجمع العربي بدمشق "مجمع اللغة العربية" حاليا، وعضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وعضوا في المجمع العلمي العراقي ببغداد وعضوا في مجمع اللغة العربية بالأردن كما انتخب أمينا عاما لرابطة علماء المغرب وعضوا في أكاديمية المغرب ورئيسا للمجلس العلمي الإقليمي لطنجة.

وقام الفقيد بتأليف خمسين كتابا في الدراسات التاريخية والأدبية وكتب

التراث وترجم بعضها الى لغات أجنبية كما أصدر عدة مجلات عربية منها مجلة لسان الدين والاحياء وجريدة "الميثاق".

رحم الله الفقيد الشيخ عبد الله كنون رحمة واسعة وأسكنه فسيح جنانه مع الصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقا.

وإنا لله وإنا اليه راجعون.

ونشرت جريدة (العراق) الصادرة في بغداد في عددها 4404 مقالا للأستاذ عمر عبد العزيز العاني ، هو كالتالي :

العلامة عبد الله كنون

في ١٩٨٩/٩/٩ طويت آخر صفحة من صفحات العلم الشامخ عبد الله كنون رئيس رابطة علماء المغرب. وكان أمرا غريبا أن تتجاهل الصحف باحثا أنفق من عمره سنين عابسات حارثا في مهمات المصادر عرفه الحبر والليل ما اتخذ من سوادهما كحلاً لجفونه وسميرا لشؤونه وشجونه.

ولانت لعريكته مغاليق المعرفة وخضعت لملكته الاجتهادية طلاسم المخطوطات ورموز التراث فتمثل فيه جلال الماضي ورونق الحاضر وكان سمته يروي باسهاب قصة التراث والمعاصرة ويضع قوانين الجدل واصول المناظرة لهذه القصة التي عبث بها العابثون من غير أن ينبس بكلمة واحدة.

ومن بين الأشواك والأدغال خرج هذا النبع بشيرا ونذيرا فكان يرى المغرب ـ الركن الغربي للحضارة الرائدة ـ يئن تحت سيطرة الحماية الأجنبية فكان لابد أن يحمل عبئين وينوء بحملين فسخر القلم للبندقية وسخر البندقية للقلم فجمع الراحل بين الحركة والبركة فكان العالم المجاهد والأديب الوطني، فهم البيئة والأشخاص وما أثر فيهما من صنوف المعرفة فسلك في حياته منهجا اصلاحيا ثائرا كانت آثاره أفصح عنوان وأوضح اعلان.

ولد عام ١٩٠٨م بين ركام الكتب ووسط حلقات العلم التي كان يقيمها والده العلامة عبد الصمد كنون فتلقى العلم من والده بكل ما اوتي من قوة عقل ورجاحة منطق فظهرت فيه امارات النبوغ مبكرا فنظم الشعر وهو في العقد الثاني من عمره.

وحين بلغ العشرين عرفه الملأ الثقافي مؤلفا وصحفيا فرأس تحرير صحيفة لسان الدين ومجلة الأنوار، وأسس صحيفة الميثاق الناطقة باسم رابطة علماء المغرب ومجلة الإحياء فكانت هذه الاصدارات منبرا لأفكاره الإصلاحية في السياسة وآداب اللغة والدين ولم تكن مكوناته الثقافية لتتسم بطابع شرقي أو غربي وإنما كان رائده في ذلك الحديث النبوي الشريف (الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها).

ولكن هناك مؤثرات.

فنرى الاستاذ كنون ينبذ كثيرا من شعره الذي نظمه أيام الشباب متأثرا بشعراء يذكرهم أمثال شوقي وحافظ والزهاوي والرصافي وكذلك العقاد في منحاه العقلي ومثل هذا يندر في شعرنا العربي.

وفي الكتابة أعجب بما كتبه العلامة محمد كرد علي والأمير شكيب أرسلان والعقاد والرافعي والمنفلوطي.

أما في مجال الدراسات الاسلامية فلا ينكر كنون انه تأثر بمدرسة المفكر جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا.

وقد رصد الراحل الحركة الثقافية من منظوم ومنثور بالنقد والتقريظ فكانت له مواقف ومناقشات ومطارحات وردود من ذلك كتابه الذي سمّاه (معارك) وكتاب (الرد القرآني) ردّ فيه المؤلف على كتاب إلحادي أصدرته اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في طاجكستان. وكتاب (نفي تقول سخيف) وكتاب (نظرة في منجد الآداب) تعقب فيه بعض أراء معجم المنجد المشهور واستدرك عليه بعض الفوائت وقوّم بعض سقطاته في ما يتعلق بالتراجم والوفيات وتحقيق الأسماء والأنساب، وقد امتازت بعض مؤلفات الفقيد الراحل بشيء من الغرابة ككتاب (أدب الفقهاء) وقد كان هذا النمط الأدبي مضربا للهمز إذ يوصف بالركاكة والتكلف المصطنع فتصدى له العلامة كنون فكشف النقاب عن ذخائره ومكوناته. ومثل كتاب (امراؤنا

الشعـراء) أورد فيـه المؤلف نماذج شعريـة لعدد من الملـوك والامـراء المغاربـة من عهد الدولـة الادريسيـة حتى العصر الحاضـر.

أما كتابه (النبـوغ المغربي في الأدب العربي) الصادر في الثلاثينيات فيعد من أشهر كتب الاستاذ كنون وهو الكتاب الأول الذي بحث الثقافة المغربيـة عموما والأدبيـة منها بوجه خاص. وقد أثنى عليه علماء شرقيون وغربيون وقامت حولـه دراسات عدة وقد ترجم الى الانكليزيـة والاسبانيـة ونال المؤلف عليه درجة الدكتوراه الفخريـة من جامعة مدريد في اسبانيـا وقد جعـل هذا الكتاب مجهول الأدب المغربي أدبـا معلوما مشهورا لـه مدرسـة ومنهج، إذ في الوقت الذي تزخـر فيه كتب تاريـخ الأدب بالنتاج الأدبي العراقي والأندلسي مثلا ظل الأدب المغربي نتفا ضائعـة مفرقـة في بطـون المصادر. وباستطاعـة أي دارس لأدب العراق مثلا أن يدرسه من غيـر أن يقدم النصوص والآثار لشهرتها ووفـرة دواويـنها بينما الأمر يختلف تجاه الأدب المغربي فكان الكتاب جمعا لهذه الأثار ثم دراستها.

وكانت النزعة القومية قد جعلت الاستاذ الراحل يوفيّ لبلده ويبـرّ به فألف في ذلك كتبا منها (ذكريات مشاهير رجال المغرب) وكتاب (أحاديث عن الأدب المغربي الحديث) وهو مجموعـة محاضرات ألقاها على طلبـة قسـم الدراسات الأدبية واللغوية بمعهد الدراسات العربية العالية في القاهرة. وكتاب (مدخل الى تاريخ المغرب) وغير ذلك مما تقدم.

كما كانت له اصدارات في فن المقالة والنقد والتحليل الأدبي منها (واحـة الفكر) و(أشذاء وأنـداء) و (العصف والريحان) و (التعاشيب) و(على هامش الحياة) وكتب أخـرى.

ومن دواوينه الشعرية (لوحات شعرية) و (ايقاعات الهمـوم) و(صنـوان وغير صنوان).

أما الدراسات الاسلامية فقد قال الراحـل عنها (وأنـا لست متطفلا على هذا العمل فهو ميراث آبائي وأجدادي وهو عندي عقيدة ومنهج وسلوك لم أحـد عنه منذ نشأتي وقد أستغني عن أعمال أخرى ولا أستغني عنه.. الخ) انظر مجلـة الفيصل السعودية العدد ٣٧ صفحـة ٤٣.

ومما ألفه في هذا المجال كتاب (مفاهيم اسلامية) و (الاسلام أهدى) وقد ترجم الى الاسبانية و (القدوة السامية للناشئة الاسلامية) و (جولات في الفكر الاسلامي) وكتب أخرى.

وقد حظي المخطوط من كتب التراث بعناية الاستاذ الراحل واهتم به اهتماما ملحوظا فمن ذلك (قواعد الاسلام) للقاضي عياض و (أخبار الصغار) لأبي عبد الله محمد بن مخلدالدوري العراقي و (عجالة المبتدي وفضالة المنتهي) لأبي بكر الحازمي و (شرح الأربعين الطبية) لعبد اللطيف البغدادي وآثار اخرى حققها العلاّمة كنون.

وقد شغف الاستاذ الراحل بأدب الرسائل فكان يحتفظ بما يرسل اليه من رسائل لكبار الشخصيات العلمية والسياسية وقد جمع له من ذلك قدر كبير قام بجمعه وتبويبه الاستاذ عبد الصمد العشاب من أفاضل المغرب فرتب هذه الرسائل بفهرست منظمة تحت اشراف العلاّمة الراحل.

لقد ولد العلاّمة كنون والاستعمار الفرنسي يمتص خيرات المغرب السعيد فشبّ الوليد وشبت معه جذوة الجهاد والكفاح ثم تدخل فلسطين مسرح السياسة تتربص بها الدوائر الاستعمارية الدوائر فكان الخزين الثقافي يدفع الراحل من عدّة منطلقات ففي عام ١٩٥٣ أقدمت الحماية الأجنبية على خلع ملك المغرب محمد الخامس رحمه الله فيقدم الفقيد استقالته من ادارة المعهد الاسلامي في طنجة ويهاجر الى تطوان فرارا من بيعة الذنب الاستعماري. وفي تطوان تسند اليه وزارة العدل فيستقيل من وزارته بعد برهة ويعود الى طنجة بعد عودة الملك محمد الخامس من منفاه فيتسلم هناك وظيفة الحاكم العام ومهمته ربط السياسة والاقتصاد بالحكومة المغربية.

وكان العلاّمة كنون من المؤسسين للجمعية الوطنية الاولى التي تلت حرب التحرير بقيادة الزعيم محمد عبد الكريم الخطابي ضد اسبانيا وفرنسا وكانت هذه الجمعية نواة الأحزاب الوطنية بعد ذلك.

وفي أوائل ١٩٥٣ قاد حركة مقاومة المتمردين على الملك الشرعي للبلاد وفاضت أعمدة الصحف بمقالاته الحماسية في الوقت الذي امتلأت فيه سجون الاستعمار بالقادة الوطنيين وكانت الصحف التي تسلم رئاسة تحريرها ـ لسان الدين

والميثاق ومجلة الأنوار ومجلة الاحياء ميدانا يصول فيه الراحل مجاهدا ومكافحا، والى جانب ذلك فقد كان للاستاذ كنون عدة وظائف خدم بها الحركة العلمية منها عضويته في المجلس الأعلى للتعليم بالرباط وتطوان كما كان استاذا بالمعهد العالي ومديرا لمعهد مولاي الحسن للأبحاث وعضوا في لجنة الأبحاث العلمية وعضوا في عدة مجامع منها المجمع العلمي العراقي والمجمع العلمي العربي بدمشق ومجمع اللغة العربية بالقاهـرة والأردن.

وفي عام ١٩٦١ انتخب أمينا عاما لرابطة علماء المغرب وتعاد الأمانة اليه في كل انتخاب بالاجماع. وانتخب عضوا مؤسسا في رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة وعضوا عاملا في مجمع البحوث الاسلامية بالأزهـر الشريف وعضوا باللجنة الوطنية المغربيـة لليونسكو وعضوا في اللجنـة الاستشاريـة لإحياء التراث وعضوا في المجلس التنفيذي لمكتب تنسيق التعريب التابع للمنظمة العربيـة للتربيـة والثقافـة والعلوم وعضوا في أكاديمية المملكة المغربية. ووظائف أخرى أغفلناها خشية الاطالة.

وقد كرم بخمسة أوسمة دلت على الكفاءة الفكرية لدى الاستاذ الراحـل.

وبامكان القارئ أن يقف على أكثر من هذا المذكور عن حياة العلامة عبد الله كنون في بحث واف كتبه الاستاذ عبد الصمد العشّاب تحت عنوان (ببليوغرافية جامعة لانتاج الاستاذ الراحل العلامـة عبد الله كنون) وسينشر في مجلـة المورد قريبا إن شاء اللـه.

ولعل آخـر حسنات الفقيد وقفـه لمكتبته الخاصة على جميع الباحثين وهـي مكتبة غنية زاخـرة بالمخطوطات النادرة والمصورات الفريدة والمطبوعات القيمة. ومقر هذه المكتبة مدينـة طنجة في المملكة المغربية.

وقد عيـن الاستاذ عبد الصمد العشاب أمينا لهذا الخزيـن التراثي.. وإن لـه علي منـة لا تنكـر ونعمة لا تكفـر حيث وفي فرفدني بكثير من المعلومات عن حياة هذا العلم الفكري فسلام على بره ووفائـه.

وسلام على العلامـة عبد الله كنون يـوم ولـد ويوم مات ويـوم يبعث حيـاً.

وفي الملحق الثقافي لجريدة الحرية التي تصدر بتونس، كتب الأستاذ الكبير السيد أبو قاسم محمد كرّو

كنــون وأبـوالقاسـم
في ملتقى ابن منظور بقفصـة
«ديسمبر 1972»

رحيل العلاّمة عبد الله كنون مجدّد التراث والأصالة

نعت اخبار المغرب الشقيق وفاة العلامة الكبير والبحاثة المجمعي الشيخ عبد الله كنون عن عمر يناهز الثمانين عاما.. قضى معظمها (65 سنة) في خدمة العلم والادب وفي الدفاع عن الاسلام والوطن.

كان منذ فجر شبابه ـ الخامسة عشرة من عمره ـ يساهم بقلمه ونضاله دفاعا عن الوطن وايقاظا للوعي واحياءا للتراث وانتاجا في شتى مجالات الادب والمعرفة.

كيف عرفته ؟

تعرفت عليه لأول مرة عام 1962 عندما زرت مدينة طنجة وحظيت باستقباله لي في منزله، ومنذ هذا اللقاء وصلات الود والمراسلة وتبادل الكتب متصلة بيننا كذلك كنت رفيقه وحفيا به عندما زار تونس عام 1972 للمشاركة في الملتقى الثاني لابن منظور بقفصة. هذا فضلا عن لقاءاتنا بمجمع اللغة العربية في القاهرة بداية من عام

1973 حتى آخر لقاءبها عام 1987 حيث شعرت عامئذ بثقل السنين عليه.

كنـون والشابي :

ومما يسجل لـه باعتزاز أن شاعرنا الكبير «**أبو القاسم الشابي**» قد درس شعر كنون وتحدث عنه وقال رأيه فيه عام 1930 ـ وكان كلاهما عامئذ في العشرين من عمره ـ وذلك في محاضرة أعدها الشابي عن شعراء الشباب في المغرب الاقصى[1]. وهي محاضرة لم يتح لها ان تلقى في موعدها بسبب غياب الجمهور، كما انها لم تنشر حتى الآن[2].

نشـأتـه :

هو عبد الله بن عبد الصمد بن التهامي بن المدني كنون الحسني.

ولد بمدينة فاس يوم 30 شعبان 1326 (27 سبتمبر 1908). وبعد فرض الحماية على المغرب انتقل به والده ـ وكان من كبار العلماء ـ مع باقي الاسرة الى مدينة طنجة التي لم تشملها الحماية عن قصد ليفرض عليها لاحقا نظام دولي. كان عبد الله في السادسة من عمره، وكان في عزم والده الهجرة الى الشرق حتى لا يبقى في ارض يحكمها الأجنبي. غير ان اندلاع الحرب العالمية الأولى حال بين الاسرة وبين الانتقال الى الشرق.. وهكذا استقرت العائلة نهائيا بطنجة التي كان وضعها الدولي أهون مما عليه باقي التراب المغربي الذي تقاسمه الاستعمار ان الفرنسي والاسباني كما هو معروف.

تعلمه وتكوينـه :

تلقى تعليما تقليديا أول الأمر، فحفظ القرآن الكريم والتحق بجامعة القرويين بفاس حيث استوعب علومها الدينية والادبية واللغوية على جهابذة عصره، وبينهم والده. ولكن معارفه الحقيقية وموسوعيته، التي تميز بها في حياته العلمية وبين معاصريه، قد كونها بنفسه من خلال مطالعاته المكثفة وسعيه المستمر وراء الجديد من الكتب مع استيعابه القديم وهضمه والافادة منه. وقد اعانه على ذلك كله ـ كما يقول هو نفسه ـ «توجيه والده والبيئة العلمية التي نشأ فيها ، وخزائن الكتب الكثيرة المتوارثة عن الآباء والاجداد» مما كان له «الأثر الكبير في تكوينه» [3].

الشاب الطلعة :

منذ شبابه الباكر وهو مهموس بالمطالعة والكتابة ونظم الشعر وتأليف الكتب. فقد قال الشعر وهو ذو الخامسة عشرة، كما ألف كتابا مدرسيا وهو في السادسة عشرة. ولم يبلغ العشرين حتى كان كاتبا معروفا وشاعرا ينشر شعره بين الناس. مما حمل مؤلف كتاب «الأدب العربي في المغرب الاقصى» الاستاذ محمد بن العباس القباج على ان يختار طائفة من شعره ويترجم له (مع صورته) في الجزء الثاني من كتابه المخصص لشعراء الشباب (4) وكان ذلك عام 1929 وهو في الحادية والعشرين. وقد تولى الشابي النظر في شعره ـ وهما تربان ـ من خلال المحاضرة المشار اليها سابقا.

الطموح المستمر :

ينتمي الشيخ كنون الى عائلة مغربية ـ من اصل اندلسي ـ عريقة في الشرف والمجد والمكانة العلمية على مدى أجيال وقرون. وهو الانتماء الأثيل الذي كان يغذي طموحه ويزيد في تطلعه الى مزيد من الأعمال والانجازات العلمية والاسلامية والوطنية. وهذه الحياة العريضة الخصبة الممتدة ـ في عطائها وانتاجها ـ على مدى سبعين عاما ، لا يستوعبها ويفي بحقها الا مجلد ضخم. ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، لهذا نكتفي هنا بجملة من الملامح والجوانب من حياته العامة والعلمية والادارية، وعلى الاخص نضاله عن الوطن ومساهماته في تحريره ونهضتهمعا.

نضاله الوطني :

انتظم منذ شبابه في «كتلة العمل الوطني» التي تفرعت منها جميع الاحزاب المغربية المعروفة في عهد الحماية. وبقي طوال عهد الاستعمار «صلة الوصل في طنجة بين المكافحين والوطنيين في الشمال والجنوب، وكذلك بين الحركات الوطنية المغربية في مصر وهيئاتها في المغرب العربي».

وتقديرا له ولنضاله الوطني أسند اليه منصب اول حاكم مغربي لمدينة طنجة بعد الاستقلال فتولى بنفسه تصفية الحكم الدولي لها وأثاره الاستعمارية بها. وهكذا

كانت عودة طنجة الى الوطن الام عام 1957 على يديه.

وكان قبل ذلك قد شغل منصب وزير العدل في حكومة الشمال.

في التعليم :

بدأ حياته العامة مدرسا في فجر شبابه وظل ينمو ويصعد حتى أصبح من جهابذة علماء القرويين وعضوا في مجالسها العلمية فضلا عن التدريس في كلية اصول الدين. والى ذلك تولى ادارة المعهد الديني بطنجة وادارة معهد مولاي الحسن للابحاث بتطوان مع التدريس بالمعهد العالي بها. كما أسس مدرسة حرة للبنات واخرى للبنين.

في الصحافة :

فضلا عن الصحف التي تولى الاشراف عليها مثل مجلة «لسان الدين» ـ ثماني سنوات ـ وجريدة الميثاق لسان رابطة علماء المغرب، نشر وساهم على مدى ستين عاما في معظم مجلات وصحف المغرب وتونس ومصر وسوريا والعراق وغيرها من البلاد العربية لا سيما في المجلات الجامعية والمجمعية.

عضو المجامع :

منذ عام 1961، تم تعيينه عضوا عاملا بمجمع اللغة العربية في دمشق وفي مجمع البحوث الاسلامية بالازهر، والمجلس الاسلامي الاعلى. وعقب ذلك انتخب عضوا في معظم المجامع العربية الاخرى كمجمع القاهرة والمجمع الاردني. وبالطبع هو عضو عامل ونشيط في كل الهيئات العلمية بالمغرب مثل الاكاديمية الملكية المغربية والمجلس العلمي بجامعة القرويين. كما أنه الأمين العام لرابطة علماء المغرب منذ تأسيسها.

الباحث الاديب :

طرافة الشيخ كنون تظهر في ثقافته العالية وبحوثه المجددة ومساهماته الكبيرة في احياء التراث والتعريف بأدب وأدباء الاندلس والمغرب ... وقد نوه باعماله العلمية الجليلة ومؤلفاته المفيدة التي ناهزت المائة عنوان، بين كتاب كبير

متعدد الاجزاء وبين البحوث والرسائل الصغيرة، نوه به العديد من كبار العلماء والادباء والمستشرقين امثال طه حسين وشوقي ضيف وعدنان الخطيب والدكتور ابراهيم مدكور وانور الجندي.

مؤلفاته :

قلت انها تزيد عن المائة، من الكتب والرسائل، عدا البحوث والمقالات التي قد تصل الى الالف... ولهذا يعسر ان تأتي باسمائها كافة في هذه المناسبة وهذا المجال المحدود، ولهذا سنكتفي بعينات منها للدلالة عليها مع اشارة الى ان جل اهتمامه كان مركزا على التعريف برجال العلم والأدب قديما وحديثا، وكتابه الفائق «النبوغ المغربي» باجزائه الثلاثة ودراساته المكثفة عن «مشاهير رجال المغرب» بحلقاتها الاربعين شاهدة على عمله الغزير وحرصه الشديد على إظهار دور المغاربة في الحضارة الاسلامية ومكانتهم في تاريخ الفكر والأدب العربيين.

وتأكيدا لكل ذلك كان فرحه كبيرا عندما تعرف على مشروع كمشروعه كنت قد بدأته عام 1965 واهديت اليه حلقته الأولى، وهي دراسة عن الشاعر التونسي، الأندلسي الاصل، «عبد الرزاق كرباكه» فكتب يقول : «.. وبعد، فقد وصلني ما تكرمتم به من كتاب الادب الفارسي(5) والحلقة الأولى من كتابكم (اعلام المغرب) .. وانه لمشروع جد مفيد لأنه يملأ فراغا في المكتبة العربية لا يسده الا ابناء المغرب. وقد آن الأوان لأن تقوم بهذه المهمة والا حق علينا القول اننا اكثر اهمالا لتاريخنا وتضييعا لرجالنا، فارجو لكم التوفيق والثبات ....»(6)

كنون الموسوعي :

تتنوع مؤلفات الشيخ كنون بين شتى مجالات المعرفة، فمن التاريخ الى الدين الى الحضارة واللغة بمختلف علومها والادب وتاريخه والشعر واعلامه والفقهاء ومواقفهم الدينية والأدبية(7) ... وهو في جميع أعماله لا يقلد ولا يجتر بل يبتكر أو يضيف او يسلط الأضواء على جوانب لم يبحثها غيره من قبل. ولعل القارئ سيدرك من خلال العناوين التالية ــ وهي عينات ــ تلك الملاحظات والخصائص التي وصفنا بها كتبه وابحاثه المختلفة ، وسيرى من خلالها ايضا اتساع معارف الشيخ كنون

واحاطته الشاسعة بتراثنا الحضاري والأدبي والديني وبحياتنا المعاصرة وحاجتها الأكيدة الى الاحياء والتجديد :

في التـراث :

1 - ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث
2 - رسائل سعدية
3 - شرح الاربعين الطبية لعبد اللطيف البغدادي
4 - مناهل الصفا في اخبار الملوك الشرفا للفشتالي
5 - قواعد الاسلام للقاضي عياض
6 - عجالة المبتدي في الانساب للحازمي

في الادب والتاريخ :

1 - النبوغ المغربي (3 ج)
2 - لوحات شعرية (ديوانه)
3 - واحة الفكر
4 - احاديث في عن الأدب المغربي الحديث
5 - من ادبنا الشعبي
6 - مدخل الى تاريخ المغرب
7 - نظرات في منجد الآداب والاعلام

الاسلاميات

1 - مفاهيم اسلامية
2 - جولات في الفكر الاسلامي
3 - منطلقات اسلامية
4 - فضيحة المبشرين
5 - على درب الاسلام
6 - اسلام رائد

مشاهير المغرب :

1 - الشريف الادريسي

2 - عبد الواحد المراكشي
3 - ابو القاسم الزياني
4 - عبد العزيز الفشتالي
5 - الوزير ابن ادريس

هوامش :

(1) راجع عن هذه المحاضرة «يوميات الشابي» يومية 1930/1/13

(2) عندي النسخة الوحيدة من هذه المحاضرة وهي بخط الشابي وسنقوم بنشرها.

(3) من رسالة شخصية

(4) بين صفحات 36 - 43

(5) من تآليف عن الشابي، وكنت أرسل له الجديد من المطبوعات التونسية

(6) من رسالة منه مؤرخة 1933/2/8

(7) مثل كتابه «ادب الفقهاء»

المراجع :

1 - رسائله
2 - مؤلفاته
3 - منشورات مجامع القاهرة ودمشق والاردن.

كــنون الــذي رحـــل

وتحت العنوان أعلاه كتب الأستاذ السيد عبد القادر الإدريسي في جـريدة "عكاظ" التي تصدر بالسعودية بتاريخ 1989.8.31 ما يلي :

مات عبد اللـه كنون .. العالم والفقيـه والمفكر الاسلامي والاديب والشاعر والمؤرخ والصحافي.. فقد اجتمعت في شخصية كنون اهتمامات متنوعة استطاع بما وهبه الله من مزايا عقلية وملكات فطرية ان يبرز وينبغ في كل المجالات التي عمل فيها.

ولقد أتيح لي أن اقترب أكثر من عبد الله كنون في مطلع السبعينات وان اعمل الى جانبه سكرتيرا لتحرير جريدة «الميثاق» لسان رابطة علماء المغرب .. وكانت تطبع يومئذ بمدينة تطوان في «مطبعة المهدية» اقدم مطبعة عصرية تدخـل المغرب.. وكانت ادارة الجريدة بطنجـة حيث يقيم رئيس التحرير.. في قصبة المدينة التاريخية. ولقد عشت سنة من حياتي التقى بكنون يوميا واحتك به وأخذ عنه واستفيد منه. فرأيت في هذا الرجل العالم ذى الوجـه الصبوح والمحيا الطلق ما لم اره في غيره من حيث الدأب على العمل والاهتمام بكل شاذة وفاذة والحرص على الدقـة والضبط والاتقان ومتابعة ما يجرى في العالم والانفتاح على العصر الى جانب التضلع في العلوم الاسلامية والتبحر في الآداب والتاريخ والمعرفة الواسعة بالرجال. وهي ميزة فريدة جعلت من الرجل موسوعة متحركة حافلة بألوان شتى من الفكر والادب والفقه والاصول والتفسير والحديث والتاريخ وتراجم المشاهير والاعلام.

كان عبد الله كنون عضوا مؤسسا في المجلس التأسيسي لرابطة العالم الاسلامي يشهد له الجميع بالغيرة الاسلامية والدفاع عن قضايا الاسلام والعمل من أجل مستقبل مشرق للامة الاسلامية، وله مواقف في هذه الميادين جميعا تؤكد صدق الرجل وإخلاصه ونزاهته.

وعمل كنون في عدة محافل ومجامع ومنتديات عربية اسلامية.. فلقد كان عضوا بمجمع البحوث الاسلامية التابع للازهر بالقاهرة وعضوا بالمجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية «مؤسسة آل البيت» بعمان، وعضوا بأكاديمية المملكة المغربية، وعضوا بالمجلس العلمي الاعلى بالمغرب الذي يرأسه جلالة الملك الحسن الثاني ، هذا اضافة الى المنصب الذي ظل يشغله ازيد من ربع قرن وهو الامين العام لرابطة علماء المغرب ومنصب رئيس المجلس العلمي الاقليمي بطنجة.

وقد عرضت الوزارة على كنون عدة مرات فاعتذر، وان كان شغل في عهد الحماية منصب وزير العدل في الحكومة الخليفية بمنطقة الشمال، وتولى مسؤولية الإشراف على استلام السلطات من الادارة الدولية لمدينة طنجة غداة الاستقلال.

وخلف كنون ازيد من ٤٥ كتابا ابرزها الكتب التالية : «النبوغ المغربي في الادبالعربي» و «احاديث في الادب المغربي الحديث» «ذكريات مشاهير رجال المغرب : ٤٠ جزءا من الحجم الصغير والمتوسط» «مفاهيم اسلامية»، «الاسلام اهدي» «واسلام رائد» «وخل وبقل» «والتعاشيب» و «روح وريحان» و «معارك».. الخ.

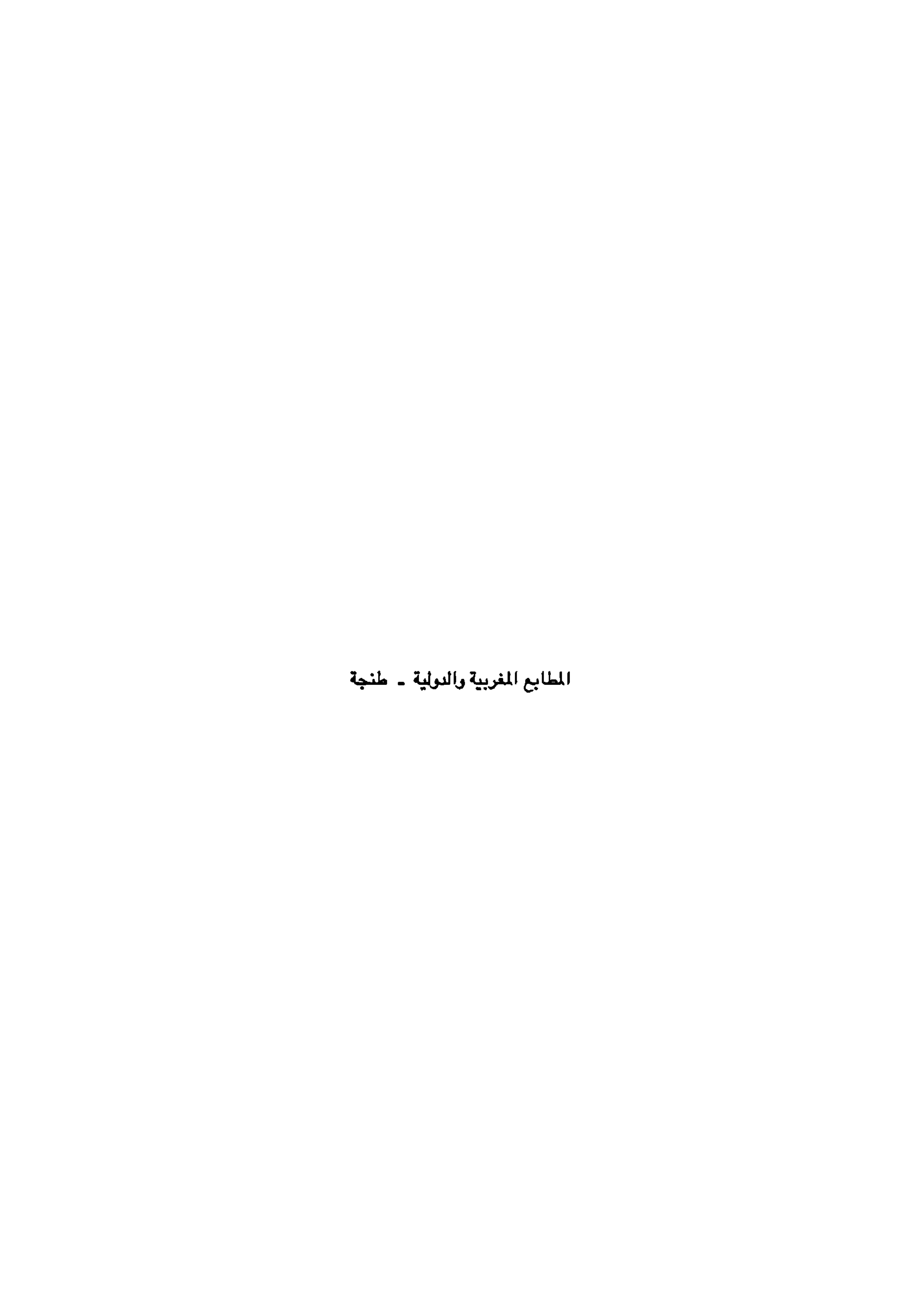
و مؤلفات كنون تجمع بين الاصالة وبين المعاصرة وهي تنقسم الى ثلاثة اقسام : إسلامية وادبية وتراثية. فقد كتب في الدراسات الاسلامية وفي الادب والثقافة العربية والتاريخ العربى الاسلامي ونشر تراجم رائدة لشخصيات مغربية.

تاريخية كانت مجهولة وحقق كتبا في التراث العربي الاسلامي.

وعمل كنون في الصحافة حيث كان يصدر مجلة اسلامية ثقافية جامعة في الاربعينات والخمسينات بعنوان "لسان الدين" لمدة تزيد على احدى عشرة سنة، واصدر في مطلع الستينات جريدة "الميثاق" التي لا تزال تصدر الى اليوم، وفي بداية الثمانينات اصدر مجلة "الاحياء" للدراسات والابحاث الاسلامية. وبذلك تكون صلة كنون بالصحافة تعود الى اربعين عاما. وقد تحمل أعباء العمل الصحافي المضني.

وكان لي شرف مشاركته في نشاطه الصحافي حيث أتيح لي أن أعيش تجربة صحافية من نوع فريد وان اقترب من نموذج من الصحافيين العرب يتعاطى المهنة عن إيمان والتزام عميقين.

فهرس المواد



المطابع المغربية والدولية - طنجة

شكر وتقدير

تتشرف جمعية مكتبة
عبد الله كنون بطنجة
بإسداء الشكر الجزيل
إلى كل المساهمين في
طبع هذا الكتاب.

الجمعية

هــذا الكتــاب

إن مواد هذا الكتاب تجمع بين تكريم الأستاذ كنون وتأبينه كما هو واضح من العنـوان ، وقد قامت جمعية مكتبة عبد الله كنون بطنجة بجمع هذه المواد من مختلف مظانها - وكانت مفرقة في الجرائد والمجلات ، وبعضها طلبناه من جهاته الرسمية ، فجاء هذا المجموع أضمومة من زهر يانع ، متفتح عابق بالثناء وإظهار الود الخالص لذلك الرجل الذي أفنى عمره في إبراز مزايا الاسلام والدفاع عن قضايا المسلمين في كل مكان ، والجهر بكلمة الحق وإصدار الرأي السليم في كل مجالات المعارف العلمية والتاريخية والأدبية والسياسية التي تناولها بقلمه.

رقم الايداع القانوني

1991/958